

مكتبة الدراسات الاجتماعية

مكتبة تاريخ الحضارة العربية والإسلامية

د. شحادة الناطور

د. أحمد عودات

د. جميل بيضون



0180892

Bibliotheca Alexandrina

مدخل إلى تاريخ الحضارة
العربية والإسلامية

ع ٩
شحاد

شهادة الناطور

- مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية /
شهادة الناطور ، أحمد عودات ، جميل مبيضون . -
عمان : دار الأمل للنشر ، ١٩٨٩ .
(٣٥٠) ص .
رأ (١٩٨٩/٢/٩٦)
١ - العالم العربي - تاريخ .
٢ - العالم الاسلامي - تاريخ .
أ - أحمد عودات ، مؤلف مشارك .
ب - جميل مبيضون ، مؤلف مشارك .
ج - العنوان .

تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية

الطابعون

جمعية عمال المطابع التعاونية

هاتف ٦٣٧٧٧١ - ص.ب ٨٥٧

عمان - الأردن

مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية

تأليف

د . شحادة الناطور د . أحمد عودات

د . جميل بيضون

دار الأمل للنشر والتوزيع
أربيد - ص . ب ٤٦٩
تلفون ٢٧٦١٧٤

الطبعة الأولى ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الامة العربية الاسلامية أول أمة جمعت بين قوة الايمان وحب العلم
فنشرت العقيدة وأقامت حضارة أضاءت الدنيا ، قال تعالى " كنتم خير أمة أخرجت
للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. " .

لقد آمنت أمتنا بالعلم ، فأصبح الافراد طلاب علم ، من المعهد الى اللحد
وسافروا في طلبه عبر الصحارى والبحار ، ولأن العلم عندهم أعظم قدرا وأرفع شأننا
من كل حسب ومال ،

وانطلق العلماء في البحث مما أدى الى نهضة علمية فتقدمت العلوم
وارتفعت واتسعت فشملت شعوبا كثيرة وأحفاسا متباينة مما جعل الحضارة
العربية الاسلامية حضارة عالمية انسانية .

وبعد ،

نضع بين أيدي اخواننا الاساتذة وأبنائنا الطلاب كتاب " مدخل الى تاريخ
الحضارة العربية الاسلامية " ، وهي دراسة تهدف الى اللقاء الضوء على حضارتنا
وآثرها وخصائصها ومميزاتها ثم أثرها في الغرب وعلى النهضة الاوروبية بصورة
خاصة .

والكتاب يبين جزءا من كفاح الاجداد في سبيل تعلم العلوم والفنون
والآداب من الامم الاخرى ، ثم يظهر حركة الابداع والتقدم الفكرى فى شتى المظاهر
الحضارية السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، وما وصلت اليه الحضارة
العربية الاسلامية من مكانة بين الحضارات العالمية .

ومهما بذلنا ، فسيبقى الكتاب ناقصا ، لان الكمال لله وحده ، وأملنا
ان لا يبخل الاخوة الزملاء بملاحظاتهم علينا حتى نأخذ بها في المستقبل .
والله نسأل ان يأخذ بأيدينا الى ما فيه

الخير والصواب

المؤلفون

١٩٨٩/١٤٠٩ .

الاهداف العامة لدراسة الحضارة العربية الاسلامية :-

- ١ - أن يتعرف الطالب على مفاهيم الحضارة العربية الاسلامية : الحضارة، العروبة ، الاسلام ، التراث ، الامالة .
- ٢ - أن يدرس الطلاب دراسة واعية المظاهر الحضارية للعرب قبل الاسلام: السياسية ، الاجتماعية ، والاقتصادية والفكرية .
- ٣ - أن يدرك الطلاب مدى التفاعلات الحضارية العربية والاسلامية مع الحضارات الهندية والفارسية واليونانية .
- ٤ - أن يتعرف الطلاب على مظاهر الحضارة العربية الاسلامية المتمثلة في المظاهر السياسية والفكرية والعمرانية والاقتصادية .
- ٥ - أن يدرس الطلاب مميزات وخصائص الحضارة العربية الاسلامية ومكانتها بين الحضارات العالمية .
- ٦ - أن يعرف الطلاب أثر الحضارة العربية الاسلامية على الحضارات الاخرى وسبل انتقالها .
- ٧ - أن يدرك الطلاب أثر الحضارة العربية الاسلامية في الحركة العلمية ، والنهضة الاوروبية .

الباب الأول

توضيح المفاهيم والمصطلحات التالية :

أ - الحضارة

ب - العروبة

ج - الاسلام

د - التراث

هـ - الأمة

مفهوم الحضارة :-

كلمة الحضارة تلفظ بفتح الحاء أو كسرهما وهي مشتقة من كلمة حضر ، واشتقت منها كلمة الحضر ، والحاضرة والحضرة والحضارة ، وكلها تنصب في المعنى اللغوي وهو : الإقامة في المدن عكس البادية والمشتقة من كلمة بدا يبدو " أي ظهر ومن ثم أطلق اللفظ على المكان فسميت البادية ، وهي الإقامة خارج الحضر " المدن أو القرى " (١)

ولفظ حضارة صار يستعمل كمصطلح له معان أخرى اختلفت في تفسير معناها من وقت لآخر ومن مجتمع الى مجتمع . فقد وضع ابن خلدون المؤرخ العربي معنى لها في مقدمته ، حيث عد الحضارة غاية العمران ومنتهاه ، خلافا للبادية التي تمثل أول العمران ومبتداه . وفي المرحلة التي بلغ الناس بها حالة زائدة على الضروري من أحوال معاشهم تمكنهم من الترفن والترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوه الترف ومذاهبه . والمباني والملابس والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله وما تستدعيه أصناف الصنائع المستعملة من مهارة في العمل (٢) .

أما في العصر الحديث فقد اختلف الباحثون على مدلول كلمة الحضارة فانقسموا الى فريقين :-

فريق يرى ان معنى كلمة حضارة ينصب في اتجاه النظم الاجتماعية والثقافية فقد رأى الباحثون الأمريكيون والا لمان هذا الرأي وعلى رأسهم ولديورانت كاتب قصة الحضارة حيث يقول : " ان الحضارة نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي (٣) .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة حضر

(٢) مقدمة ابن خلدون : ص ٢٧٧ - ٢٧٩

(٣) ولديورانت : قصة الحضارة ، ج ١ ، ص ٣

كما يرى الا لمان نفس الراى تقريبا حيث ان الحضارة برايهـم : هي الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تأكيد الاصالـة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للانسان والفريق الثاني من الباحثين وعلى رأسهم الفرنسيين يرون ان الحضارة تضم عناصر أنشطة المجتمع المختلفة من فكرية وتكنولوجية ، ويدمجونها تحت معنى واحد " المدنية " وهي لفظة رديفة لكلمة الحضارة عندهم .

نستخلص من ذلك أن الاختلاف في مدلول كلمة " الحضارة " حيث يرى الفريق الاول أنها تعني المظاهر الفكرية في المجتمع فقط .

ويرى الفريق الثاني انها تعني مجموعة المظاهر الفكرية والمادة في المجتمع . ولكن الدراسات الحضارية لاية أمة تثبت ان الفصل بين المظاهر الفكرية والمظاهر المادية والتكنولوجية قد أصبح أمرا مستحيلا لذلك فان هذه الدراسات لحضارة الامم تنصب في الجوانب التالية :-

١ - التقدم العلمي والتكنولوجي ، وما يمثل من نشاط نظري أو تطبيقي بهدف الى تيسير وتسهيل حياة الانسان على الارض .

٢ - التقدم الفني :- والفن عنصر هام ومظهر رائع من مظاهر الحضارة ، وله دور أساسي في تقدير الامم ، وبه يقاس تقدمها .

٣ - نظام الحكم ، وطريقة تطبيقه ، وما ارتبط به من معانى الحكم الصالح وتطبيق الحريات العامة والعدالة والامن الفردي والجماعي ، وما يتعلق بحفظ الحقوق وما تقدمه من نظم وتشريعات وقوانين تدل تطبيقاتها على مدى صلاحيتها لحفظ حقوق المجتمع ويحقق أمنه .

٤ - القيم الروحية والاخلاقية والاجتماعية ، والعادات والتقاليد والتراث وأصالته وكل هذه الامور تحويها ثقافة المجتمع ، التي تحوى كل الامور الروحية

والتي تشكل قاعدة التمييز للمجتمعات المختلفة . رغم ان هذا الامر قد يكون مشتركاً بين كثير من الشعوب وذلك بسبب الاختلاط أو التقارب أو التقدم الاعلامي الحالي .

من هذا المنطلق نستطيع أن نعرف الحضارة بأنها : التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء ^(١) وهي ذات مقومات تقلل من الاعباء المفروضة على الجماهير الناشئة عن الكفاح في الوجود وإيجاد الظروف المواتية للجميع في الحياة للوصول الى الكمال الروحي والاخلاقي وهو الغاية القصوى من الحضارة ويمكننا أن نعرف الحضارة بأنها : مجموعة المظاهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية لامة من الامم يتناقلها أبنائها جيلاً بعد جيل ^(٢) وهناك شروط قد تساعد على نمو وازدهار الحضارة أو قد تعيقها وتؤدي الى انحطاطها .

ومن هذه الشروط ماهي ١ - طبيعة جغرافية ، حضارة البشر الحالية بدأت بعد انتهاء الدور الجليدي الرابع ونحن الآن ما بعد الجليدي ^(٤) .

٢ - من شروط الحضارة مناسبة الاحوال الاقليمية لظهور الحضارة وما يؤثر في ذلك من برد قارس أو حر شديد مما يؤدي الى بعث النشاط الفكري والفنسي والعلمي أو تسبب الخمول وتضعف الانتاج ، والمطر والجفاف يسببان انتعاش منطقة ونمو الحضارة فيها من جهة أو موتها من جهة أخرى وهكذا .

٣ - الموقع الجغرافي على طرق برية أو بحرية مما يؤدي الى نشوء حضارة كما حصل لتدمر والبثراء والمدن الايطالية .

٤ - الشرط الاقتصادي الذي يساعد على نشوء الحضارة أو سقوطها سواء ما كان يتعلق بالزراعة والتجارة والصناعة .

(١) ألبرت شفيستر : فلسفة الحضارة ، ص ٣٤ ترجمة عبدالرحمن بدوي .
(٢) جورج حداد : المدخل الى تاريخ الحضارة ، ص ١٨ .
(٣) جورج حداد المدخل الى تاريخ الحضارة / مطبعة الجامعة السورية ص ٧ أو ما بعدها

- ٥ - النظام السياسي السليم الذى يحمي المجتمع ويساعد على الاستقرار والانتاج
- ٦ - وجود اللغة الوسيلة المثلى للتبادل الفكرى .
- ٧ - مجموعة النظم الاخلاقية التي تأتي عن طريق الدين أوالمدرسة أوالعائلة
- توحد الناس بقواعد النظام والتوجيه في السلوك .
- ولاتوجد شروط عرفية للحضارة اذ يمكن أن تظهر في أية قارة وفي أى عرق ، اذ ظهرت الحضارات عند كل جنس ، وفي أية بقعة في العالم لان الحضارة هي التي تكون الجماعة بصفات خاصة تختلف بها عن بقية الجماعات الانسانية
- هذه الشروط التي ذكرناها اذا فقدت جميعها أو بعضها فان الحضارة تنهار ، فالحضارة ليست شيئاً دائماً ، انما يجب أن يحصل عليها كسل جيل فاذا انقطع موردها أو توقف انتقالها بصورة جدية تنتهي ، والانسان يختلف عن الحيوان بالتربية والتعليم أى بعملية نقل الحضارة .

العروبة :-

عاش العرب أكثر من أربعة عشر قرنا حياة مستمرة في مجتمع واحد واستقروا في نطاق هذا المجتمع .

وان الامة أمة هي ثمرة عمل طويل في الماضي ، وان هذا العمل الطويل يتمثل أويترجم في وعي أفراد هذه الامة باجماع معنوي يتكون من أمرين أحدهما في الماضي والآخر في الحاضر ، فالامر الاول أوالعنصر الاول هو اشتراك أفراد هذه الامة في ملكية تركة ثرية من التراث ، أما العنصر الثاني فهو اتفاق هؤلاء الأفراد في الحاضر على الحياة معا ، ورغبتهم في هذه الحياة المشتركة وحرصهم على الانتفاع من التراث ، على ان يظل هذا التراث شاعسا دون قسمة . وبهذا المعنى فان الامة روح ، أو هي مبدأ روحي ، واذا كانت الامة تفترض ماضيا سابقا على نشوء هذه الامة ، فانها مع ذلك تبدو في الحاضر متمثلة في واقع ملموس : هو الرضا أوالاتفاق أوالرغبة في استمرار الحياة المشتركة التي يعبر عنها أفراد هذه الامة بوضوح .

وهكذا فان تعلق العرب بتراثهم الخاص بمجدهم الماضي واعتزازهم بأصالة الثقافة العربية وتصميمهم على الاستفادة من هذا التراث واضح جدا . وان اجماع الدساتير العربية على وجود الامة العربية يعد من وجهة النظر الاجتماعية السياسية من قبيل الواقع الملموس الذي يبرز اتفاق الشعب العربي على الحياة المشتركة معا .

ويمكن تعريف الامة بأنها جماعة مندمجة معنويا وماديا لها سلطة مركزية مستقرة ودائمة ، وحدود معينة ووحدة معنوية وذهنية وثقافة يبين أفرادها الذين ينتمون برضاهم الى الدولة وقوانينها .

وهناك مقومات تقوم عليها العلاقات بين أبناء الأمة العربية نستطيع أن نوجزها بما يلي :-

- ١ - انتشرت عدة لغات في البقعة العربية ، حيث اختلفت بعضها ومات البعض الآخر ولم تبق الا اللغة العربية ، وهي وحدها التي تعكس الروح العربية السامية بأفكارها وأحلامها وانفعالاتها ، وهذه اللغة ليست ملكا لجماعة بل هي ذمة مشتركة يستطيع كل عربي أن يكون له فيها نصيب متساوي مع العرب الآخرين . وكذلك هي لغة الوحي التي لا يستغنى عنها أي مسلم .
 - ٢ - الوطن العربي من أسبانيا الى حدود ايران قد نشر خيرات وعظمة حضارة متميزة لعدة قرون ، وطبعت هذه المنطقة بطابعها الخاص .
 - ٣ - حققت الأمة العربية وحدتها في العصر الاسلامي ، وتحت نفوذ الاتراك وقامت عدة محاولات لتوحيدها في العصر الحديث ، منها محاولة محمد علي باشا وابنه ابراهيم ، ومحاولة النهضة العربية على يد الشريف حسين في بداية هذا القرن الا ان قوة النفوذ الاجنبي حالت دون ذلك .
 - ٤ - من أعظم الطموحات العربية في العصر الحديث هو قيام وحدة للوطن العربي تشمل جميع أقطاره ، وقد ثبت هذا الهدف في دساتير الدول العربية^(١) ومن خلال جامعة الدول العربية في اتفاقية الجنسية التي أقرها مجلس الجامعة العربية ١٩٥٢ .
 - ٥ - ان الاسلام قد صبغ العربي المسلم وغير المسلم بمبغة حضارية عربية اسلامية واحدة ، فوحد بين أهدافهم ، وأوجد تفاعلا عقليا ونفسيا فانتظمتهم فكرة واحدة وهدف واحد وذلك التشابه بينهم في الاوضاع الاجتماعية والتشريعية والاقتصادية والثقافية ، وأبرز تلك الملامح المتقاربة
- (١) المادة الاولى من الدستور الاردني والسوري والمصري .

والسمات المتشابهة .

٦ - العروبة هي حقيقة شعبية حية ، وهذه ولدت في فكر كل عربي وفي كل كيان عربي ان وحدة المصير العربي المشترك هي أمر واقعي أثبتته الاحداث المحلية والعالمية . وهذه الوحدة لابد ان تذيب بعض النناقضات الواقعة حاليا في الاقطار العربية نتيجة أمور عابرة يمكن أن يتجاوزها الوطن العربي بسهولة لما بين أبنائه من صلات وثيقة من دين وعادات وتقاليـد ووحدة مستقبل .

معنى الاسلام :

انزل الله الاسلام على انبيائه جميعا حيث اكد هذا المعنى على لسان الانبياء في القرآن الكريم فقد جاء على لسان نوح قوله "وأمرت ان اكون من المسلمين" ^(١) وعلى لسان ابراهيم واسماعيل "ربنا واجعلنا مسلمين لك" ^(٢) وفي قول يعقوب لابنائه "ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون" ^(٣) وعلى لسان موسى قوله "فعلية توكلوا ان كنتم مسلمين" ^(٤) وفي معرض قوله تعالى عن التوراة "يحكم بها النبيون الذين اسلموا" ^(٥) وعن يوسف قوله "توفني مسلما والحقني بالصالحين" ^(٦) وعن حواريجي عيسى "أما بالله واشهد باننا مسلمون" ^(٧) وقال الله للمسلمين "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما اوحينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" ^(٨) وهناك عدد كبير من الآيات القرآنية التي توضح بان الاسلام دين البشرية .

والاسلام في الاصل معناه الاستسلام لله في امره ونهييه على لسان الوحي .
وان القرآن الكريم قد عرض رسالة الاسلام عرضا مجملا شاملا لقوله تعالى :

-
- (١) سورة يونس ٧٢ .
 - (٢) سورة البقرة ١٢٨ .
 - (٣) البقرة ١٣٢ .
 - (٤) يونس ٨٤ .
 - (د) المائدة ٤٤ .
 - (٦) يوسف ١٠ .
 - (٧) آل عمران ٥٢ .
 - (٨) الشورى ١٣ .

" يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون " وقوله تعالى " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " . وقوله تعالى " لقد ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم بالناس بالقسط . . . " (١)

وان فهم الناس للاسلام ومعناه الشامل قد دخله بعض الشوائب وصور من التشويه المقصود من الاعداء لذلك فان الحاجة ملحة لاعطاء صورة عنه مبرأة من الشوائب والتشويه شاملة لجميع جوانبه واجزائه مع ترابطها وحفظ نسبها ومواقعها (٢) . فهم للاسلام كما فهمه المسلمون الاوائل من الصحابة وان كثيرا من الامثلة تبين لنا صحة هذا القول فلنستمع الى ربي بن عامر يقول لرستم قائد الفرس في معركة القادسية قبل بدء المعركة بعد ان حاول الفارسي اغرائهم بالمال فكان الجواب " مال هذا جئنا ، انما جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها " (٣) .

يدخل ضمن هذه العبارات التحرر السياسي والاجتماعي وان العبودية لله وحده ، كما تتضمن القضاء على الانظمة الاجتماعية الجائرة واقامة نظام اجتماعي عادل ، كما تجعل للانسان اهدافا ذات اهداف سامية بعيدة عن الاطر الضيقة التي كانت تعيشها البشرية .

(١) الحديد ٢٥ .

(٢) محمد المبارك نظام الاسلام العفيدة والعبادة ص ٢٠ .

واننا لو استقرأنا ما كتبه الخلفاء الاوائل الى الولاة ولجئنا
الفهم العميق لمعاني الاسلام وتطبيق احكامه العملية في كل المجالات في
العبادة والمعاملات والمسؤولية امام الله في تنفيذ الاحكام . لذلك فان
الهدف الاسلامي الاصيل هو تجميع عناصره العقلية والعملية والنفسية
وجوانبه الايمانية والعبادية والاخلاقية والتشريعية في وحدة مركبة كاملة
لتكون المسلم لتقدمه بصورته الواضحة من حيث عقيدته التي يركز عليها
وتتضمن النظرة العامة الى الوجود التي يدعو اليها ، وعبادته التي هي
رياضة العقيدة والمحرك المستمر لاستشعارها . ومن قواعد السلوك في الحياة
او نظامه الاخلاقي ، ومن قواعد تنظيم المجتمع و التشرييع المنظم للاسرة
واللحياة الاقتصادية وللحياة السياسية او الدولة .

بهذه الصور الشاملة نعرف بالاسلام تعريفا صحيحا بعيدا
عن التجزئة ، مميذا عن غيره من المذاهب المختلفة وان التقت معه في
جزئيات قليلة فالجزئ لا يعني الكل .

ويمكن ان نعرض الاسلام بنظامه الشامل من مصادره الاساسية القرآن
والسنة من خلال اربعة اقسام رئيسية :-

١ - العقيدة الاسلامية^(١) : وهي نظره الاسلام العامة الى الوجود ، وهي ما
دعا الاسلام الى الايمان بها من خلال الايات القرآنية المتكررة وكذلك بما

(١) محمد مبارك نظام الاسلام ص ٢٧ وما بعدها .

جهد الرسول (ص) نفسه من اجل تثبيتها في انفس المؤمنين منذ بدايته
الدعوة .

والعقيدة هي الاساس الذى يبنى المسلم فكره ، والاساس النفسى
لسلوكه ، ومنها تنبثق نظراته الى الحياة الاقتصادية والحياة السياسية ،
وان نظم الحياة مشتقة من فلسفته .

وبذلك تكون العقيدة الاسلامية هي اللبنة الاساسية في بنائه ، كما
انها تتضمن الحقائق الكبرى التي دعا القرآن الى الايمان بها ، وهي تصور
الوجود ، وجود الخالق ووجود الكون والانسان والصلة بين الله والكون
والانسان ، وكذلك الحياة وما وراءها من حياة اخرى او المصير والجزاء
والنبوة .

٢ - العبادة : وهي الترجمة العملية للايمان ، واذكاء للعقيدة
ونقلها الى حيز الاعمال الحسنة والمشاعر القلبية .

٣ - الاخلاق : وهي ركائز السلوك في الحياة فيما بين الفرد ونفسه ،
وبينه وبين الناس ، مهما اختلفت علاقتهم به . وان الاخلاق التي يهدف اليها
الاسلام بنظامه هي المثالية في التهذيب النفسى التي يلتزم بها المسلم .

٤ - التشريع او النظام الاجتماعي :-

بنى الاسلام للمسلمين بناءا اجتماعيا متكاملا محدددا
فوضع تشريعا للأسرة ، ونظاما اقتصاديا ماليا محدددا من حيث الكسب
والانفاق والتكامل والتضامن وحدد مفهوم الملكية ، كما يشتمل الاسلام
على نظام سياسي اي نظام الدولة ، ووضع مبادئ عامة للحكم ، محدددا
العلاقة بين الحاكم والشعب وحقوق المواطن وواجباته ، والعلاقة بين
الدولة الاسلامية وغيرها من الدول وقواعد السلم والحرب . كما يشتمل
الاسلام على نظام للعقوبات وبذلك يضمن التشريع الاسلامي نظاما متكاملا
يتميز به عن غيره من الانظمة الاخرى قديمها وحديثها لذلك شبهت كلا
منها بالتفصيل كي تكتمل الصورة .

التراث :-

كلمة التراث مشتقة من ورث : أى كل ما أخذته الانسان عن الآباء والأجداد والاصول . وهذا من حيث المعنى اللغوى أما المعنى الاصطلاحي فله امتداد معنوى أوسع حيث يضم كل عمل أو انجاز انساني خالص أى الامور النسبي أبدعها الانسان من النواحي العلمية والصناعية والفعلية . وان للسررات ثلاثة وجوه : العلوم المختلفة عقلية أو نقلية ، المصنوعات بأنواعها المختلفة والقيم الخلقية أو الجمالية .

لذلك اذا أردنا ان نفصل في معرفة التراث العربي الاسلامي فاننا يجب أن نكون على معرفة جيدة بالامور التالية :-

- ١ - العلوم التي تركها الاجداد من حيث نشأتها ومضامينها وتطورها ، سواء كانت علوم عقلية أو علوم نقلية ، سواء مبتدعة أو منقولة .
- ٢ - الصناعات التي انتجها العرب والمسلمون خلال فترة وجود الدولة الاسلامية ، وتطورها ، واسهام الشعوب المختلفة بها ، ومدى تقدمها .
- ٣ - القيم العليا ، ونظم المعيشة ، والتقاليد والعادات التي سار بها الشعب خلال الفترات المتعاقبة من وجود المسلمين في فترة الازدهار ، أو التدهور .

ان العلوم والصناعات والقيم التي عاشها العرب المسلمون ما هي الا منجزات تاريخية لفترة معينة أنجزها شعب لذلك فان التراث هو انجاز انساني بحت ، وبذلك يكون التراث تاريخي انساني " أما الوحي نفسه فهو الالهي وهو المجاوز للتاريخ .^(١)

(١) د . فهمي جدعان : نظرية التراث ، ص ١٩ .

وأما العلوم الدينية واللغة العربية هما اللذان يترتب دمجهما بالتراث لانهما من المبتدعات الانسانية لها قوانينها وتطورها .

وبما ان التراث بهذا المعنى ، كل ما أنتجه الاجداد من علوم مختلفة وصناعات قيمة ، وقيم عليا ، فما هي وظيفة التراث وما هو واجبنا نحوه :

ان الواجب الاول يقتضي منا حفظه من الضياع والتشتت لانه عنواننا ونقله الى حالة التثقف العام ، واختيار منه ما يضيف الى عملنا الحاضر علما جديدا مفيدا ذا جدوى ليتحول الى تثقيف تراثي عام .

وان واجبنا نحو التراث هو القيام بعملية الجمع بينه وبين الواقع الحالي للمجتمع وبين ما نصطفيه من مواقف ومفاهيم تراثية تصلح لان تسهم في تدبير حياتنا وأمورنا ونجعلها نمطا سلوكيا أذهنيا لنا في تفكيرنا وفي فعلنا فنحن يمكن ان نستلهم لحياتنا من التراث موقف العقلانية الذي ساد مع المعتزلة والمتفلسفة المسلمين ، أو مفهوم العدالة التي جسدها بعض الخلفاء ، أو جملة الفضائل الخلقية التي صاغها فلاسفة الاخلاق وبعض المتصوفة ، أو قيمة الحرية التي تعلق بها بعض الحركات الثائرة على استبداد بعض العصور والانظمة ، أو قيمة الديمقراطية التي تمثلت في الشورى الاسلامية ، أو المساواة التي أقرها الدين وانعكست في سياسة هذا الحاكم أو ذاك^(١)

هذه المبادئ هي من المبادئ المركزية في تراثنا العربي الاسلامي والتي يجب أن نأخذ بها الآن وفي كل زمان ، وأن الاخذ بها يعبر عن تعلقنا بتراثنا الذي نشركه في تشكيل حياتنا الراهنة وتصوغ حياتنا الحالية والمستقبلية . لان القيم التي تركها تراثنا وهي مناسبة لروح العصر الذي يعتمد على العقل والثورة والديمقراطية والعدالة وهي ذات المبادئ التي

(١) د . فهمي جدعان : نظرية التراث ، ص ٢٦ .

ذكرناها سابقا ، واذا استلهمنا هذه المبادئ نكون قد بعثنا قيما تراثية خالدة ، مناسبة لحلول مشكلات الواقع الذي نعيشه ، لذلك نستطيع أن نجمل وظائف التراث بما يلي :-

١ - التسليح بالارث الحضارى الضخم الذى بناه العرب المسلمون تسليحا معنويا بهذا التراث أمام التعاضم الغربى بحضارتهم الحالية لانها ذات مرتكزات عربية اسلامية لما كان من تأثير للحضارة العربية خلال عصر النهضة على أوروبا مما يضعف عقدة النقص ، ويؤدى بالتالى الى التحرر من الهزيمة النفسية التى تعيشها المجتمعات الاسلامية .

٢ - الفائدة العلمية الموجودة في التراث مثل : علوم العقيدة والفقه واللغة والعلوم النظرية . وكل هذه العلوم وهي علوم مازال استعمالها واردا لما فيها من حلول لقضايا عصرية نعيشها .

٣ - القيمة الجمالية للتراث التى مازالت محتفظة بعلو درجتها وروعيتها وعلى سبيل المثال مازلنا نتذوق شعر المعلقات وشعر ابن أبي ربيعة والبحترى والمتنبي ، وأدب الجاحظ ، ولربما نتذوقها ونستمتع بهما ونستلهم معانيها بما يزيد عن القصائد المعاصرة ، هذا بالإضافة الى ما أبدعه الفنانون المسلمون في الموسيقى والرسم والمصنوعات الجمالية والزخرفة وفن البناء .

وأخيرا ماهو واجبنا نحو التراث ؟

بما أن للتراث فعالية قوية عند دمجها بحياتنا الراهنة من النواحي المختلفة فان واجبنا الاول هو انجار تراث جديد نضيفه الى ماتبقى من عناصر تراث الاجداد لنورث تراثا جديدا الى الآتين من الاجيال القادمة .

الأصالة :

مشتقة من أصل ، والاصل مايقوم على أساسه الشيء الثابت . كما
تعني الحسب (١) .

ويقصد بالأصالة هي الأساس الذي تقوم عليه الحضارة العربية الإسلامية
فمفهوم الأصالة للحضارة العربية يعني ذلك التراث العربي الإسلامي
الضخم الذي خلقتة الأمة العربية في القرون الوسطى ، والذي أصبح عنوان
مجدها ورمز مدنيتهها ، ودليلا صادقا على مبادئها ، وحجة قوية أن أمتنا
العربية لم توجد من العدم (٢) .

ومعالم الأصالة العربية الإسلامية :

١ - العقيدة الإسلامية وما تفرع منها من العلوم الشرعية : كالتفسير والرواية
والتشريع ، والفقه ، والمناظرة والجدل ، وعلوم القرآن ، وعلوم الحديث
والتاريخ والجغرافية والعلوم اللسانية : أدب ، نحو ، صرف ، بلاغة ، خطباء
شعراء ، وكتاب ، ٠٠٠٠ الخ .

٢ - المبتكرات العلمية التي أنتجها مفكرو الإسلام : كالهندسة والجبر
والمثلثات ، والفلك ، والطب ، والصيدلة ، والجراحة ، والبيطرة ، وعلم
النبات ، وعلم الفلك والعمارة ، وبناء المستشفيات وكليات الطب ٠٠٠ الخ .

٣ - البدائع الفنية التي أنتجتها العقول والأيدي العربية ، كبناء المدن والقصور
والمساجد ، والمدارس ، والجامعات ، والميكانيك ، والحرف ، الخ .

٤ - النظم الإسلامية المختلفة التي وضعها العرب لدولتهم أثناء حكمهم

(١) انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة أصل . الرازي : مختار الصحاح ،
مادة أصل .

(٢) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص ١٦٣ .

الطويل وهي تشمل :

أ - النظم الدينية وتهدف الى دعم فكرة التوحيد ورفع مستوى الفرد الخلقي بالعبادة والجهاد والثقافة الشرعية .

ب - النظم المالية والاقتصادية : وتهدف الى تنظيم المواد الثابتة للدولة للاتفاق على المشروعات الاجتماعية والعلمية والمصالح العامة وفي سبيل الله .
ج - النظم الثقافية : وترمي الى نشر العلم وبث الفضيلة ، وانشاء دور العلم والعناية بالعلماء .

د - النظم العسكرية : وتهدف الى اقرار السلام وتحاشي الحروب وايجاد قواعد السلم والحرب واحترام المعاهدات والمواثيق .

هـ - النظم الادارية : وترمي الى ادارة الدولة بواسطة العمال والولاة والدواوين والمؤسسات الادارية المختلفة ، كالبريد ، والحسبة ، والشرطة ... الخ .
و - النظم القضائية : ويراد بها البحث في أصول القضاء ، وتعيين القضاة والفتاوى

ز - النظم السياسية : وتشمل قواعد الحكم في البلاد الاسلامية ، كالخلافة وطريقة الانتخاب ، والوزارة ، والحجابه ، والعلاقات الدبلوماسية ... الخ .
ح - النظم الاجتماعية : تظهر قواعد الاسلام لرفع مستوى الفرد في المسكن والمأكل والمشرب ، والضمان الاجتماعي .

٥ - مبادئ الاسلام الانسانية التي قامت على تكريم الانسان وانقاذه من السرقة والعبودية ، ورفعته الى المكانة التي تليق بانسانيته ، وغرس الفضيلة والكرامة والعزة وبث الحرية والعدالة الاجتماعية ، والاخاء والمساواة ، والسجايا الحميدة والاخلاق الفاضلة وكربم الخصال ، واشاعة المحبة والدعوة الى الايثار والتضحية ونبذ البغض والغل والحقد والتحاسد ، والنهي عن الترف والظلم والاعتداء على

الآخرين •

٦ - النظرة الشاملة الى الدين والدنيا كأمرين متلازمين لايفترقان فالاصالة العربية تجد في الاسلام جامعاً بين مطالب الدنيا والآخرة ، فلا يدع الى الترهيب والحرمان ولا الى التزمّت ، بل دعا الانسان الى العمل للافاء من طيبات الدنيا وخيراتها ، والتزود للآخرة بالتقوى والعمل الصالح •

فهذه هي معالم الاصاله في الحضارة العربية التي تجعل منها أصلاً وأساساً لحضارتنا وتميزها عن غيرها من الحضارات القديمة والحديثة •

الباب الثاني

دراسة المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية والمناطق المحيطة

بها قبل الاسلام .

- المظهر السياسي (اليمن ، كنده ، الغساسنة ، المناذرة ، مجتمع

القبيلة)

- المظهر الاجتماعي (الانساب ، الزواج .

- المظهر الاقتصادي

- المظهر الفكري

العرب قبل الاسلام :

العرب

أقدم النصوص الكتابية التي أشارت الى العرب ، هي النصوص الآشورية التي يعود تاريخها الى سنة ٤ ٨ ق.م . حيث ذكرت هذه النصوص ان القبائل العربية كانت تهاجم ارض ما بين النهرين والشام وكانت تنتقل في البادية الواسعة لاتعترف بفواصل ولا حدود فتقيم حيث الكلاً والماء والمحل المناسب الذي يلائم طبعها (١) .

وكلمة عرب هم اشتقت ؟ فاذا عدنا الى المعاجم العربية نجد ان أصحابها مقتنعين بان كل اسم من أسماء القبائل العربية يعود أساسا الى جدها الاعلى ، فالقبائل الارامية يرجع في اعتقادهم الى " ارم بن سام بن نوح " والاشوريون يرجع الى اسم جدهم " آشور بن سام " وسام هذا في اعتقاد هؤلاء هو ابن نوح واليه ينتسب العرب ، فالعرب حسب هذا التقسيم من الشعوب السامية .

ولكن هؤلاء لم يجدوا في المصادر ابنا لسام اسمه عرب بل وجدوا ان الشعوب العربية القديمة عرف في التاريخ العربي بالعرب العاربة . عماد وثمود ، وطسم ، وجديس . سموا عربا لانهم كانوا يتكلمون باللسان العربي بطلاقة واستشهدوا على ذلك بأن الاعراب في اللغة حسن التعبير .

(١) الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ص ١٢٤ : ج ١ القسم

السياسي .

وقد ذكروا ايضا ان اول من انطلق لسانه بلغة العرب هو عمليق او عربب او هــو
" يعرب بن فحطان " .

ومن هنا أطلق هذا الاسم - العرب العاربة - على الذين تكلموا بهذه
اللغة من سكان الجزيرة العربية القدامى (١)

وبقول هشام بن محمد السائب أحد السابيين :

جزيرة العرب تدعى " عربيه " ومن هنا سمي العربي عربيا ، كما قبل
للهندي : هندي ، وللفارسي : فارسي (٢) .

كما ان المستشرقين أرجعوا لفظة عرب الى أصلها السامي والسدي
معناه " البادية " وقد استشهد على ذلك بان كلمة " الاعراب " في القرآن
تعني البدو (٣) . ولكن كلمة الاعراب تعني البدو من العرب أو من غيرهم
على ان البلاد العربية لم تكن جميعها بادية حيث كانت أجزاء منها حافلة
بأنواع الزراعة والقصور قبل عهد الجفاف ، ولنذكر في هذا المجال مدينة
ارم ذات العماد - التي وصفت بأفضل الحفلات من حيث البناء والمزارع
ولانسى انها كانت في موقع جاف حاليا ، مما يدل على ان تلك المنطقة
لم تكن جافة .

(١) الطبري : ج ١ : ص ٢٠٧ تاريخ الطبري

(٢) مادة عرب - اللسان ومعجم البلدان لياقوت ج ٦ ، ص ١٣٨ .

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب : ج ١ ، ص ١٦٩ - ١٨٤ .

أما متى أطلق العرب على أنفسهم هذا الاسم فإن أقدم نص شمالي وردت فيه كلمة عرب هو نص " امرئ القيس بن عمرو سنة ٢٢٨م وهو الكتابية التي وجدت على قبر امرئ القيس في النمارة .

وأما عرب الجنوب فإن كلمة عرب لم ترد في نصوصهم بمعنسى القومية الخاصة وإنما وردت كلمة أعرب أو عراب مثل اعراب - ملك حضرموت - واعراب ملك سبأ .

ويظهر ان أول من خصص الكلمة علما لقومية سكان الجزيرة هو الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

وأما علاقة العرب بالساميين فإننا نتيجة البحث في المصادر العربية القديمة انه لم ترد في كتاباتهم ذكر السامية والساميين " كما ان النصوص الكلدانية أو اليونانية لم تذكر اسم الساميين .

ولكن السامية اصطلاح حديث يرجع الى القرن الثامن عشر الميلادي ولذلك فإن كلمة عربي وعرب هي أقدم من كلمة سامي . ونستنتج من النصوص التاريخية ان كلمة عربي نعت لأمه فتقدم تاريخها وان اسم سامي أعم من اسم عربي ، وقد جاء في لسان العرب " ان كل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ، ونطق بلسان أهلها فهم عرب (٢) وبذلك يكون كل من سكن

(١) د . جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ج١ ص ١٦٩ - ١٨٤ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب : مادة عرب .

الجزيرة العربية فهو عربي وان لم يكونوا أصلا من العرب حيث سكن الجزيرة أجناس مختلفة تكلموا بلسان أهلها فأصبحوا عربا بطول الاقامة والتوالد . أما المكان الذي سكن به العرب قبل الاسلام فانه كان يضم شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب وقد ضم اليها الجغرافيون العرب شرقي النيل^(١) ، حيث ان المؤرخين العرب مقتنعون بوجود العرب في شمال مصر من أقدم العصور^(٢) ، حيث ان العرب قد سادوا في القسم الشمالي الشرقي من وادي النيل قبل الاسلام ، وقد استطاع هؤلاء أنفسهم ان يسودوا مصر بعد الاسلام ويعربوا الحضارة المصرية . وأما العرب اليوم فانهم يقطنون بقعة جغرافية تضم جميع دول الجامعة العربية ، وذلك بعد ان عرب المسلمون مناطق شمال افريقية من مصر الى المغرب العربي وموريتانيا حيث ارتبطت هذه البقعة مع الجزيرة العربية الام بروابط اللغة والثقافة والتاريخ المشترك والمصير الواحد فتشكل الوطن العربي الحالي وذلك نتيجة التعريب خلال فترات التاريخ الاسلامي وسيادة الحضارة العربية الاسلامية ومع اختلاط الانساب ، وحركات السكان الدائمة بين مناطق الدولة الاسلامية الواحدة ، والتي كانت امتدادا للهجرات العربية قبل الاسلام ، ويعتبر المؤرخون ان أهم الهجرات العربية وأبعدها أثرا في التاريخ هي تلك التي تمت في القرن السابع الميلادي بسبب قيام الاسلام والهدف نشر الدعوة في أقطار العالم .

(١) ياقوت : معجم البلدان : مادة مصر .

(٢) ابن خلدون : التاريخ : ج١ ، ص ٢٨ ، ٤٢

أحوال العرب السياسية قبل الاسلام :

لقد سيطر الجفاف على الجزيرة العربية منذ فترة طويلة عدا بعض أجزائها ، حيث كانت تتساقط فيها الامطار ، مما أدى الى الاستقرار ونشوء المدن والدول ذات الحضارات التي اتسمت حياتها الاقتصادية اما بالزراعة أو التجارة أو الصناعة ، وأشهر المناطق التي عرفت هذا النموذج من الحياة هي اليمن في الطرف الجنوبي من الجزيرة ، كما نشأت بعض المدن في أطراف أخرى . لذلك درج المؤرخون على تقسيم سكان الجزيرة الى قسمين ، عرب الشمال وعرب الجنوب ، حيث كان معظم أهل الشمال يشتغلون بالرعي أو التجارة بسبب الطبيعة الصحراوية التي سادت منطقتهم . بينما عرب الجنوب كانوا يعملون بالتجارة والزراعة والصناعة أحيانا .

عرب الجنوب (اليمن) :-

سبق ان قلنا ان عرب الجنوب ، وبسبب موقع منطقتهم في مهب الريح الموسمية وتساقط الامطار الكافية للزراعة وموقع المنطقة التجاري مما أدى الى تقدم الصناعة ، لذلك وجدت منذ عهود مبكرة قبل الميلاد مجتمعات متحضرة ، أقامت مدنا ، كما أقامت السدود وأنابيب الري المعتمد على جر المياه باقنية خاصة ، وكان من أشهر تلك السدود سد مأرب وهو من أشهر السدود في التاريخ القديم .

وقد نشأت عدة دول في اليمن كانت تسمى بأسماء القبائل السائدة

عليها وكان من أقدمها :-

دولة معين :-

كانت منطقة نفوذها في شمال اليمن ، وعاصمتها قرنا ، والتي دعيبت معين فيما بعد . وبداية شهرة المدينة كانت لموقعها التجاري في طريق القوافل نحو الشمال حيث امتد نفوذ نشاط معين التجاري حتى شمالي الحجاز ، وقد امتد نفوذ دولة معين حوالي ستة قرون من القرن الثالث عشر وحتى السابع قبل الميلاد ^(١) ، وقد نشأ على انقاضها بعدد أن دب الضعف فيها دولة عربية أخرى وهي :

دولة سبأ :-

كانت عاصمتها مأرب ، وقد تميزت هذه الدولة بنفوذها وتقدمها الحضاري ، وقد تحدث عنها القرآن الكريم في سورة سبأ ومن خلال الاحداث التاريخية يرى المؤرخون ان سبأ اليمن هي ذاتها التي ورد ذكرها في الآيات السابق ذكرها ، ويرى المؤرخون أيضا ان مملكة سبأ ليست هي ذاتها التي وصل اليها النبي سليمان حيث ان مملكة سليمان لم تمتد قط الى الجزيرة العربية .

وقد حاولت الدولة الرومانية ان تهاجم سبأ الا انها فشلت فسي السيطرة عليها بسبب المقاومة التي أبداه السبائيون حيث كانت الدولة

(١) د . جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج١ ، ص ٣٨٠ .

في ذروة قوتها • وبسبب أحوال الأرض حيث كان العرب يقاتلون على أرضهم وقد بلغت دولة سبأ ذروة التقدم والتحضر في التاريخ العربي القديم بتجارها التي سيطرت بها على الطريق البري والبحري وكانت مناوئة لرومها بعظمتها في ذلك الحين ، كما أنها اهتمت بالزراعة وبطرق الري ، وكانت تحوى عاصمتهم أعظم سد في حينه وهو سد مأرب الذى نسجت حوله الروايات الخرافية لعظمتته ودقة صنعه ، إلا أنها أخذت تضعف ويأفل نجمها لتحل محالها وترثها أحد قبائلها القوية وهي قبيلة حمير والتي كانت من القبائل السبائية •

دولة حمير :

لم تبلغ دولة حمير قوة سبأ ولا امتدادها أو نفوذها التجارى ورغم ذلك فقد ازداد عليها الضغط البيزنطي ، من الناحية الاقتصادية وبالتحديد السياسي وبجيش من المبشرين ورجال الكنيسة وبدولة الاحباش المجاورة لليمن ، والتي كانت ذات صلات دينية وسياسية مع البيزنطيين ، حيث حقق المبشرون نجاحا في أطراف اليمن مثل نجران ، وقد استطاع أحد المبشرين ان يجعل أحد ملوك اليمن نصرانيا حوالي سنة ٣٠٤ م • وقد تنصر بعد ذلك أحد ملوك اليمن المدعو عبد كليل في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي حيث دان الملوك بعده بالنصرانية وحتى أوائل القرن السادس الميلادي ويظهر من الروايات التاريخية ان أحد نبلاء اليمن وهو ذو نواس وهو من الحميريين قد اعتنق اليهودية ونكل بالمسيحيين وبلغ ذروة التنكيل والقتال ، بمذابح الاخدود التي وردت بالقرآن الكريم ، إلا ان بيزنطة أوعزت الى ملك الحبشة المسيحي ان يرسل جيشا لاحتلال اليمن حيث احتلوا اليمن وقضوا

على ذى نواس وأسرته اليهودية ، وحاول الاحباش مد نفوذهم على بقية
اليمن والقضاء على الحميريين نهائيا واستطاعوا ذلك ، الا انهم لم
يستطيعوا السيطرة على مكة المكرمة بحملة الفيل سنة ٥٧٠ م . وهي
السنة التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم . واستطاع اليمنيون
فيما بعد ان يتحرروا من الاحباش بمساعدة الفرس ، حيث كان نفوذ هؤلاء
ضعيف وكانت اليمن ممزقة الولاء وفي فوضى سياسية مما سهل دخولها
في الاسلام كما سنرى .

أحوال شمال الجزيرة العربية :-

طابع الجفاف هو الطابع المميز لشمال الجزيرة العربية ، وهي
تحويل تحوى رقعة واسعة من الارض المحاطة بالمياه من جهات ثلاث
وبالرمال صعبة المسالك من الجهة الرابعة مما ساعد على صعوبة غزوها
من الدول الكبرى في حينه مثل الفرس والروم ، وهذا طبعها بطابع
الاستقلال المستمر ، هذا اذا استثنينا منطقة ضيقة في الجنوب والتي
تميزت بالخصب كما أسلفنا ، وهذا جعل سكان الجزيرة يعيشون في
نمطين من المعيشة واحد مستقر وآخر بدوي ، على أساس هذا التمايز
روى العرب أنهم ينحدرون من أبوين :

أحدهما قحطان وكان يعيش في الجنوب والآخر عدنان وقد عاش في الشمال

كان نمط الحياة عند عرب الشمال على الاكثر نمطا بدويا ، وقد

بلغ من تأصل القبلية وعمقه انه لم يقتصر وجودها على البادية فحسب بل تعداها الى الحواضر على قلتها وتناثرها في الصحراء المترامية ، فنجد ان كل مدينة كانت تقسم في داخلها الى أحياء سكنية ، ويسكن كل حي قبيلة ونتيجة ظروف الجزيرة قامت بين القبائل المختلفة حروب طويلة وصار الغزو عادة . كما قامت أحلاف بين القبائل كان لها أثر كبير في الحسم السباسب في الجزيرة العربية . الى جانب النظام القبلي - والقبيلة كانت تمثل كل منها دولة أيضا مثل مكة ، يثرب ، الطائف .

وفي هذا المقام لابد من ذكر الاوضاع في كل من مكة ، يثرب لما لهما من تأثير في نشر الاسلام باسم الجاهلية ويظهر ان هذه التسمية قد اشتقت من جهل العرب بالتوحيد وضاللتهم في عدم اتباع شرائع دينية ومن التكبر وسرعة الغضب ، وتاريخ الجاهلية لنا شبه مجهول نكتنفه كثير من الاخبار الاسطورية ، وحتى مكة معلوماتنا عنها فيها كثير من الغموض وأول ما ظهرت هذه المدينة لموقعها الجغرافي السهام في طريق القوافل بين اليمن والشام والمصادر العربية تذكر بأن النبي ابراهيم قد سكن مكة وترك فيها ابنه اسماعيل بين قبيلة جرهم التي سبقت ابراهيم ومن ثم تزوج اسماعيل من تلك القبيلة حيث تحدرت قبائل العرب من اسماعيل وهناك بشر ابراهيم وابنه اسماعيل بديانة التوحيد ، وابتدأ ابراهيم أول بيت للعبادة عرف باسم الكعبة التي أخذ الناس يحجون اليها ولعل ابراهيم كان قد تزوج من قبيلة جرهم العربية وانجبت له ابنة اسماعيل ، حيث بقي عند اخواله ، لبشر بديانة التوحيد ، وكان ابراهيم يزور ابنه ، وكانت اقامة الكعبة هو الذي منح مكة اسمها الاصيل الذي

تطور عنه اسمها الحالي .

ازدهرت مكة مع الايام ، حيث ثار النزاع حولها ، وقد سيطرت عليها خزاعة من جرهم ، وبعد زمن استطاعت قريش طرد خزاعة لتسيطر عليها بقيادة قصي بن كلاب ، ولعل ذلك حصل في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي . ونظم قصي شؤون مكة ، ومنذ أيام قصي أخذ القرشيون يمارسون التجارة بشكل نشط للغاية ، حيث كان يوجد في مكة سوق داخلي ، وتجارة خارجية ، قد تكون عالمية بمقياس ذلك الزمان وكان أهم أسواقها : عكاظ ، وذو المجنة ، وذو المجاز ، وكانت تعقد هذه الاسواق مدة لاتقل عن شهرين من شوال وحتى بداية الحج ، والواقع ان هذه الاسواق قد شهرت مكة ورغبت الناس في زيارتها حيث كان السوق موسم البيع والشراء ، وانشاء القصائد والتفتع بالجوارى ، وشرب الخمر ، والدعاية والتبشير وحل الخصومات واقامة المحالقات ، وقد ساعدت الاسواق قريش من السيطرة على شمال الجزيرة العربية وتوحيد لغتها ، وكانت قريش قد مدت تجارتها نحو القبائل والدول الاخرى وعقدت تحالفات معها سميت بالايلاف ، فكانت رحلة الشتاء والصيف ، وكانت القوافل المكية ضخمة تمثل مكة كلها وكان يقود هذه القوافل أكثرهم مالا وبضاعة وشجاعة ومكانة (١)

وقد ورث قصي ابيه عبدالدار شؤون مكة الا ان عبدمناف نازعه السيادة فانشقت قريش الى قسمين آل عبدالدار وألف حلف الاحلاف ، وآل عبدمناف

(١) الازرقى : أخبار مكة ، ج١ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

بزعامه عبد شمس باسم حلف المطيين حيث تقاسم كل من الحلفيين السيادة في مكة . وقد زادت شرور آل عبد شمس وطفيتهم على الناس وأهل القبائل حيث ظهر حلف جديد حضره الرسول محمد (ص) وكان لهذا الحلف أثر كبير في نفسه وكان من الثورات الاصلاحية ضد طغيان أهل مكة ، حتى قال الرسول (ص) بعد نزول الرسالة عليه ذاكرة حلف الفضول " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب الى به خير النعم ، ولو ادعى به في الاسلام لأجبت " (١)

أما يثرب فقد كانت محطة لقوافل التجار ، وقد كان لها ماضيا زراعيا له شأنه حيث الماء الوفير والزارع الواسعة والارض الرحبة ، وقد بدأ تاريخها السياسي منذ القدم حيث سكنها شعوب من العرب البائدة مثل التموديين والعماليق واللحيانيين حوالي ٢٠٠٠ ق م ، وقد سكنها الاوس والخزرج على أثر تصدع سد مأرب في اليمن حيث شكلوا دولة لهم منها وكان ذلك حوالي ٥٢٠ م . وقد سكن الى جانبهم اليهود الذين كان لهم تسلط على اقتصادها عن طريق الربا . والسيطرة على بعض مزارع المدينة ، وأما عن العلاقات بين الاوس والخزرج من جهة وبين اليهود من جهة أخرى ، فقد كانت على الاكثر علاقات عداوة ، وقد استعان عرب يثرب على اليهود بعرب الشمال ، وان ملك غسان جاء من الشام ليقضي على رؤساء اليهود (٢) كما ان اليهود استطاعوا ان يؤججوا الخلاف بين الاوس والخزرج (٣) وبعد يوم بعثت القبائل العربية في يثرب

(١) ابن هشام : ج ١ ، ص ١٣٠ - ١٣٨

(٢) أبو الفرج الاصفهاني : الاغانى ، ج ١٩ ، ص ١٠١

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٦٧١ .

انها بأمس الحاجة الى الاتحاد .

نظام القبيلة في العصر الجاهلي : نشأ عن طبيعة جزيـرة العرب وحتمية انتقال العرب وراء الماء وطلبها للكلأ ، نشأ النظام القبلي كضرورة اجتماعية وحيوية ، فتنقلوا في جماعات وعشائر لتوفر لأفرادها الحماية والامن . وقد بلغ من تأصل هذه القبلية وعمقها اذ لم يقتصر وجودها على البادية فحسب بل تعداها الى الحواضر على قلتها وتناثرها في الصحراء المترامية ، فنجد ان كل مدينة كانت تنقسم في داخلها الى احياء سكنية ، يسكن كل حي قبيلة ، وحتى ان ذلك استمر بعد ظهور الاسلام ونتيجة لظروف الجزيرة العربية القاسية ، وقلة الماء والكلأ ، كانت تضطر هذه القبائل الى الترحال اذا اجذبت منطقتها لتبحث عن موضوع آخر يتوفر فيه ما يريدون ، فتصطدم مع القبائل الاخرى مما ولد بينهم الغزو وهذا بدوره ولد عداوات وحروب طويلة بين مختلف القبائل العربية ، لذلك كان الفتى ينشأ على الفروسية .

فكان مما انطبع به الفتى العربي اهتمامه ببطولته وظهره ساراً ، لفروسيته^(١) ، وكانت القبيلة وحده قائمة بذاتها ينتسب أفرادها الى جسد واحد على الاكثر يحكمها شيخ ينتخب غالباً انتخاباً من بين الجماعة المسنين الذين يتصفون بصفات واجبة في قيادة القبيلة في ذلك الزمن وكان أهمها السن ، الرأي ، الشجاعة ، والكرم ، المال ، التجربة .

وكان لشيخ القبيلة مجلس استشاري ، وعلى الاكثر كان يشاورهم في أمور القبيلة ، وقد سمي هذا المجلس أحياناً بالملأ مثل الملأ المكي

(١) عبد العزيز الدويري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص ٤٩ .

وهو مجلس الوجهاء من أهل مكة الذي كان رئيسه أمير من فيه وهو مع ذلة مقيد برأى المجلس ، وهذا يدلنا على ان شيخ القبيلة أورثيسها لم يكن ليخرج عن رأى الاكثرية . وقد اشتهر العرب بعلم الانساب لما كان للقبيلة من أهمية في حياتهم ، وكان النظام القبلي نظام اقتصادى سياسى اجتماعى . أى انه يجمع صفات الدولة القائمة بذاتها ولكن دون حدود ثابتة بسبب الظروف البيئية كما أسلفت سابقا .

مملكة كنده

تنسب قبيلة كنده الى ثور بن عفير حيث يصل نسبهم الى كهلان بن سبأ وثور هو (كنده) (١) .

تأسست مملكة كنده في النصف الثاني من القرن الاول قبل الميلاد حيث امتد نفوذها من شمال الجزيرة العربية الى جنوبها مع أحلافها الان مملكة سبأ وذى ريدان قد تغلبت عليها فأصبحت خاضعة لتلك المملكة

كانت مواطن كنده الاصلية بجبال اليمن من جهة حضرموت (٢) ومن أشهر ملوك كنده حجر آكل المرار الذى اعتبر أول ملوكها لما قام به من اصلاح بقومه وساسهم أحسن سياسة وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل .

(١) ابن حزم : حميرة : أنساب العرب ، ص ٦ ٣

ابن خلدون : التاريخ : ج ٢ ، ص ٢٧١

(٢) ابن خلدون : التاريخ : ج ٢ ، ص ٢٧ .

وهو اول ملك من ملوك كندة ، واول زعيم من زعمائها استطاع توحيد صفوفها ومن تغليبها على قبائل اخرى ، ومن توسيع رقعة اراضيها حتى بلغت حدود مملكة لخم . وقد توفي حجر في بداية القرن السادس الميلادي . وقد تولي الملك بعد حجر ابنه عمرو الملقب بالمقصور وذلك لان ملكه قصر عن ملك ابيه ، ولم يكن له نفس همته ، حيث ثارت عليه ربيعة لانها ارادت التخلص من حكم كندة لها . وكان ملك عمرو بن حجر قصيرا . ثم انتقل الحكم الى ابنه الحارث وقد استطاع هذا ان يجمع الى ملكه ملك الحيرة وآل لخم في الفترة ما بين ٥٢٤ - ٥٤٨ هـ . وكان سبب نجاح الحارث في التغلب على الحيرة ، هو اهمال ملك الفرس لشؤون الحيرة ، وانتشار آراء مزدك الهدامة في المملكة ، الا ان كسرى انوشروان استطاع اعادة المنذر بن ماء السماء الى الحيرة حيث خرج منها الحارث بن عمرو هاربا الى بني كلب ، الا ان بني تغلب استغلوا الموقف وانتهبوا ماله واسروا من قومه جماعة بينهم ابناؤه عمرو ومالك فقتلوا مع الآخرين . وقد قسم الحارث ملكه بين ابنائه . اما الحارث نفسه فقد قتل على يد ملوك الحيرة ^(١) وقد بقي ابناؤه من بعده يقاتلون ملوك الحيرة انتقاما لابيهم . كان الحارث بن عمرو من الرجال العظام الذين لعبوا دورا بارزا في السياسة المحلية ، وتعدى دوره الى العالم المجاور ، حيث عقد الامبراطور البيزنطي معه صلحا لتأمين المدن السورية من هجمات كندة .

ذكرنا ان ملك الحارث قد قسم بين ابنائه حيث كان نصيب حجر بن الحارث قبائل اسد وكنانة ، وكان هذا مكروها من بني اسد بسبب كثرة

(١) اليعقوبي : التاريخ ج^١ ص ٢١٧ .

الضرائب ، ولما رفضوا هاجمهم بجيش ضخم ، ورغم تغلبه عليهم ، فقد هاجم بعضهم معسكره وقتلوه ونهبوا معسكرا .

وقد أعطى شر جبيل بن الحارث المنطقة الشرقية من مملكة أبيه كما أعطى سلمه بن الحارث ملكا على تغلب وماجاورها وقد استطاع ملك الحيرة ان يوقع بين الاخوين بالدسائس حتى تحارب الاخوان وقتل شر جبيل كما أخرج سلمه عن حكمه وقتل .

امرى القيس بن حجر :-

يذكر الرواه ان حجر بن عمرو حين طعن أوصى لابنائيه بأن يأخذوا بثأره ، فاجتمعوا جميعا عن ذلك عدا أصغر أولاده امرى القيس ، فوجده رسول حجر مع نديم له يشرب الخمر ويلعب بالنرد . فاخبره بمقتل أبيه وكان امرى القيس الشاعر المشهور قد طرده أبوه لقوله الشعر فطاف بأحياء العرب مع أصدقائه يشرب الخمر وتغني له القيان ، وعند قتل أبيه كان في أرض اليمن ، فقال عندما سمع عن ذلك ، قوله المشهور ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا ، لاصحو اليوم ولاسكر غدا ، اليبس خمر وغدا أمر والى الا يأكل لحما ولايشرب خمرا ولايدهن بدهن حتى يدرك ثأر أبيه (١) .

سار امرى القيس مع جماعة من تغلب وبكر الى ديار بني أسد

(١) الاغاني للصفهاني : دار الكتب : ج٩ ، ص ٨٧ - ٨٨ .

لينتقم منهم ، وقد استطاع ان يثأر منهم ، الان بني أسد ارتحلوا فرفض جماعة امرىء القيس ملاحقتهم ، ولما يئس منهم ارتحل الى قبائل اليمن يطلب المساعدة دونما فائدة ، فاستعان بالسموأل الذى أكرمه وحماه وتوسط لدى ملك الغساسنة ليكون وسيلته الى الامبراطور البيزنطي جستنيان لعلّه يساعده بثأره^(١) ، وصل امرىء القيس الى بيزنطة ، الان هذا لم يساعده بل يقال انه دس له السم بلباس أهذاه اياه حيث سقط جلده وتقرح وتوفى في أنقره وهو عائد الى بلاده ودفن هناك^(٢) .

هكذا انتهت دوله كنده ولم يبق من الكنديين سوى أحفاد آكسل العرار من أبناء معاوية أخى عمرو المنصور حيث بقوا يحتفظون بالرياسة في البحرين وحضرموت.الذين انضوا تحت لواء الاسلام بعد حروب الردة .

حضارة دولة كنده :-

كان الكنديون بدو رحل ظهر منهم شعراء عظام أمثال امرىء القيس بن حجر ومعدى كرب بن الحارث .

ديانتهم كانت الوثنية ، واعتنق بعضهم اليهودية ، كما اعتنق بنو تغلب وبعض بني أسد المسيحية التي انتقلت اليهم عن طريق الغساسنة وأحباش اليمن .

(١) ابن الاثير : التاريخ : ج١ ، ص ١٦

(٢) المصدر نفسه : ج١ ، ص ١٩

كانت كنده زعيمة لاتحاد قبلي يضم قبائل مختلفة تعترف بزعامتها
وتدين بالولاء لها .

وقد أدى ذلك الى استقرار شؤون القبائل في الجزيرة العربية ونشر
للامن والنظام فيها ، وقد حلت دولة المناذرة محلهم لفترة قصيرة لانها
تفككت وحدتهم بعد ذلك بسبب سقوط المناذرة ، فاستقلت كل قبيلة
بشؤونها الداخلية ، حتى جاء الاسلام الذي وحد الجزيرة العربية ودمج
قبائلها نحو الفتح لتتشرك بنشر الاسلام ليقوم الدولة الاسلامية الكبرى .

الفاسنة :-

جاء الفاسنة الى بلاد الشام من اليمن على أثر حادثة السيـل
العـرم ، وقد سمي الفاسنة بهذا الاسم بسبب نزولهم على ماء اسمه غسان
في أرض اليمن (١) .

وكان أول ملوكهم هو جفنه بن عمرو ، ويذكر الاخباريون ان هـذا
تنبأ بخراب سد مأرب فرحل بقومه الى الشام قبل القرن السادس الميلادي
وقد اعتنق هؤلاء النصرانية متأثرين بالبيزنطيين .

وكان من أشهر ملوكهم الحارث بن جبلة الذي كان له شأن كبير في

(١) المسعودي : مروج الذهب : ج٢ ، ص ١٠٦ .

تاريخ المنطقة وذو صلات مع البيزنطيين من جهة والمناذرة والفرس من جهة أخرى . وقد منحه جستنيان امبراطور الروم لقب ملك ليقف بوجهه المناذرة بدفع من الفرس والغساسنة بدفع من الروم . ومن هذه الحروب ان الحارث اشترك بقومه مع الروم في حربهم مع الفرس عام ٥٢١ م الا ان الحرب توقفت بسبب الصلح بينهما حتى سنة ٥٤٤ م حيث عاد النزاع لينهمزم الحارث أمام المنذر ملك الحيرة ، ثم انتقم الحارث بمعركة أخرى لتبقى الحرب سجالا حتى قتل المنذر سنة ٥٥٤ م .

وكان الحارث من أتباع الطبيعة الواحدة في السند المسيح وقد استطاع نشرها في بلاد سوريا ، وحكم مدة طويلة حيث توفي حوالي ٥٧٠ م ، واشتهر ملكه في فترة الملوك العظام عند الروم جستنيان وعند الفرس كسرى انوشروان وفي الحيرة المنذر بن ماء السماء .

خلف المنذر بن الحارث أباه على ملك الغساسنة ، حيث عاودت الحرب بين المناذرة والغساسنة ، واستطاع اجبار الروم على الاعتراف بملكه لحاجتهم له بالدفاع عن أملاكهم ضد المناذرة ، كما ان المنذر هذا قام بعده اعمال عمرانية في بلاد الشام منها بناء صهاريج لايصال الماء إلى الرصافة وبناء كنيسة فيها . وأخيرا حقد البيزنطيون على المنذر بسبب الحارث لتهم ملفقه ضده فقبض عليه ونفي إلى صقلية ، وقطعت الاعانة عن الغساسنة ، فثار هؤلاء وتوغلوا في الصحراء معلنين العصيان الا ان الروم قاموا بخديعة زعيمهم والقبض عليه لينفي ، فكان نتيجة ذلك ان تصدع أمر الغساسنة ، فحدثت اضطرابات في الامن ومشاحنات بين القبائل العربية

في سوريا • لتنتقل الزعامة الى آل جفنه •

وكان آخر ملوك الغساسنة جبلة بن الايهم • ولما جاء الاسلام وقسف هؤلاء ضد المسلمين مع الروم فاعلن جبلة اسلامه بعد هزيمته على يـسـد خالد بن الوليد ، ومالبث ان زاد المدينة ليتركها بعد حادثته المشهورة مع عمر بن الخطاب •

حضارة الغساسنة :-

سيطر الغساسنة على منطقة جنوب سوريا والاردن وفلسطين ومابين الجولان واليرموك (١) ، واتخذوا مدينة الجابية (٢) عاصمة لهم •

تأثر الغساسنة بحضارتي بيزنطة والفرس واهتموا بالزراعة بسبب صلاح أرضهم ، واستغلوا المياه الى أبعد الحدود المعروفة في ذلك الزمان كما اهتم الغساسنة بالعمارة حيث عمروا المدن والضياع وأقاموا القصور والقناطر والابراج وبنوا الاديرة ، وقد وصلنا الكثير عن حضارتهم عن طريق الشعر العربي للاسلام مثل النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وغيرهما •

(١) المسعودي : مروج الذهب : ج٢ ، ص ١٠٩

(٢) الجابية : تقع بالقرب من مرج الصفر شمال حوران وهي المدينة التي عـفـد

عمر بن الخطاب فيها المؤتمر مع القادة المسلمين لوضع سياسة حكم

الشام ومسيرة الفتوحات التالية •

المنافرة :-

المنافرة من عرب الجنوب وهم قبائل تنسوخ التي هاجرت من اليمن
اثر تصدع سد مأرب ، واستقرت في أول الامر في البحرين ، ومن ثم أخذت
تهاجم منطقة الحيرة والأنبار في جنوب العراق في فترة ضعف الدولة الفارسية
وتظهر الروايات ان التنوخيين مجموعة من القبائل استفادت من ضعف الدولة
البارثية الفارسية ليستقروا في منطقة مرور القوافل التجارية المارة في منطقة
سكناهم .

اتخذ التنوخيون الحيرة لماصمة لهم ، ويظهر انها مدينة قديمة
معناها المخيم أو المعسكر (١) وقد اشتهرت بطيب هوائها حتى قيل
" يوم وليلة بالحيره خير من دواء سنه "

قسم الاخباريون أهل الحيرة العرب الى ثلاث أقسام :-
تنوخ ، والعباد ، والاحلاف (٢) ، أما التنوخيون فهم العاملون في الزراعة والبدو
وأما العباد فهل أهل الحضر والمدن وانهم كانوا نصارى ، حيث كانوا يعبدون
الله فسموا بالعباد (٣)

وأما الاحلاف منهم بقية العرب الذين نزلوا الحيرة .
وأما مدينة الأنبار فقد كانت تقع على نهر عيسى الذي يصل الفسرات
بدجلة لذلك كانت مركزا تجاريا عظيما ، فأصبحت أشبه بالمخزن ويذكر
الطبري عن الأنبار " انما سميت أنبار لانها كانت تكون فيها أنابيب الطعام

(١) د . جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام : ج٤ ، ص ٥

(٢) الطبري : التاريخ : ج١ ، ص ٥٥٨

(٣) جواد علي : ج٤ ، ص ١٥

وكانت تسمى لاهراء ، لان كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها (١) .

وكان من أشهر ملوك الحيرة جذيمة الابرش الذي سيطر على أكثر
أرض العراق وامتد الى خارجها وكان من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم
مضارا ، وأشدّهم نكاية وأمل من استجمع له الملك بأرض العراق ، وضم اليه
العرب ، وغزا بالجيوش (٢) .

وتذكر بعض الروايات على ان مقتل جذيمة على يد الزباء ملكة تدمر
انتقاما لمقتل أبيها ، وفي رواية أخرى ان احدى بنات الزباء هي التي قتلت
غيلة (٣) .

انتقل الملك على الحيرة الى ابن أخت جذيمة وهو عمرو بن عدي تحالف
مع الفرس ومد نفوذه على القبائل المجاورة ، وقد حكم الحيرة مدة خمس
وخمسين سنة (٤) وتولى الحكم بعده عدد من أبنائه وأحفاده منهم امسرى
القيس الاول وهو أول من تنصر من ملوك الحيرة وفي عهده كانت الحرب بين
الفرس والروم التي اشترك بها المناذرة ، وان ملكه قد توسع ليضم جزءا
واسعا من شمال شرق الجزيرة العربية وبادية الشام (٥) . ثم تنالى ملوك

(١) الطبرى : التاريخ : ج ١ ص ٦١١

(٢) الطبرى ج ٢ : ص ٦١٣

(٣) أبوحنيفة الدينورى : الاخبار الطوال ، ص ٥٥

(٤) اليعقوبي : ، التاريخ : ج ١ ، ص ٢٠٩

(٥) الطبرى : التاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٣

اللخمييين ، وكان أشهرهم النعمان الاول الذي يصفه المؤرخون بأنه كان محارباً قوياً ورجلاً حازماً ، ينسب اليه بناء قصر الخورنق الذي اشتهر في كتب الادب والتاريخ ، والذي بناه سنمار ^(١) وقد قيل به المثل الشهير " جزاء سنمار " وقد اشتهر عن النعمان اسم السائح وذلك لانه ترك ملكه سائحاً عابداً لله ملتصقاً ما عنده ، وذلك بعد تنصره .

وكان من ملوك الحيرة المنذر الاول الذي فوضه يزدجرد بحكم جميع ارض العرب ^(٢) وقد لعب المنذر دوراً هاماً في الحرب بين الفرس والروم عام ٤٢١ م . وقد تولى بعد المنذر الاول عدد من الملوك ليسوا من المشهورين حتى مجيء المنذر بن ماء السماء الذي تجددت الحرب بين الفرس والروم في عهده أيضاً والذي حقق عدة انتصارات على الروم وقد عين الروم الحارث بن جبلة ملكاً على الفساسنة ليحارب المنذر هذا وقد بقي الصراع بينهما حتى سنة ٥٥٤ م .

وفي زمن المنذر هذا اتبعت الدولة الفارسية المزدكية على يد كسرى قباد الذي حاول اجبار المنذر باتباع المزدكية الا انه رفض فعزلته قباد والتجأ الى القبائل العربية ليعود ملكاً على الحيرة بعد القضاء على قباد ، والمنذر بن ماء السماء المشهور بيوميه يوم بؤس ويوم نعيم يذبح في يوم بؤسه كـل من يلقاه ويحسن يوم نعيمه الى كل من يلقى من الناس ويخلع عليهم ^(٣) .

(١) ياقوت : معجم البلدان : مادة خورنق .

(٢) جواد علي : مصدر سابق : ج٤ ، ص ٤٤

(٣) أبي فرج الاصفهاني : الاغانى : ج٥ ، ص ٢١٣ .

وجاء بعده ابنه عمرو بن هند . الذي كان له شهره عند الشعراء
الجاهليين ، حيث كانت مجالسه حافلة بأخبار المنافسات الشعرية . وكانت
نهايته علي يد الشاعر عمرو بن كلثوم للسبب الذي ذكره بمعلقته (١) .

وكان آخر ملوك الحيرة هو النعمان بن المنذر الملقب
بأبي قابوس الذي عزله كسرى ابرويز القى القبض عليه وسجنه . حيث توفي
هناك ليعلن مكانه اعرابيا . ويظهر ان قتل النعمان كان سببه تطلعات النعمان
في التحرر عن سيطرة الفرس بجميع العراق . وكان الذي عين هواياس بس
قبضة .

وفي زمن اياس هذا كانت معركة ذي قار المشهورة بين العرب والفرس
وملخص سبب الحرب ان النعمان بن المنذر قبل ان يقبض عليه كان قد أودع
عِياله وأمواله عند هانيء بن مسعود أحد زعماء بكر بن وائل ، ولما طالب
ابن قبضة بأموال النعمان رفض هانيء ان يسلم الامانه ، فتدخل كسرى وهدد
بني بكر ، فاختر هؤلاء الحرب وعدم الاستسلام فكانت معركة ذي قار المشهورة
التي وضع العرب فيها كل ثقلهم وأبدوا بساله منقطعة النظر وكان النصر
فيها للعرب رغم قلة امكانياتهم ، وكانت أول يوم انتصفت فيه العرب من
العجم (٢) . وقد اعطت هذه المعركة العرب ثقة كبيرة بأنفسهم ، وكانت
بمثابة حركة استطلاعية ومقدمة للفتوح الاسلامية .

(١) المصدر السابق : ج ١١ ، ص ٤٢

(٢) حديث للرسول في المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ، ص ٢٧٨

حضارة الحيرة :-

كان لموقع الحيرة في عصر المناذرة بين العراق والشام والجزيرة العربية أثر كبير في تطورها الحضاري وذلك لتأثرها بالثقافات العالمية كالفارسية واليونانية والسريانية . وكان أهل الحيرة يتقنون الفارسية مما ساعدهم على نقل الحضارة الفارسية الى العربية . كما كان ملوك الحيرة يشجعون الشعراء ، وكان بلاطهم موئل الشعراء الجاهليين ومن أشهرهم المرقشسي الاصغر والمتلمس ، وطرفة بن العبد وعبيد بن الابرص والمرقشسي الاكبر والنابغة الذبياني وحسان بن ثابت وعمر بن كلثوم وغيرهم . كما اشتهرت الحيرة بمدارسها ومعاهد العلم . ويعتبر البعض ان أساس الخط العربي هو الخط الحيري .

كما تقدم الطب في زمن اللخمييين ، وظلت الحيرة مركزا طبيا هاما في العهد الاسلامي ، وقد اشتهر أهل الحيرة بالزراعة والرعي وقد أنشئت فيها مزارع النخيل كما اشتغل الحيريون بالتجارة التي أدت الى تدفق الثروات عليهم

وكانت الصناعة الحيرية متقدمة مثل صناعة النسيج الحريري والكتاني والصوفي . كما اشتهرت الحيرة بصناعة السيوف والرماح والسهام .

أما العمارة فقد تجلت بها عبقرية الحيريين ، ورغم انهم تأثروا بالعمارة الفارسية فقد طوروها حتى أصبح فنهم العمراني خاصا بهم قائما بذاته ، وكان مثالا يحتذى به في العمارة الاسلامية فيما بعد .

أما ديانة المناذرة فقد كانت متعددة من الوثنية الى الصائبة
والمجوسية والنصرانية واليهودية .

مجتمع القبيلة :-

حافظ العرب قبل الاسلام على وحدة القبيلة التي كانت تشكل مجتمعا
له صفات موحده ، وذلك رغم ان العرب كانوا بدوا وحضرا ، فانهم كانوا
على السواء مجتمع قبلي ، فالروابط القبلية هي أقوى الروابط ، يدين الفرد
بانتسابه للقبيلة ، بعاداتها وتقاليدها ومثلها ، فهي ان رشدت رشد وان
غوت غوى . لذلك فان رابطة القبيلة هي أقوى الروابط ، لانها عصبه واحدة
وكان هذا بسبب ما كان يحتاج اليه الفرد من حماية ، فهو المدافع عن
قبيلته ، والقبيلة هي الملاذ الاول والاخير له . كانت صفة التنقل هي الصفة
الرئيسية للبدو ، وكان سبب ذلك الحاجة للماء والعشب ، فان جذبت منطقته
كان يضطر للرحيل الى مكان أفضل ، فان وجدت القبيلة قبيلة أخرى كانت
الحرب على الماء ، ويظهر لي ان ذلك كان من الاسباب الرئيسية للغزو
مما ولد عداوات مستمرة بين بعض القبائل المتجاورة . أما من حيث تكوين
الاسرة فكانت بسيطة من الاب الاكبر وأبنائه وربما زوجاتهم ، حيث كان
رأي الاكبر محترما بين أفراد الاسرة ، وأما وضع المرأة فيظهر لي من خلال
الاشعار العربية انه كان وضعها محترما حيث كانت تتمتع بفسط كبير من
الحرية ، تستشار في أمور هامة كثيرة ، تشارك الرجل باعماله ، حتى ان
بعض العرب كانوا يفتخرون بانتسابهم لامهم ، وان بعض القبائل سميت بأسماء
امهاتهم ، وعند الزواج كانت العادة ان تستشار البنت بأمرها ، ولاتتزوج الا

برضا أهلها ، وكان يعرف عن العربي غيرته على زوجته وبناته ، وقد كان العرب يكثرون من عدد الزوجات طمعا بكثرة الانجاب . وكان العربي ينظر الى أبنائه نظرة محبة واحترام ، وكان ذلك ينسحب على بقية أفراد القبيلة الا ان القبيلة . اذا انشقت عنها بطون أخرى كان يحصل بينهما التنافس اما على المادة من ماء وكلاً وطعام أو على الرئاسة .

أما بعض العادات السلبية مثل الثأر فقد نشأت من أجل الدفاع عن القبيلة ، وربما كانت أحيانا ايجابية بحيث كان يمتنع الفرد عن مقتل فرد آخر من القبائل خوفا من الثأر ، لذلك كان الثأر عاملا رادعا ومنعاً للقتل في أرض صحراوية لا وجود ولا أثر للدولة والنظام فيها . وقد نشأت لدى العربي صفات أصبحت موروثة وأصلية منها ، الشجاعة ، الكرم والنجدة ومساعدة المحتاج ، وقد كان سبب ظهور هذه الصفات البيئة الصحراوية القاسية التي يحتاج فيها الانسان الى مساعدة الآخرين .

ومن العادات السلبية عادة وأد البنات أو قتل البنات .

أما وأد البنات فقد كانت خوفا من العار ، حيث أشار القرآن

الكريم الى ذلك بقوله تعالى :

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾

﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ

أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾

(١) سورة النحل : آيه ٥٨ ، ٥٩ .

المجتمع العربي قبل الاسلام

العرب كانوا ينقسمون الى قسمين بدو وحضر او اهل وبر واهل مدن ، اما اهل المدن فقد كانوا يعيشون في الحواضر والقرى ويعيشون على السزرج والنخل وتربية الماشية والتجارة . اما اهل الوبر فقد كانوا يعيشون في المحارى او على اطرافها على تربية الابل ليشربوا البانها وياكلوا لحومها وفي بعض الاحيان يربون الاغنام يتنقلون بقطعانهم من مكان الى آخر لمنابت الكسلا فيخيمون هنا وهناك ما ساعدهم الخصب وامكنهم الرعي فان قلرحلوا طلبسا للعشب والماء ، فلا يزالون في حل وترحال (١) .

وحياة العرب بشكل عام تكاد تكون حياة واحدة لا تغير فيها ولا تبدل، فهي على وتيرة واحدة ، على تعدد القبائل ، وابتعاد مواضع بعضها عن بعض ، ذلك لان الظروف الخيمة عليهم ظروف واحدة لا اختلاف فيها ولا تبدل ، الا ما كان منها بالنسبة الى اعراب الضواحي والحواضر فان ظروفهم تختلف عن هؤلاء ، ومجال تفكيرهم اوسع من مجال تفكير الاعراب (سكان الصحراء) بسبب نوع المعيشة المتغير ، لمتصل بالارض ، وقربهم من الحضر ولو درسنا حياة القبائل في الجاهلية، وجمعنا دراستنا من المروى عنها في الكتب ، وجدنا ان بين الماضي البعيد وبين الحاضر شبا في نمط الحياة (٢) .

(١) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٨ .

(٢) د جواد علي المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج٤ ص ٣٠٢ .

كانت الوحدة الرئيسية المتجانسة في الحياة العربية قبل الاسلام هي القبيلة ، حيث كانت عماد الحياة في البادية بها يحتمي الاعرابي في الدفاع عن نفسه وعن ماله ، حيث لا دولة تحميه ، لكن العصبية التي تأخذ بالحسوق والاعراف التي يجب ان تطاع .

والرابط الذي يربط افراد القبيلة كان يدعى بالنسب .

انساب العرب :-

والنسب هو ارتباط ابناء القبيلة كلها بنسب واحد وبحلب جد واحد اعلى من صلبه انحدر افراد القبيلة باعتقادهم ، ولهذا تجد اهل الاسساب يرجعون نسب كل قبيلة الى جد اعلى ، ثم يرجعون انساب الجدود ، اي اجساد القبائل الى اجداد اقدم وهكذا ، حتى يملوا الى الجدين للعرب : قحطان ، عدنان (١).

وقد كان النسب " وهي رابطة الدم بين افراد القبيلة " هو الفومية ورمز المجتمع السياسي في البادية ، والقبيلة هي الحكومة الوحيدة التي يفقهها الاعرابي ، حيث لا يشاهد حكومة اخرى فوقها . وما تقرره حكومته هذه من قرارات يطاع وينفذ ، وبها يستطيع ان يأخذ حقه من المعتدى عليه .

هذا التعريف للقبيلة انطبق على الاعراب واهل الحضر فهناك قريش ،

(١) جواد علي : مصدر سابق ج٤ ص ٣١٣ .

والاوس ، والخزرج ، وثقيف فهي اجزاء من القبائل الا ان المجموعة من القبائل
تجمع ما يسمى بالشعب وهو فوق القبائل مثال ذلك بنو قحطان ، وبنو عدنان ،
كل منها شعب . وكانت اقسام القبيلة تدعى العماراة والاقل منها البطن ثم الفخذ
ثم الفصيلة +

وكأ مثلة على تلك الانساب فالشعب وهو النسب الابعد مثل عدنان
قحطان ، والقبيلة مثل ربعة ومضر ، والعماراة مثل قريش وكنانة والبطن مثل
عبد مناف وبنو مخزوم ، ومثل بني هاشم وبنو امية . والفصيلة مثل بني ابي
طالب وبنو العباس ^(١) وقد قسمت هذه الى اقسام اصغر وكان اصغرها الاسرة
اي البيت الواحد ، حيث كانت نواة القبيلة وبذرتها ، ومن نموها ظهرت
شجرة القبيلة ، وان البيت او الاسرة هو نواة المجمع في المجتمعات الانسانية
قديمها وحديثها .

القحطانية العدنانية :-

القحطانيون والعدنانيون قضية اعتبارية حيث ان هذا التقسيم للعرب،
ليس تقسيما معتمدا على علم الاجناس، لان العربي القحطاني الجنوبي فيه من التباين
والاختلاف عن القحطاني الشمالي ، نفس الاختلاف عن العدناني ، حيث ان الشمالي
اقرب الى العدناني بسبب النسب ، وهذا يضطرننا الى القول بفساد نظرية النسابين
في اصل القبائل العربية ، ولا بد من اعتبار النسب القحطاني او العدناني رمزا

(١) محمد محي الدين عبدالحميد : تاج العروس ج ٩ ص ١٤١ بطن .

أخذ من صراع قديم ، أو أحلاف قديمة ، تحول إلى جدين بجماعتين ^(١) لذلك نستطيع القول أن غسان ولخم وكلب وكندة من القحطانيين الشماليين هم أقرب إلى القبائل العدنانية من حيث الشكل واللهجة نستنتج من ذلك أن قحطان ليس بجذ لك القبائل المعروفة وعدنان لم يكن جدا لجميع القبائل العدنانية ، وإنما هما كناية عن مجموعة قبائل ، تدعى عند العرب بالحلف .

نسب القحطانيون إلى قحطان وهم عرب الجنوب أو من نزح عن الجنوب ليسكن الشمال كما ذكرنا سابقا . ونسب العدنانيون إلى عدنان وهم عرب الشمال .

وهناك لفظ آخر لعرب الشمال والجنوب . فقد دعي عرب الجنوب باليمانية وعرب الشمال بالنزارية وكان ذلك في العصر الأموي ، وقد كان بين الفئتين نزاع شديد استمر طيلة فترة الحكم الأموي .

ومن المعروف أن تسجيل العرب لم يبدأ إلا في زمن تدوين الديوان في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للأسباب المعروفة .

(١) د . جواد علي ج ١ ص ٤٨٢ .

اركان القبائل :-

قسمت العرب بعد عدنان وقحطان اربعة اركان :-

ربيعية ومضر ويمن وقضاع^(١) ولا يمكن ان يخرج نسب عربي اصيل عن اصل من هذه الاصول . وان هناك تقسيمات اخرى وردت على لسان بعض النسابيين ، وقد ارجع المأمون الخليفة العباسي اصول العرب الى قيس ويمن وربيعية ومضر ، فيمن كناية عن العرب الجنوبيين من همدان وحمير وكندة واما قيس وربيعية ومضر فكناية عن تكتلات وتجمعات العرب من غير اليمن . وهناك آراء اخرى في تقسيم العرب الى اركان وكتل ، وهي آراء عربية محضة اخذت من واقع الحال . ولم تستمد من التقسيم المألوف للعرب الى قحطانيين وعدنانيين ، ذلك لان الحياة في بلاد العرب هي حياة تكتل ، فكان لا بد للقبائل من عقد احلاف فيما بينها للمحافظة على نفسها من افتراس القبائل الكبيرة لها ، ومن استذلالها واخذ ما تملكه . وبهذه الاحلاف حافظت القبائل الضعيفة على حياتها ، وجدت من طمع القبائل الضخمة في القبائل الهزيلة ، وصار في الامكان السيطرة على الامن والتقليل من حمى عزو القبائل بغضا بعضها^(٢) .

وكانت حاجة الاحلاف لاهل السادية اهم من اهل الحضرة ، ذلك لان الصحراء منبسطة حيث لا يوجد حواجز طبيعية تدافع بها عن نفسها من جهة ، وان الغزو كان ضرورة من ضرورات الحياة بسبب فقر الصحراء وشحها ، فكانت الاحلاف

(١) بلوغ الارب ج ٣ ص ٢٠٣ .

(٢) د . جواد علي مصدر سابق ج ٤ ص ٣٢٧ .

حماية طبيعية اصطفتها القبائل لنفسها . وكانت الاحلاف اما دفاعية لحماية المال والانفس ، ولايقاف المعتدين ، واحلاف هجومية من اجل غزو حلف آخر . وكانت هذه الاحلاف قصيرة العمر اما لزوال اسباب وجودها او لاختلاف المتحالفين بالمصالح الخاصة لكل منهم .

ومن المعروف عند عرب البادية ان لكل قبيلة ارضا تعيش عليها وتنزل بها وتعتبرها ملكا لها تنتشر بها بطونها وعشائرها ولا تسمح لغريب النزول بها او المرور بها الا بموافقتها ورضاها وقد اختصت كل بطن منها بناحيته فانفرد بها واعتبرها ارضا خاصة به . وقد كانت هذه الارض تسمى بمنسزل القبيلة تستوطنها وتقيم فيها فتسمى دار اقامة ، وقد كانت احيانا بعض القبائل تتخذ جبلا او واديا حدودا لها او اية معالم بارزة ، وبما ان هذا ليس ثابتا فقد كانت الحدود سببا دائما من اسباب النزاع المستمر . ولا بد ان تشمل ارض القبيلة مواضع للماء ابارا او عيون ماء تتفق القبيلة فيما بينها على حقوق السقي . وقد كانت القاعدة ان المياه مشاع للقبيلة عدا المياه التي تحمي للسادة والرؤساء او الأبار الخاصة التي يحفرها اصحابها . وان ارض القبيلة هي حمى لها لا يجوز لاحد اجتيازها الا باذن من تلك القبيلة والا تعرض للقتال . لذلك كان التجار يدفعون ترضية لزعماء القبائل مقابل السماح لهم بالمرور وذلك بدل حماية تجارتهم .

اما زعامة القبيلة ورئاستها فقد كانت توضع بشخص يقال له رئيس القوم او سيد القبيلة .

كان سيد القبيلة يتحلى بصفات حميدة حتى يعترف الناس بسيادته
وكان اهمها ان يكون شريفا في افعاله حليما كريما ، يفض النظر عن اعمال
الحمقى والجهلة ، وان يتجاهل السفلة والسفهاء الجاهلين . فلا يفض ولا
يثور ، وان يكظم غيظه . جاء في المثل : احلم تسر (١) وان يحترم الناس
مهما كانت منازلهم ، وان يؤلف بينهم ويكتسب محبتهم وان يكون ملاذهم ،
وان يجعل بيته بيتا للجميع ومضيفا لكل من يعز اليه من كبير او حقيـر
او صغير ، وان يفتح قلبه للجميع (٢) ومن صفاته الاساسية ان يكون شجاعا
في مقدمة القوم في الحروب ، قائدا لقومه في الحرب . هو اب للجميع افراد
القبيلة هو شعار القبيلة وروحها ، واذا اصيب زعيم القبيلة او قتل في
المعركة كانت تنهزم على الاكثر ، الا اذا وجدت من يثير فيها الحماسة،
لذلك كانت الاعداء وفرسائها توجه اهتمامها نحو مهاجمة الزعماء ، وحاملي
الرايات ، فان قتل اى منهم يعين على الفور بديل عنهم ، حيث يختار هؤلاء
من الذين اشتهروا بالشجاعة والبلاء في الحروب ليقودوا افراد قبيلتهم نحو
النصر .

اما كيفية تعيين رئيس للقبيلة ، فقد تبين انها كانت بالوراثة
للأبن الاكبر في كثير من الاحيان ، او بالانتخاب في احيان اخرى اذا توفي رئيس
القبيلة وليس له من يخلفه ، او عند وجود تنافس وتباغض بين الرئيس المتوفى .
حيث يجتمع من اشتهروا بالكفاءات والتفوق فينتخبون اكفأهم .

(١) ابن حزم : بلوغ الارب ٩٩/١ .

(٢) لامانس : مجلة المشرق ١٩٣٢ عدد (٢) ص ١١٠ عن جواد علي مصدر سابق .

تسجيل العرب للنسب :-

حرص الجاهليون على حفظ انسابهم ، فهناك من كان يحفظ شجرة نسبه ، او يحتفظ بها مكتوبة ، وبذلك ظهر مجموعة من النسابيين .

كان النسب يبدأ بالأب في الغالب وفي الام في اقل الحالات حيث يقول الفرد انه ابن فلان او من بيت فلان تعبيراً عن الانتساب الى رئيس ذلك البيت .
وقد عرّف النسب : انه القرابة ، او هو في الآباء خاصته ، وان النسب ان تذكر الرجل فتقول : هو فلان بن فلان ، وذكر انه يكون من قبل الام والأب (١)

والبيت هو بيت اب . ولما كان المجتمع مجتمع بيوت " اسر " صار النظام فيه نظاما ابويا ، السلطة العليا فيه للأب ، اليه ينتسب وهو المسؤول قانونا عن العائلة ، يتساوى في ذلك مجتمع الحضر ومجتمع البدو . وبذلك يقوم النسب على الدم القريب ، ونسب القبيلة يقوم على العصبة للدم الابعد ، دم جد القبيلة يجري في عروق المنتسبين اليه .

وقد جاء في اخبار العرب انهم من حيث النسب :-

- صرحاء وهم المنحدرون من صلب جد واحد .
- وحلفاء وجيران وموالي وشركاء يستلحقون بالنسب وقد يلحق هؤلاء بنسب

(١) تاج العروس ٢٦٠/٤ وما بعدها عن د . جواد علي مصدر سابق ص ٣٥٤ .

المرحاء اذا طالبت اقامتهم في القبيلة التي الحقوا فيها فينسبون نسبهم ليلتحقوا بنسب من اجاروهم (١) . وقد كان لكل من هذه الكلمات معنى خاص بها :-

الاستحقاق :- هو ان يستلحق انسان شخصا فبلحقه بنسبه ويجعله في حمايته ورعايته اى في عصبيته ، سواء كان ابنه من أمه او أسيرا او عبدا او مولى .

والدعي :- وهو المنسوب الى غير ابيه . ومن امثلة ذلك المتبنى وقد سهى الاسلام عن ذلك بقوله تعالى " ادعوهم لأبنائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم " (٢) .

والجوار :- وهو ان يستجير شخص ما ليدافع عن نفسه بشيخ قبيلة او ان تستجير قبيلة ضعيفة بقبيلة قوية لتدافع عنها ، وقد كان الجوار قانونيا بحيث يباح المسيحير جزا من القبيلة وجب الدفاع عنه وتعرف القبائل الاخرى بذلك . وقد كان يعلن ذلك عادة في الاجتماعات العامة كالمواسم ، وتجب بعد ذلك حماية المسيحير .

وقد اوصى العرب بالجار فلا يسيء له شخص ، وان بغض المجير نظره عن عيوب جاره وان يكون منتدبا للدفاع عنه لا يحور له ان يعلل من حقوق الجوار اذا استحققت ووجب .

(١) د . جواد علي مصدر سابق ج ٤ ص ٢٥٨ .

(٢) سورة الاحزاب آية ٥٠ .

المؤاخاة :-

هو ان يعقد عقد بين فرد وآخر او بين جماعة واخرى او بين قبيلتين وهي تدعو الى المؤازرة والمساعدة وتؤدي الى الموارثة .

الموالي :-

والمولى هو العبد المملوك الذى منّ عليه صاحبه بان يفك عبوديته فيعتقه ، ويصير المملوك بذلك مولى لعتقه . وبذلك يكون المولى مهما بلغت مرتبته من الشخصية او العلم ، اقل مكانة في مجتمعهم من الاحرار . رغم ان الاسلام قد دعى الى المساواة ، فقد كان العرب يسمون من دخل الاسلام من غيرهم بالموالي على اعتبار انهم منوا عليهم بالعتق من الاسر بعد الفتح . هذا على الرغم من دعوة الرسول (ص) في خطبة الوداع بقوله : (ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهليّة ، وفخرها بالأباء ، كلكم لأدم ، وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى " (١) .

(١) اليعقوبي ، التاريخ ج٢ ص ١٠٠ .

-المظهر الاجتماعي عند العرب قبل الاسلام :-

- الزواج عند العرب قبل الاسلام :-

لم يكن يسير العرب على طريقة واحدة في عرف الزواج او الطلاق حيث كانت اعراف الزواج عندهم تختلف باختلاف الاماكن وباختلاف الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية .
وكان لانواع الزواج مسميات كان من اشهرها :-

- **زواج البعولة (١) :-** وهو النوع الرئيسي من السرواج وينشأ بالخطبة والمهر والعقد . وقد سمي فيما بعد في العصر الاسلامي بـ " الزواج الشرعي"

واما بقية الانكحة في الجاهلية فقد نهى عنها الاسلام واشهر انواعها :-

١ - **المخافة :-** وهي المصاحبة ، والخدن هو الصديق او صاحب (٢) وكانت المرأة احيانا تعاشر عدة رجال ، فاذا ولدت ذكرا تختار المرأة احدهم وتلحق الولد به ، وكان يقبل اى منهم بذلك وقد نهى الاسلام عن هذا النوع من الزواج لقوله تعالى " محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدن " وقد يكون سبب ذلك هو قلة النساء في مجتمع كان يوثد البنات .

(١) البعولة : مصدر بعل اى تزوج ويقال للزوج بعل وللزوجة بعللة لسان العرب (بعل)

(٢) لسان العرب - خدن .

٢ - الاستبضاع :- وهو ان تختار الزوجة برضى زوجها رجلا اشتهر بصفات الفروسية او الذكاء او الجمال ، فتذهب اليه لتستبضع منه ، فاذا باضعها ذلك الرجل اعتزلها زوجها حتى يبان حملها ، ونشير هنا الى ان زواج الاستبضاع قد كان موجودا عند بعض الشعوب القديمة ، مثل شعوب الترك وفي اسبارطة القديمة ، وبعض سكان امريكا الشمالية القدماء (١) .

٣ - وراثه النكاح او نكاح الغيزن :-

وهو ان يرث الولد الاكبر زوجة ابيه اذا كان الاب متزوجا من اخريات ، واذا لم يكن للميت ولد يرث نكاحها انتقل الحق الى اقرب اقربائه . وقد كان هذا النوع من النكاح منتشرا عند الفرس وانتقل الى بعض من العرب وقد سماه العرب نكاح المقت والمولود منه مقيت .

٤ - نكاح الشغار :- وهو ان يزوج الرجل ابنته او اخته على ان يزوجه الآخر ابنته او اخته ليس بينهما مهر . وكان موجودا في بعض الارياف وعند البدو الى زمن قريب رغم تحريم الاسلام له ، وكانت تقضي العادة ان الزوج اذا طلق زوجته ان يطلق الآخر زوجته . وان تعامل كل منهما بنفس المعاملة اذا اهيئت احدهما اهيئت الاخرى وهكذا .

(١) د . عبدالسلام الترماني : الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٩ .

٥ - نكاح المسبيات والمخطوفات :-

كان العرب اذا غزوا قبيلة وتغلبوا عليها ، سبوا نساءها من جملة النهب ، فيتخذون تلك النساء سراري واماء ، فمن كانت من نصيبه احداهن اخدها وحل له الاستمتاع بها ، لانه ملكها ، وكانت تسمى الاخيذة او السبية . وكان سبي النساء مذلة وعارا على الرجال ، لذلك كان الرجال يستقتلون في سبيل الدفاع عن الامهات والاخوات . ونذكر هنا ان بعض السبايا كنَّ يخطبن بالتكريم عند ازواجهن .

واما الخطف هو ان يقوم رجل يعتمد على قوته بخطف امرأة ليتزوجها اذا اعجبته للدلالة على قدرته وكان الخطف في القبائل الضعيفة ولا احد يجروء على القبائل القوية .

وكان الخطف معروفا عند جماعات انسانية كثيرة مثل اليونان والرومان وكان الخطف يجري على شكل تمثيلية ، حيث تستغيث الفتاة باهلها فيتظاهرون بالدفاع عنها ، وهذه الظاهرة كانت موجودة عند القبائل الجرمانية والسلاوية والقوقاز في روسية الصغرى (١) .

٦ - زواج المتعة او الزواج المؤقت :-

وهو ان يعقد لمدة محددة فيكون موقوتا وتحل عقدته بأنها = المدة المتفق

(١) ويسترمارك : تاريخ الزواج ج٣ / ص ٢٩٥ عن الزواج عند العرب .

عليها بين الزوج والزوجة • وكان هذا الزواج على الأكثر يعقد بين رجسالى مسافرين للتجارة او للغزو وبين نساء من تلك البلاد وقد سمي بزواج المتعة لان القصد منه الاستمتاع بالمرأة مدة من الزمن ، وكان الاولاد الحاصلون من هذا الزواج ينسبون في الغالب الى امهاتهم او الى عشيرتها ^(١) وما شابه لهذا الزواج المؤقت زواج التجربة او زواج الاختبار وهو مأسوف فى بلاد الغرب فى الوقت الحاضر نتيجة اتساع نطاق الحرية الشخصية •

كما ان هناك انواعاً اخرى من الزواج كانت منتشرة عند بعض القبائل العربية منها زواج المضامدة ، وهي ان تلجأ المرأة من الجماعات الفقيرة زمن القحط لمضامدة رجل غني تحبس المرأة نفسها عليه حتى اذا اغتننت عادت الى زوجها • الا ان العرب كرهوا هذا النوع الذى تمجه النفس •

وهناك البغاء الديني او المقدس وهي ان تمارس المرأة هذا الزواج مع رجل غريب ارضاء للآلهة • الا ان هذا النوع لم يكن موجودا فى الجزيرة العربية • وكان هناك نكاح الزنا المحرم ونكاح تبادل الزوجات او البسذل ، واما موقف الاسلام من انكحة الجاهلية فانه ابطالها جميعا ما عدا نكاح البعولة وهو النكاح الشرعي القائم على الخطبة والمهر والعقد بالشروط التي عينها الاسلام وتحريم الزنا قد جاء واضحا بقوله تعالى " ولا تقربوا الزنى ، انه كان فاحشة وساء سبيلا " ^(٢) كما حرم الاسلام البغاء واتخاذ الاخذان

(١) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج٢ ص ٥٣٦ •

(٢) سورة الاسراء آية ٣٢ •

والمسافحة بقوله تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات، فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وأتوهن اجورهن بالمعروف، محصنات غير منقحات ولا متخذات اخدان (١) " . كما حرم الاسلام نكاح الفيزن اى وراثة الزوج بقوله تعالى: " يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن " (٢) . كما حرم الاسلام نكاح البذل ونكاح الشغار ونكاح المخطوفات .

(١) سورة النساء اية د ٢ .

(٢) سورة النساء اية ١٩ .

- المظهر الاقتصادي -

نشأت بعض الممالك في اليمن وازدهرت اوضاعها الاقتصادية نتيجة وقوعها على الطرق التجارية واستغلالها الممتاز لذلك الموقع كما ان سقوطها كان نتيجة تغير تلك الطرق عنها ، هذا يدل على اهمية التجارة في حياة تلك الدول ، كما ان بعضا من المدن العربية نشأت وترعرعت لموقعها التجاري مثل مكة والبصرة وتدمر . وكانت التجارة تقسم الى قسمين داخلية واخرى خارجية ، مستوردة او محلية الانتاج وكانت اهم المواد التي يستوردها العرب من بلاد الشام السيوف المشرفية، الارحبية ، الدمشقية (١) .

وكانت تحمل من الهند والشرق الاقصى المواد الكعالية غالية الثمن مثل البهارات ، والعاج ، والاشاب الصلبة والمنسوجات الحريرية، وكان ينقل قسم من هذه المواد الى مصر او الشام لتنقل بدورها الى اوروبا .

كما كان العرب يستوردون الرماح الخطية من سواحل خليج البصرة (٢) وكانوا يستوردون العاج والعبيد من شرق افريقيا لتنقل ايضا نحو الشمال .

(١) لسان العرب ج ٨ ص ٣٠٥ .

(٢) د . صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٢٤٧ .

واما اهم المنتوجات العربية التي كانت تحمل الى الاسواق الداخلية او الى خارج الجزيرة فاهمها ، السيوف اليمنية التي كانت تصنع في اليمن ويزودون بها العرب ، وتصنع في اليمن السدروع السلوقية كما كانت اليمن ايضا تنتج المنسوحات مثل الثياب النجرانية^(١) والبرود اليمنية ، والعنينة ، كما ان قطر كانت تنتج ثياب حمر حيث ورد ان الرسول (ص) قد لبسها^(٢) .

كما ان هناك الثياب العمانية والظهرانية ، كما ان العراق انتجت الديباج كما ان البلاد العربية انتجت البخور والعطور الذي كان يباع بكميات كبيرة وباسعار عالية للمصريين كي يحرق في المعابد .

اما الطرق التجارية فكانت على الاكثر برية الى جانب البحرية في وقت الضرورة ، ونشأ نتيجة ذلك نظام القوافل حيث كانت التجارة تسير بشكل جماعي من اجل الحماية والتعاون فيما بين التجار ، حيث كانت هذه القوافل تقطع بلاد العرب ما بين اليمن والشام والعراق . وكانت قوافل اهل مكة بشكل خاص لا تمتد لها يد اللصوص ، او يعترضها معترض ، لانهم حماة الكعبة ورعاة الحجيج ، يقدمون لهم الخدمات الجليلة ، والماء المبرد والطعام خلال ايام الحج ، لذلك استغلت قريش هذا الواقع لتعبر تجارتهم الى اليمن والشام ومصر وشرق الجزيرة ، لا سيما ان مكة تقع

(١) ابو يوسف ، الخراج ص ٤١ .

(٢) ابن حنبل ج ٤ ص ١٢٧ .

في منتصف الطريق بين اليمن والشام فكان لهم رحلتان ، شتاء نحو اليمن وصيفا نحو الشام فقسم آل قصي بن كلاب بين بعضهم التجارة فكان هاشم له تجارة الشام وعبد شمس الى الحبشة ونوفل الى فارس والمطلب الى اليمن ، وكان بقية اهل مكة يسيرون في كنف هؤلاء فلا يعترضهم احد .
لذلك اثنى القرشيون شراء هاشم ، وقد اشتغل جميع اهل مكة بالتجارة ، ولا ننس ان الرسول والصحابة كانوا يعملون بالتجارة قبل الاسلام كبقية اهل مكة ، وقد ازداد عدد افراد قريش نتيجة تمتعهم بالصحة والغذاء الجيد .
كما ان القرشيين كانوا وسطاء في التجارة يحملون انتاج البلد الى بلد اخر وبالتقايز ينقلون من الثانية الى الاولى وهكذا . ولا ننسى ما للتجارة من اثر في الاختلاط والاستفادة من تقدم الاخرين الحضاري والادبي مما ادى الى علو مركز القرشيين الثقافي ، فكانت عندهم الاسواق الادبية وهي تجارية في وقت واحد .

كما ان وضع الجزيرة العربية المناخي الصحراوي قد اضعف وضعها الزراعي ، الا ان بعض المدن العربية نشأت نتيجة الماء في الواحات كما ان اليمن وبعض اجزاء الجنوب قد ازدهرت بها الزراعة نتيجة وقوعها في مهب الرياح الموسمية ، وان هذا التقدم قد ساعد على تكوين الحضارة اليمنية بالاضافة الى موقعها التجاري كما اسلفنا . هذا وكانت اهم الواحات في شمال الجزيرة وفي الحجاز يثرب وخبير ووادي القرى وتبوك ومكة وبعض مناطق نجد ، وكان انتاجها يقتصر على التمور الممتازة والقمح والشعير ، كما ان مدينة الطائف اشتهرت بانتاج الفواكه والحبوب ، يضاف الى ذلك بعض الواحات التي كان يعيش بها الاعراب المتنقلين الذين كانوا يمتهنون حرفة الرعي .

المظهر الفكري :-

لم يكن العرب في جاهليتهم عديمي معرفة كما يتبادر الى البعض لا بل كانت لهم معارف فكرية وعلمية بفرط عنايتهم وطول تجربتهم لاحتياجهم الى العلوم في سبيل المعيشة ، فقد كان لهم معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها ولهم معرفة أيضا بالفلسفة ، ولم يكونوا في عزلة تامة عن الحركات الفكرية المجاورة ، ولانجدهم أدنى حالا من معاصريهم .

كان العرب في الجاهلية يعرفون الترجمة ، وقد كان للعرب ملاحظات كثيرة على الفلك النظري والعملي وكانوا قد اقتبسوه عن جيرانهم في العراق . وذلك بسبب حاجتهم اليه خلال اسفارهم في البحر أو البر الصحراوي .

وعرف عرب الجاهلية الطب معرفة جيدة ، فقد درس أطباؤهم في جنديسابور في فارس وفي بلاد الروم ومن أشهر أطبائهم الحارث بن كلثوم الثقفي ، وابنه النضر الذي سافر واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكة وغيرها وحصل من العلوم القديمة أشياء جلييلة القدر واطلع على علوم الفلسفة وأحزاء الحكمة وتعلم من ابيه الطب ، وكان للجاهليين براعة في الجراحة وأمراض العين بالإضافة الى ذلك كان هناك نوع آخر من التطبيب بالرقى والعزائم يقوم بها الكهنة والعرافون . وقد عرف العرب التشريح فهذا طرفة بن العبد الذي وصف ناقته بستة وثلاثين بيتا من الشعر قد كان يعرف شيئا من التشريح ، لان وصفه الدقيق بعلم الطب الصق من الشعر .

الفلسفة :-

نجد فيما تركه العرب من الشعر الجاهلي آراء كثيرة تتصل بالفلسفة الخالصة من نظرية المعرفة ومن السياسة في العدل والحريمة والحلم والشورى والاخلاق ، أما الحكم العامه التي وردت في الشعر الجاهلي فكثيرة متنوعة فهذا الحارث بن حلزة البشكري يفتخر بأنسه يحدس في كل الامور يتطلب المعرفة عن طريق الحواس وذلك في قوله (١) فحسبت فيها الركب أحدس في كل الامور ، وكنت ذا حدس

كما ان لطرفة بن العبد آراء فلسفية في الاخلاق ، فهو يرى الغاية من الحياة هي اللذة المادية العاجلة ثم لا يلقي بالا الى موقف الناس منه في ذلك ، مادام هو وحده سيتحمل نتائج سلوكه (٢) .

وكان للجاهليين في الحرب رأى سياسي فطري ولكنه واضح ، وان تتابع الفوز في البيئة الجاهلية حمل العرب على ان يعتقدوا ان الحرب هي السبيل الوحيد الذي حل المشكلات وحسم الخلاف ، وكانوا يرون ان القبيلة التي تظلم غيرها من القبائل : تبدأها بالقتال و تقول زهير بن أبي سلمى في معلقته :- ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم

بالاضافة الى ذلك كان العرب يتميزون عن غيرهم من الامم في ذلك العصر بأمور عقلية وخلقية (٣) أهمها .

(١) المفضليات : ٣ عن تاريخ الفكر العربي عمر فروخ

(٢) انظر معلقة طرفة بن العبد

(٣) انظر : محمد المبارك ، الامة العربية في معركة تحقيق الذات ص ٩٢ - ١٠٧

١ - تطور التفكير تطورا ايجابيا سليما وارتفاع مستواه بالجمع بين التفكير الواقعي الملامس للحياه والطبيعة ، البعيد عن الاساطير والخرافات ، والتجريد الضروري لارتقاء الفكر من الجزئيات الحسية الى الكليات المعنوية والنفسية ، يدل على ذلك ارتقاء مفردات اللغة العربية وتعابيرها التي تدل على المفاهيم المجردة ومن الجزئيات الحسية الى الكليات المعنوية والنفسية .

٢ - يتميز العرب بخلق يعتبرون القيم المعنوية أعلى ما يجاهد للوصول الى تحقيقها مثل المروءة ومكارم الاخلاق والكرم على قلة ذات اليد فهو يبيع شرفه مهما شحت الطبيعة فالعربي ليس ماديا متهاككا على الله .

كان العربي حيويًا فعالًا ، واقعيًا عمليًا ، لكنه ليس ماديا . وكان العربي يتجه نحو المثل الاعلى ويندفع بدوافع معنوية مثالية ، فهو مثالي النزعة والاتجاه ، فقد كانت هذه المثالية تظهر في الوفاء والنجدة والاباء والشعم والكرم وحسن الجوار وغيرها من المكارم ، وان كان العربي أحيانًا ينتطرف في هذه الامور لتصل الى الحالة السلبية مثل اتلاف المال أو دبح الفرس لكرام الضيف ، وان العرب كانوا يعتبرون مكارم الاخلاق مقياسا للناس ، ولم يجعلوا من أفراد البشر أبطالاً مقدسين يقيسون بهم الاعمال وانصاف آلهة كما كان يفعل اليونان والرومان والفرس .

ان هؤلاء العرب ذوي الاستعداد الفكري والنزعة المثالية والقدرة على الابانه والتعبير والحيوية المناضلة ، استطاعوا حمل رسالة الاسلام بعد توحيد مجموعاتهم القبلية الى دولة واحدة ذات وحدة مشتركة في العقيدة وفلسفة الحياه والسلوك ، فكانت خير أمه أخرجت للناس .

الباب الثالث

دراسة تفاعل الحضارة العربية الاسلامية مع

- الحضارة الهندية مع التركيز على الناحية العلمية .

- الحضارة الفارسية مع التركيز على الناحية الادارية والادبية

والاجتماعية .

- الحضارة اليونانية مع التركيز على حركة الترجمة والناحية

العلمية .

.....

.....

.....

...

..

..

.

تفاعل الحضرة العربية الاسلامية مع الحضرة الهندية :-

كان اول اتصال بين المسلمين العرب والهند في عهد خلافة عثمان بن عفان عندما اصدر امرا الى والي العراق ، ان يوجه الى ثغر الهند من يتعرف عليه ويعلم علمه ، فأتى له بخبرها ، ثم تجدد الامر في عهد علي بن ابي طالب حين ارسل قائدا الى الهند فظفر في اول الامر واصاب مغنما الا انه قتل في سنة ٤٢هـ بعد ذلك (١).

ثم تتابعت بعد ذلك الغزوات في بداية عهد الدولة الاموية ، وبقيت الغزوات صغيرة ، حتى مجيئ الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك الذي كسان عهده عهد الفتوحات الواسعة للهند . ونستطيع ان نقسم فتوحات المسلمين للهند على يد فريقين وسلكت طريقين مختلفين الفريق الاول كان عربيا وابرز من يمثلهم محمد بن القاسم الثقفي ، وقد سلك في فتح الهند طريق السند وبلوختان ما بين (٩٢ - ٩٦هـ) .

واما الفريق الثاني فقد كان تركيا ، وجاءت جيوشه الى الهند عن طريق المقاطعات الشمالية الغربية ، ويمثل هذا الفريق اول السلطان محمد الغزنوي (٣٨٨ - ٤٢١هـ) اعظم سلاطين الدولة الغزنوية ثم جاء بعد ذلك المغول واقاموا هناك دولة اسلامية كبرى كان لها شأنها العظيم في تاريخ بلاد الهند .

كان من نتائج فتوح محمد بن القاسم ان نشطت التجارة بين الهند والعرب ونهبت اذهانهم الى اهمية تلك البلاد من الناحية الدينية والاقتصادية .

(١) فتوح البلدان ص ٦٠٧ بشر الطماع ١٩٥٧ .

وهناك ديانة اخرى في الهند وهي الديانة البختية التي حاول احد كبار دعايتها الى التوفيق بين الهندوسية والاسلام في شريعة واحدة ، وان تعاليم البراهمة فيها كثير من الايمان بفكرة التوحيد (١) .

كما ان للمسلمين اثارا عظيمة في تشجيع التعليم بين الهندود حيث كان الاباطرة المغول " المسلمون " يقومون بتقديم المنح والاموال والاراضي للهيئات المعنية بالتعليم ، كان يلحق بكل مسجد يتلقى فيه الاطفال تعليمهم الاول وكان تعليم دينيا . وكان من بين مهام الاشغال العامة بناء المدارس ودور العلم .

ومن مظاهر نعاذج الحضارة الهندية مع الحضارة العربية الاسلامية ترجمة الكتب الهندية الى الفارسية ومن ثم الى العربية ، وترجمة بعض الاعمال العربية الى الهندية .

وتعتبر كذلك اللغة الاردية مظهرا من مظاهر الاتصال بين الثقافتين الهندية والاسلامية ، وهذه اللغة مزيج من الفاظ وافكار فارسية تركيكية سنسكريتية ، وتمثل ما كان من تعاون ثقافي بين المسلمين والهندود (٢) .

(١) Moreland , Ashort History of India P.195.

(٢) د . طه ندا ، فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٠٩ .

وكذلك كان ملوك المغول (المسلمين) شديدي العناية بالفنون المختلفة
واهمها فن البناء والعمارة ، وكان الغالب على مبانيهم الطراز الاسلامي
المتأثر بالفن الايراني ، ولم تخل هذه المباني من التأثر بطابع البيئة الهندي ،
وكان فن العمارة واحدا من مجالات هذا الصهر والمزج بين العنصرين الهندي
والاسلامي (١) .

كان من نتائج تفاعل الحضارة الهندية مع الحضارة العربية الاسلامية
هو نقل العلوم الهندية الى العربية وكان اهم هذه العلوم :-

اولا :- الحساب الهندي : حيث كان بدء احتكاك العرب بالفكر الهندي هو نقل
كتاب الفصول في الحساب الهندي سنة ١٥٤ هـ الى اللغة العربية في عصر الخليفة
العباسي المنصور ، وقد ظهر بعد ذلك الخوارزمي الذي اشتهر كعالم من علماء
الحساب ، والذي اكتشف ان لدى الهنود نظاما في الاعداد لم يعرفه العرب، فكتب
في ذلك كتابا لم يصل اليها ، ولكن العرب اطلعوا على حساب الهنود عن عدة
طرق ، فالهنود كانوا تجارا ومع تنقلهم نقلوا البضائع والافكار ، وبالنسبة
لحساب كان العرب يستخدمون حساب الاحرف ، الا انهم فيما بعد اتخذوا نظام
الترقيم الهندي اذ رأوا انه افضل من النظام الابهجدي الذي كان شائعا بينهم .
ووفقوا بين طرقه المختلفة ، وقد سماه العرب الحساب الهندي او حساب
التخت او الغبار وسبب هذه التسمية ان الحاسب كان يحمل معه تختا يرش
عليه الرمل ، ثم يخط الاعداد على الرمل بميل خاص او باصابع يده .

(١) غوستاف لوبون ، حضارات الهند ، ص ٥٣٦ .

وكانت تكتب الاعداد باستعمال ارقام تسعة تختلف اشكالها فيما بينها

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠

وميزة طريقة الاعداد الهندية انها ليست لها قيمة عددية مطلقة ، وانما تتغير هذه القيمة وتتبدل حسب المنزلة التي تكون فيها . الاحاد ، العشرات . الخ وهذا الاكتشاف كان ثورة في نظام الاعداد ، وقد استعمل العرب من عندهم الصفر اي الفراغ ، ونذكر هنا ان العرب هم الذين عدلوا عملية الحساب الغباري بالتخلص من التخت او الرمل الى كتابة الحساب الثابت . ونذكر هنا ان الخوارزمي العالم العربي هو اقدم من كتب الحساب بالارقام الهندية (١) .

ثانيا :- علم الفلك :- اتخذ العرب كتابة " السند هند " دستورا لهم في مستهل نهضتهم العلمية والذي احتوى على معظم معارفهم الفلكية والرياضية . وقد نشأ علم الفلك عند الهنود اصلا عن عبادة الاجرام السماوية ورصد حركاتها لتحديد ايام الاعياد والقرايين . وفي رسالة السند هند فسر الهنود الخسوف والكسوف والاعتدالين ، وقالوا بكروية الارض ودورتها اليومية على محورها . كما قسم الهنود السنة الى اثني عشر شهرا والشهر ثلاثين يوما ، واليوم ثلاثين ساعة . وكانوا يضيفون شهرا كاملا كل خمس سنوات ، وقد حسبوا بدقة قطر القمر والخسوف والكسوف وموضع القطبين ومواقع النجوم الرئيسية ودورانها .

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج٤ ، مجلد ٤٦ .

ثالثا :- الطب الهندي :

كان الاطباء الهنود يعرفون خواص الاربطة العضلية ورتق العظام والجهاز اللمفاوي والصفائر العصبية واللفائف والانسجة الدهنية والاعوية الدموية والاعشوية المخاطية والمفصلية (١) . وقد فهموا عملية الهضم جيدا ، وكان لهم تشريعات طبية تضاوي احداث التشريعات كتحذير عقد الزواج الا بعد الفحص الطبي او بين شخصين مصابين باحد الامراض الوراثية مثل البرص، وكان الاطباء الهنود يحذرون من الاسراف في استخدام العقاقير ، وكان جل علاجهم يعتمد على تدبير الطعام الصحي والاستحمام والاستنشاق والحجامة ، وقد عرف الاطباء الهنود التطعيم قبل ٥٥٠ م ، وأشاروا الى اثر البعوض في نقل الملاريا ، وقد عرف الهنود بدايات التنويم المغناطيسي وسيلة للمعالجة .

وقد اشار بعض الباحثين الى ان الاطباء الهنود كان لهم شهرة عظيمة في ايام الاسكندر ، وان ارسطو نفسه مدين لهم في علم الطب . وقد اعترف الخليفة العباسي هارون الرشيد بالتفوق العلمي والطبي للهنود واستدعى الاطباء الهنود لتنظيم المستشفيات ومدارس الطب ببغداد .

رابعا :- الرياضيات : للهنود حساب رياضي يفوق ما كان لليونان الا الهندسة وقد ذكرنا ان العرب ورثوا عن الهند الاعداد الهندية والنظام العشري وقد عرف الهنود ايضا الحبر حيث ابتكروا العلامة الجذرية وكثيرا غيرها من الرموز الجبرية ، وقد ابتكروا فكرة الكمية السلبية . وقد استطاع الهنود

(١) د . محمد عبدالرحمن مرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٨٩ .

ايضا ان يتوصلوا الى النظرية الفيثاغورية المشهورة فى الهندسه واستطاعوا
التوصل الى حساب مساحة المثلث والمعين والدائره والى حساب مجموعه
منسقة في حساب المثلثات كانت اتم نضجا مما عرفه اليونان .

وهكذا قام العرب بالاستفادة من الحضارات المختلفة ، ومنها الحضارة
الهندية التي ترجموا عنها علوما مختلفة فانقذوها من التلف والضياع
ونقوها من الشوائب واصلحوا فاسدها ، ولم يقتصر دورهم على الترجمة
والاستفادة فقط ، بل رقبوا تلك العلوم التي اقتبسوها وطوروها ، واوجدوا طرقا
جديدة لقهم الطبيعة والعلم والانسان ، فاسدوا بذلك خدمة جلييلة للعقل
البشرى والتراث العلمى والحضارة الانسانية الدائبة في تقدمها .

X أثر الحضارة الفارسية في الحضارة العربية من النواحي الادارية والأدبية والاجتماعية:

لا شك ان اجتماع البشر ضمن بيئة مستقرة أدى الى نشوء الحضارة ، كما ان اجتماع الأمم ، احتكاكها . واتصالها ببعضها يؤدي الى نقل الأفكار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، زيادة التبادل الثقافي يؤدي الى انتقال هذه الافكار ، ونموها مما قد يؤدي الى التفاعل الحضارى بين الشعوب والامم ، فتتنامو وتزدهر الحضارة في عصور متعددة وازمنة متعاقبة .

وقد أقام الفرس امبراطورية واسعة الارجا ، واقاموا حضارة راسخة البنيات، ونتيجة للتفاعل الحضارى الذى تم بعد الفتح الاسلامي بين العرب والفرس ، نتجت حضارة عربية اسلامية ، اخذت من الحضارة الفارسية . كما اخذت عن غير من الامم كاليونان والهند . وهذبتهما وضافت اليها .

ويظهر اثر الحضارة الفارسية واضحا في كثير من المظاهر الحضارية ولعل أبرزها : -

المظاهر الادارية والسياسية :-

امتزج العرب مع الفرس منذ الفتح الاسلامي الى اخر العهد الاموى ، وشعر عدد كبير من الفرس بأنهم لم ينالوا حقوقهم في العهد الاموى ، مما جعلهم يشاركون يشاركون في معظم الثورات ضدها ، فلا عجب اذا رأيتهم يسهمون في قيام الدولة العباسية .

وكافأ خلفاء بني العباس هؤلاء الفرس (الموالى) في منحهم الوظائف العالية ، فمنحوهم السوزارة ، والحجابه ، وقيادة الجيش وجباية الاموال ، وولاية الاقاليم ، ومنادمة الخلفاء .

السوزراء :-

وكانت السوزارة في العهد العباسي تطلق على من يقوم مقام الخليفة في تصريف شؤون الدولة (١) . وأولى من تولى السوزارة كان أبو سلمة الخلال ، وشهر بالسوزارة ، ووقع عليه باسم الوزير (٢) ، وكان وزيرا لأبي العباس السفاح ، وهو أول من استوزر من الفرس ، ولما تولى أبو جعفر المتصدر ولاية اقليم الموصل . وعين أبو جعفر وزيرا فارسيا آخر أبو ايوب المورياني ، ثم جاء المهدي فاستوزر يعقوب بن أبي داود . واستوزر الرشيد : يحيى بن خالد البرمى (٣) ثم استوزر المأمون اللؤلؤ ابن سهل وثابت بن يحيى الرازى . وحشد كل منهما في الدواوين من يستطيع حشده من بني جنسه .

وكانت السوزارة في عهد بني العباس نوعين :-

النوع الاول :- وزارة التنفيذ : وهي التي يعتقد فيها الوزير على تنفيذ

أوامر الخليفة ، وهو بذلك وسيط بين الخليفة وبين

الموظفين والشعب .

(١) احمد الحوفي : تيارات ثقافية ، ص ١٠٠ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج١ ، ١٢٩ .

(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب .

النوع الثاني : وزراء التفويض : وهي التي يعهد فيها الى الوزير في شؤون الدولة والتصرف فيها بغير رجوع اليه ، وليس للخليفة الان تولية العهد ، وعزل من يوليهم الوزير .
وكان يحيى البرمكي من هذا النوع ، ثم خلفه ابنه جعفر .

ومنصب الوزارة منقول عن الفرس ، فقد اتسم بعدة مظاهر فارسية ، فكان الذي يختار للوزارة يرتدى زيا خاصا ، ثم يمثل بين يدي الخليفة في حفل رسمي .

وحاكي الوزراء الفرس سلفهم في بعض المظاهر التي لم يعهدها العرب ، فقد كان الفضل بن سهل يجلس على كرسي مجنح ويحمل فيه عند دخوله على المأمون ، فاذا اقترب من المأمون وقعت عينه عليه وضع الكرسي وترجل (١) ، وهو الذي اقنع المأمون باستبدال الخضره بدل السواد ، (السواد شععار العباسية ، والخضره شععار العلويين) ، وكتب الى عماله ان يجعلوا ائلامهم وقلانسهم خضرا (٢) .

بيوت خاصة للاستئذان على الحلفاء : (الحجابة)

لم يعرف في صدر الاسلام والدولة الاموية نظام البيوت الخاصة بالاستئذان على الحلفاء ، وفي عهد بني أمية كان الناس يقفون على ابوابهم : حتى

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٤٠١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٦ .

يؤذن لهم او ينصرفوا .

وفي عهد بني العباس ، وبعد ان بني المنصور قصره ، بني بيتا خاصا
للاذن يقوم بالاستئذان للدخول على الحلفاء ، ثم جرى بقية الخلفاء من بعده
على سنته .

المنجمون :-

برز المنجمون وبشكل واضح في العهد العباسي حتى اصبح لهم شأن
فيها ، بحيث يوجهون السياسة وبخاصة في الحروب ، وقد أشار هؤلاء على
المعتصم بتأجيل فتح عموريا الى فصل الصيف حيث ينضج التين والعنب ،
مما جعل الشاعر ابو تمام يسخر منهم في باثيياتته التي مطلعها :-

السيف اصدق انباءا من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

نظام البريد :-

وكان للفرس نظام معين للبريد يقوم على تقسيم المسافات السر
مراكز ، وفي كل مركز أشخاص ويقال ، فيحمل الشخص رسالة ويركب بغلا
من بغال البريد ، ويسرع به ، فاذا ما وصل الى الموضع الخاص بالبريد في
طريقه سلم له الرسالة وعاد ، وينقلها الى ثالث وهكذا ، وقد نقل العرب
عن الفرس هذا النظام ، وأول من استفاد من هذا النظام في الاسلام معاوية بن
أبي سفيان ، فقد أمر باحضار رجال من دهاقين الفرس وعرفهم على ما يريد،
فوضعوا له البريد .

وفي عهد الدولة العباسية كان للبريد ديوان في بغداد وله محطات

كثيرة على طول الطرق لتلك الرسائل بين الخليفة وعماله في الاقاليم . ثم صار لصاحب البريد مهمة هي مراقبة السيادة ، والتجسس على الاعداء ، وينقل الأخبار الى الخليفة ، فهو عينه التي يبر بها عن بعد (١) .

السياف :-

لم يعرف العرب هذه الوظيفة ايام النبي والخلفاء الراشدين او بني أمية ، ولكن في العهد الفارسي ، أصبح قاطع السرووس ، " السياف " وظيفة رسمية حيث انها كانت وظيفة قديمة عند الفرس ، فتم نقلها .

(١) الطبري : تاريخ ، ج ٩ ، ٢٩٧ ، ٣٤١ .

الآثار الاجتماعية :-

تأثر العرب بعادات الفرس ، فنقلوا عنهم كثيرا من عاداتهم
ووسائل ترفهم ولهوهم ومجونهم .

الاحتفال بالاعياد الفارسية : النيروز والمهرجان :

والنيروز كلمة فارسية معناها اليوم الجديد ، وموعده الايام الستة
من أول شهر في سنتهم الشمسية وهي توافق ٢٤ آذار ، وهو أعظم أعياد الفرس ،
ويتميز بأنه استقبال السنة وافتتاح جباية الخراج وزمن تولية العمال
واستبدالهم وضرب الدراهم والدنانير (١) .

اما المهرجان فهو الايام الستة الأولى من شهرهم مهرجان ، وهو يوافق
أول الخريف ويسمى اليوم السادس فيه المهرجان الكبير .

فالنيروز استقبال الربيع ، والمهرجان استقبال الخريف . وكان الملوك
في فارس في هذين العيدين يوزعون ما في خزانتهم من ملابس فتوزع على سائر
الناس على مراتبهم ، وكان الملوك يتقبلون الهدايا في العيدين من طبقات
شتى (٢) .

وقد بدأت الهدايا تصل معاوية بن ابي سفيان ، كما كانت تقدم السي

(١) الجاحظ: التاج في اخلاق الملوك ، ص ١٤٦ ، ١٤٩

(٢) البيروني : الآثار الباقية، ص، ٢٢٣ : المعودي : مروج الذهب، ج١، ص ١٤٢٣ .

الثعالبي يتيمة الدهر، ج٢ ، ص ٢٨٠ .

الأكاسرة ، وقد انكرها علي بن ابي طالب ثم ابطالها الخليفة عمر بن عبد العزيز .

وفي العصر العباسي شاع الاحتفال بالعبيدين ، حتى أن الخلفاء والسلاطين كانوا يجلسون لتقبل التهاني ، والاستماع الى مدائح الشعراء (١) .

الشطرنج والنرد :-

وصف لعبة الشطرنج بأنها لعبة قديمة ، وهي تشدذ اللعب ونسدر ب الانسان على التفكير ، وقد مارس كبار رجال الدولة العباسية هذه الهوايية التي كانت شائعة بين البغداديين ويمارسها العامة ويتكسبون بها (٢) .

ومن الألعاب الشائعة كان النرد ، فكان من ملاهي العامة والخاصة يقضون بها فراغهم ويعيشون بها ويلهون ، حتى ان السجناء كانوا يلعبونها داخل سجونهم (٣) على الرغم من اعتبار اللعبة ذات نتيجة سلبية في شحذ الذهن لانها تجعل المكاسب لا تنال بالكياسة والحييل .

(١) انظر ديوان البحتري في مدح الهيثم الغنوي ، وديوان ابن الرومي في تهنئة عبيد الله بن عبد الله .

(٢) الاصفهاني : الاغانى ، ج ١٩ ، ص ٢٣٠ . القزويني : عجائب المخلوقات ، ص ١٢١ ، الشابشتي : الديارات . ص ٤٠ ، ٥٧ .

(٣) الجاحظ : الحيوان ، ج ٤ ، ص ١٤٧ . المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ .

الستر : (١)

حاكى الخلفاء العباسيون أكاسرة الفرس في الترف والسرف ، ووردت أخبار شتى تصور هذا الترف وان كان لا يخلو من المبالغة :

فقد روى أن عرش المهدي كان مكللا بأنواع اللؤلؤ والياقوت ، وعلى رأسه قبة من الديباج يوم بيعته ، وحوله فلاحان ملتحفان بالذهب ، يتدلى منهما مثلتتين من الريش مرفوعتين على رمحين مكسوين بعروق من الذهب ، يتدلى منهما الياقوت والزبرجد والفيروز ، وعلى يمين العرش منبر مزخرف بالجواهر والديباج .

وقيل ان الرشيد يقدم على مائدته ثلاثين صنفا من الطعام ، ولما تزوج زبيدة كانت هباته أواني من الذهب مملوءة بالفضة ، وأواني من الفضة مملوءة بالذهب والمسك .

وقبل ان المأمون أعطى بوران بنت الحسن ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت ، وبسط لها فرشاً كانت الحصيرة منها منسوجة بالذهب مكللا بالدر والياقوت (٢) .

(١) انظر شحادة الناطور : التفاعلات الحضارية في عصر بني أمية .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٨٩ .

ودكروا ان الوزير المهلبى كان لا يأكل الا بملاعق الذهب ، ولا يأكل
بالمعلقة الا لقمة واحدة ، فكان يوضع على مائدته زهاء ثلاثين ملعقة ،
هذه بعض الصور التي لم تسلم من المبالغة ، ولكنها تعطى صورة للحياة
المترفة التي كان يحياها المعترفون ، ولا شك ان معرفة العرب لها كان من
نتائج الحضارة والتأثر بالفرس ، لان العرب بالبادية عاشوا وهم يجهلون
تماما هذه المظاهر (١) .

كثرة الجوارى :-

وامتلأت القصور بالجوارى ، وان كان العنصر الفارسي هو الغالب ،
ونسبت الجوارى للعرب ، وكثر نسلهن حتى ان معظم خلفاء بني العباس من
امهات غير عربيات ، وتناسى العباسيون ما حصل لآخوانهم الامويين .

ولا شك ان كثرة الجوارى في المجتمع العربي له اثر عظيم في الحياة
الاجتماعية وعلى الاسرة وعلى المجتمع ، فقد ادى الى التفسخ والانحلال والتدهور
الخلقي في معظم الأحيان لظهور المنحرفات والمنحرفين (٢) .

(١) احمد الحوفي : تيارات ثقافية ص ١١٨ .

(٢) الاصفهاني الاغاني ، ج ٢٠ ، ص ٣٢٣ .

الغناء والغنيان (١)

ازدهر الغناء وتطورت الموسيقى وتنوّعت الآلات ، وبرز في بدايصة الدولة العباسية مغنيان فارسيان هما :- ابراهيم الموصلي وابنه اسحق ، وكانا يجمعان الى غنائهما المطرب الشعر والظرف، وتعليم الجوّاري الغناء واقتدى بهما من بعدهما من المغنين .

وشغف الامراء والخلفاء بالمغنيين وهم بذلك قلّدوا اكاسرة الفرس، فجعلهم الرشيد طبقات، كما فعل أردشير بن بابك وأنو شروان ، فكان ابراهيم الموصلي واسماعيل بن جامع وزلزل في الطبقة الاولى ، وسليم بن سلام الكوفي وعمرو الغزال في الطبقة الثانية بينما العازفون في الطبقة الثالثة (٢) .

وازدهار الغناء ادى الى كثرة المغنيات والغيان ، فكثرت بالكوفة وبغداد وغيرهما ، واعدّ كثيرات منهن بيوتهن لسرود العبت والمجسّون والخلاعة ، فتوافد عليهن راغبو اللذات والمتحللون من سلطان الدين ، وأخذوا يستمتعون باللذات المحرمة ، وبالغ بعض الاثرياء في تقدير اثمان الغيان حتى ان جعفر بن سليمان اشترى جارية بمئة ألف درهم ، وصالح بن علي اشترى اخرى بتسعين ألف درهم (٣) .

(١) انظر : شحادة الناطور : المفاعلات الحضارية في عصر بني أمية .

(٢) الجاحظ : التاج في اخلاق الملوك ، ص ٢٥ ، ٣٤ .

(٣) الاصفهاني : الاغانى، ج١٣ ، ص ١٢٨ ، انظر الجاحظ : رسالة في الغيان ، رسائل، ج٢ ، ص ١٧٠ .

تنوع الأزياء :- (١)

تنوعت الأزياء والملابس في العصر العباسي ، بحيث كان يلبس كل طبقة زيا خاصة بهم ، فاذا وصل الرجل الى اى مجلس عرف من زيئه صناعته وطبقته ، فكان الكتاب يلبسون زيهم المقصور عليهم (٢) .

ولبس الخلفاء الحماثم والقلائس ، ولبس القضاة القلائس الكبار ، وكوّع الكبراء العمامة ، وجعلوا لها احجاما تطابق مكانتهم الاجتماعية كما كان يفعل الفرس . فللخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، وللأعراب كذلك . وللقضاة والشرطة والكتاب زي ، فكل طبقة من اصحاب السلطان زي (٣) .

ان تعدد الأزياء تبعا للوظائف والطبقات مأخوذة عن الفرس ، فقد كان الفرس يفعلون كذلك (٤) .

الخمير والغلمان :

ولعل من أهم المظاهر السلبية التي تناق في الاخلاق العربية والديسن الاسلامي التي انتشرت في المجتمع المدني بين العرب :-

(١) لمزيد من المعرفة ارجع الى د . صلاح حسين العبيدي : الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي .

(٢) الجهشيارى . الوزراء والكتاب ، ص ٣ ، ٤ .

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

التعلق بالخمير :

فقد انتشرت نتيجة مخالطة العرب للفرس وغيرهم ، وكثرت الحانات ، وكلف بها بعض الشعراء كأبي نواس السدي افتتح كثيرا من قصائده بالخميريات بدلا من الغزل وبكاء الاطلال .

اما المظهر الثاني فهو الاستكثار من الغلمان^(١) في القصور والدور وهي عادة فارسية ، كان يستخدمونهم في اغراض شتى ، ويزينوهم بما تنزين به الاثاث ، فحاكاهم العرب في ذلك جريا على تقليد فارسي قديم .

وكان الغلمان المختلين بالكوفة مظهران ينافيان الاخلاق العربية ، لتشبه بالنساء في الملبس والخضاب وتزجيج الحواجب والعيون واطالسة الشعر والتحلي بالذهب والتغني بالشعر الفاجر الماجن دون استحياء من الناس^(٢).

(١) احمد الحوفي : تيارات ثقافية ، ص ١٢٦ .

(٢) الجاحظ : مفاخرة الجواني والغلمان ، رسائل ، ج ٢ ، ص ٩١ ، ١٣٧ . الشابيستي

: الديارات ، ص ٥٦ ، ٦١ ، ٦٩ .

(٣) الاصفهاني : الاغاني : ج ٤ ، ص ١٦٩ .

الامبـنـسـ (١)

كانت لغة القرآن هي اللغة الرسمية للدولة ، وطلبنا لتحقيق الاهداف الدينية والمنافع الدنيوية ، سارع الموالي لتعليمها ، وتيسرت لهم نتيجة الاختلاط والاتزاج حتى حذقوها كأهلها ، فبرز منهم عدد من الأدباء والشعراء الذين ساهموا في مد الحياة الفكرية باتساع جديد .

ويلعب الشعر دورا مهما في المجتمع العربي فيه يتفاضلون ، وبه يمدحون او يذمون^(١) ، ولما كان الموالي جزءا من المجتمع الاموي ، لذلك قلدوا العرب في نظمه ، فاخذوا قوالبه وأساليبه عنهم واستهترت طائفة من شعرائهم كاسماعيل بن يسار ، وموسى شهوات ، والحزبن الكنانى ، وزباد الاعجم . طرقست ابواب الشعر كافة تلمسا لطريق الحياة ولتسر مما يجيش في نفوسهم من افكار متعددة ومتناقضة احيانا .

والمدح من أبرز الأغراض التي طرقها شعراؤهم ، وشغل النصيب الأكبر لديهم، متخذين سياستهم الاتصال بأولى الامر للتقرب من الحكام ، ولنبيل عطاياهم

(أ) انظر شحادة الناطور : التفاعلات الحضارية في عهد بني أمية .

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ص ١٠٢ .

(٢) طه حسين : من حديث الشعر والنثر ، ص ١٨ . محمد كفاقي : في ادب الفرس وحضارتهم ، ص ١٠ .

وكسب رضاهم مما جعله بعيذا عن الصدق (١) .

وينال ذكر محاسن الاموات (الرشاءة) اهمية عند بعض شعرائهم ، مما جعلهم يحسنون اختيار الصور الملائمة للغرض ، فقدموا لنا مراثي على جانب من الابداع (٢) .

ومن اهم الاغراض التي استغلها شعراؤهم الهجاء ، فقد كان سلاحا موهوبا بايديهم يخشاهم الناس ، ويتقونهم باكرامهم ومداراتهم ، فحقق بعض الهجائيين حزا من رغباتهم ومطالبهم . وقد استغله بعضهم لقذف اغراض الناس حتى

(١) اشهر من طرق المدح من شعراء الموالي

- أ - اسماعيل ابن يسار : مدح عبدالله بن الزبير ، انظر الاغانى ج ٤ ص ١٠٨ مدح الفهر ، انظر الاغانى ج ٤ ، ص ٤١٠ ، ومدح عبدالملك ص ٤١١ ، والوليد بن يزيد ، ص ٤٢٤ .
- ب - يزيد ابن ضبة : انقطع لمدح الوليد بن يزيد ، انظر الاغانى ج ٧ ، ص ٧ .
- ج - موسى شهوات ، مدح سعيد بن خالد ، انظر الاغانى ، ج ٣ ، ص ٣٥٤ .
- انظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٣٦٦ ، ومدح حمزة ابن عبدالله بن الزبير ، انظر الاغانى ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .
- والمبرد : الكامل ، ص ٤٠٠ .
- د - نصيب : مدح عبدالعزيز بن مروان ، انظر الاغانى ج ١ ، ص ٣٣٣ وابن كتيرة : الشعر والشعراء ، ص ٣٣٢ ، ومدح هشام ابن عبدالملك انظر الاغانى ، ج ١ ص ٣٣٩ .
- هـ - الحزبين الكنانى : مدح محمد بن مروان ، الاغانى ، ج ١ ، ص ٣٢٥ .
- و - ابو العطاء السندى : مدح يزيد بن هبيرة : الاغانى ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .
- ل - زياد الاغم ، مدح عبد الجراح ، الاغانى ، ج ٥ ، ص ٣٨٦ .
- م - ابو العباس الاعفى ، الاغانى ، ج ١٦ ، ص ٢٩٩ .
- (ومن اشهر شعرائهم : أ - الحسين بن مطبر الذي رثى مع بن رائدة بقوله : =

اصبح وسيلة للتكسب لديهم (١) .

وهذا الشعر يدل على مقدار الحقد والكراهية في نفوس قائله من
الموالي ضد العرب ، ترجمت من احساس عميق الى تجريح وتحقير واهانة .

-
- = الما على معن وقولا لقبره سقتك الفوادي مربعا ثم مربعا
الانغاني ، ج ١٦ ، ص ١٨ . البغدادى : خزانة الادب ، ج ١ ، ص ٤٨٥ (مولى ابن اسد) .
ب - زياد الاعجم رثى المغيرة بن المهلب (خمسون بيتا) .
قل للقوافل والغزى اذا غزه والباكرين وللحد الراح
الانغاني ، ج ١٥ ، ص ٣٨١ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٣٥ . البغدادى
خزانة ، ج ٤ ، ص ١٩٢ .
(١) لزياد الانجم : هجا يزيد الضبى لانه نصحه ، الانغاني ، ج ١٥ ، ص ٣٩٠ ، ابن قتيبة
: الشعر ٢١٣ . وهجا بنى يشكر . ابن سلام : طبقات الشعراء ، ص ٢١٣
ب - ابو العباس الاعمى : هجا عبدالله بن الزبير . الانغاني ، ج ١٦ ، ص ٣٠٢ .
يزيد بن مفرغ : هجا آل زياد . الانغاني ، ج ١٨ ، ص ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٨٠
د - ابن الخياط : كان يقذف اعراض الناس ، حتى والده لم يسلم من هجائه ، هجا
هشام بن عبد الملك ، الانغاني ، ج ٢٠ ، ص ١٠ .
ه - ابن ميادة : كان يهاجى الشعراء ، ومساباة الناس ، هجا بنى مازن وخزارة بن
ديبان ، الانغاني ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ . تبادل الهجاء مع الحكم بن معمر الحضري .
المصدر السابق ٢٨٣ .
و - الحزين الكنانى : يتكسب بالشر هجا سهل بن عبد الرحمن بن عوف .
الانغاني ، ج ١٥ ، ص ٣٣١ ، وبنو كلب ، ص ٢٣٢ . واما يعرة (رجل من بنى عامر
بن لؤى) ، ص ٣٣٤ . وعمر بن عمر بن الزبير ، ص ٣٣٦ ، ضرب على كل رجل
من قريش درهمين فى كل شهر مقابل سكوته - ص ٣٣٢ .
ل - هجا ابو العطاء الندى بنى هاشم : خزانة الادب ، ج ٤ ، ص ١٧٠ .
بنى هاشم عودوا الى نخلاتكم فقد قام سعر التمر ضاع بدرهم

وتفان المرأة حظها لدى شعرائهم ، فقد ذكر الشعراء محاسنهم
وتفننوا في ذكر صفاتها ومميزاتها بأجمل الصور الرقيقة ^(١) وآخرون ركزوا
على مساوئها وبخبروا مخشن الكلام لنعيتها ووصفها به ^(٢) .

وترجم بعض الشعراء تجاربهم الى شعر ، هو خلاصة مشاهداتهم وممارستهم .
في عبر خالدة تصلح لكل زمان ، صادرة عن نفوسهم فكانت لا لسن منظومة في
شعر ينطق بالعبرة والحكمة . ستظل مصدر امتاع وتأثير في ضمير البشرية ^(٣) .

(١) اشهر من حكى في الغزل :

- أ - داوود بن سلم : الاغاني ، ج ٧١ ، ص ١٨ ، ١٩ ،
- ب - وضاح اليممن ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .
- ج - يزيد بن ضبة ، المصدر السابق ج ٦ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
- د - اسماعيل بن يسار ، المصدر نفسه ج ٤ ، ص ٤١٤ .
- هـ - موسى شهوات ، المصدر نفسه ج ٤ ، ص ٤١٤ .
- و - ابن مفرع ، المصدر السابق ، ج ١٨ ، ص ٢٨٩ ، ٢٩١ .

(٢) واشهرهم ،

- أ - وضاح اليممن ، شبيب يزدهج ، الوليد بن عبد الملك ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .
- وبالمغنية صباية ، الاغاني ج ٦ ، ص ٤١٤ .

- ب - ابن مفرنج ، الاغاني ، ج ٢١٨ ، ٢٨٣ ،

- ج - الحزبن الكنائي ، ج ١٥ ، ص ٣٣٠ .

(٣) واشهرهم أ - ابن ميادة ، الاغاني ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٨ .

فللموت خير من حياة دميعة وللنجل خير من عناء طويل

- ب - ابن مفرنج ، الاغاني ، ج ١٨ ، ص ٢٦١ ، ٢٨٠ .

- ج - العبد يقرع بالعضا والحر تكفيه الاشارة

- ج - ابو العطاء السندی ، الاغاني ، ج ١٧ ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٦ .

- د - زياد الاعجم ، الاغاني ، ج ١٥ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩٠ .

وكل امرئ لا بد للموت صائر وان عاش دهرا في البلاد يسبح

واظهر الموالي العداء ضد الدولة ، فانخرطوا في الاحزاب السياسية المعارضة ونطق شعراؤهم بذلك مدافعين عن مبادئها ، معبرين عما في نفوسهم عن سخط نحو السلطة القائمة ، غير متناسين مصالحهم الالية والمستقبلية، طلبا للاغتناء والانتفاع (١) .

واندفع بعض الشعراء بالحض على الثورة والخروج على النظام القائم بصورة مباشرة منطلقين من مبدأ الالتزام بما يؤمنون (٢) .

-
- = هـ - ثابت بن قطنه ، الاغانى ، ج ١٤ ، ص ٢٨١ .
- (١) كان اسماعيل بن يسار بادی الامر مع الزبيريين . الاغانى ، ج ٤ ، ص ٤٠٨ .
- كان ابو العباس الاغمى مع الامويين . الاغانى ، ج ٧ ، ص ٩٥ .
- وكذلك يزيد بن ضبة . الاغانى ، ج ٧ ، ص ٩٥ .
- عمرو بن الحصين مع الخوارج ، الاعلام ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
- وامتدح كلامه ،
- نصيب آل البيت . الاغانى ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
- وابن الموقظة ، آل البيت . الاغانى ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ .
- وداود بن سلمة ، آل البيت . الاغانى ، ج ٦ ، ص ١٥٠ .
- (٢) حرض ثابت بن قطنية ، يزيد بن المهلب الخروج على الدولة ، الاصبهاني . الاغانى ج ١٤ ، ص ٢٧٧ . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٤٠١ ، حرض ابو العباس الاغمى بني امية للقضاء على ابن الزبير .
- ابني أمية لا ارى لكم اذا ما التفت الشيع
- الاغانى ، ج ١٦ ، ص ٣٠١ .
- هاجم يزيد بن ضبة الخليفة هشام بن عبد الملك بعد وفاته امام الخليفة الوليد ، ج ٧ ، ص ٩٥ .
- الاغانى . ج ١٤ ، ص ٢٧٠ ، البغدادي . خزنة الادب ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ،
- آخر بيت في القصيدة :-

الله يعلم ماذا يحضران به وكل عبد سيلقى الله منفردا

وتستهوى افكار المرجئة وما تضمنته من احكام، الشاعر المولى ثابت بن قطنه ،
فينظم شعرا يتضمن تلك الافكار . وهناك شعراء لم يستقر الايمان في قلوبهم، وغلبت
عليهم مفاصد الدنيا ، فأدمنوا الشراب، وعبروا عن احساسهم بشعر لا يخلو من تهجم
على الدين ومجافاة لمبادئه (١) .

ومن التأثيرات البارزة للموالي ، والتي فرضتهما الحاجة الماسة، تطور جديد
في اللغة العربية ، ادى الى ظهور لغة عربية ميسرة للتفاهم يسهل استيعابها
بين الناطقين بها . وتسربت ألفاظ جديدة للغة اقتبسها العرب لادوات الحسرف
والفنون الجميلة لما شاهدوه ، ولم يكونوا يعرفونه من قبل (٢) .

(١) الحزين الكنائي . كان مدمنا للشراب، واقيم عليه الحد لسكره . الاغاني ، ج ١ ، ص ٣٣٠ ، ٣٣١ . وكذلك ابن ميادة . الاغاني ج ٢٢ ، ص ٢٩٤ ، ٣٣٣ . زياد الاعجم
السدي مكي . الاغاني ، ج ١ ، ص ٣٩١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

تركبت التقي والدين دين محمد لأهل التقي والمسلمين يلوح

وتابعت مراق العراقيين سادسا وانت غليظ القصرين صحيح

يستفيضة من الصلاة ، كما اقيم عليه الحد . الاغاني ، ج ٢٠ ، ص ٧ ، ١١ .

(٢) انظر الجاحظ . البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٨ .

السوق بالفارسية وازار . والبطيخ بالقارسية الخريز ، والغناء بالفارسية الخيار
... الخ . انظر محمد موسى هنداوى . المعجم في اللغة الفارسية، ص ١٦١، ١٦٢
دولاب . آلة لرفع اعاء . الدهقاء المزارع . الديوان، مكان اجتماع القوم وما يسجل
فيه من الشعر . تراز بداية = التطريز . طربوش اصلها شربوش . قبان اصلها
كبان . كاكي اللون القرابي ، كار = الحرفة . بغتة = قماش منسوج . بخشيش =
عطاء . بشكير اصلها بشجير . ترزى = خياط . خام = مكان . زبون = مشتري .
سجاف = غطاء او ستارة او حجاب . سادة = صاف .

كما شاع اضافة مقطع أن الفارسي لعدد من الاسماء العربية . عرفت قطيعة سويد
بن منجوف باسم سويدان، ولبنلان للبنني بن عمرة ، وجبران لأل كلثوم بن جبر ،
وكثيران لكثير بن يسار، ولبليلان لبلال بن بردة . انظر البلاذري . فتوح البلدان ،
ص ٥٠٩ .

واخذت هذه الالفاظ الفارسية تدخل لغة كبار الشعراء العرب كالفرزدق^(١) وجريير^(٢).

ولما كانت اللغة العربية احدى اللغات السامية ، ففيها من الخصائص ———
يختلف عن اللغة الفارسية الارية الاصل ، لذا رأينا طوائف من الموالي يلفظون
احرفا عربية لسورة أرية الاصل ، يستبدلون حرفا بحرف^(٣).

وقد انتشرت هذه الالكنة بين الموالي ، وتسربت الى كبار ادبائهم وشعرائهم^(٤) ،
هذا الى جانب اللحن الذي عرف طريقة الى شعراء العرب وفصحائهم .

(١) النقائض، ج٢ ، ص ٧٨ ، قال الفرزدق

منعتك ميراث الملوك وتاجهم وانت لدرعي بيدق في البيادق
والبيدق كلمة في الشطرنج وهي فارسية الاصل.

(٢) النقائض ج٢ ، ص ٨٤ ، قال جريير

لا خير في غضب الفرزدق بعدها سلخوا عجانك سلخ جلد الروذق
الروذق بمعنى الحمل المنتوف.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١ ، ص ٥١ . الموالي يلفظون الزين سينا ، والعين همزة
ج٢ ، ص ١٦٧ . الدال ذالا ، والحاء همزة والضاء ضاء ، ابن قتيبة عيون الاخبار ج٥ ،
ص ١٥٩ ، الحاء همزة ، والعين همزة . الجاحظ ، البيان والتبيين، ج١ ، ص ٥٢ ، ٥٣ ،
٥٤ ، (انظر الالكنة عند الجوارى) . الجاحظ البيان، ج١ ، ص ١٠٢ ، الدال ذالا ،
والقاف كافا والطاء تاء والعين همزة والشين سينا .

(٤) الاغانى ، ج١ ، ص ٣٨٠ ، كان زياد الانجم لا يحسن النطق بالعربية فيلقلظ العين
همزة والكاف همزة والحاء هاء . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٣٥٩ ، كان
ابو العطاء السندى عنده لشنة بحيث لا يفهم كلامه . الاغانى ، ج١ ، ص ٣٢٨ .
ابن قتيبة الشعر والشعراء ، ص ٤٨٢ ، كان ابن ميادة كثير السقط في شعره .

(٥) لحن الفرزدق فاستعمل كلمة مخارير بدلا من محاسير ، وموالي مواليا ، بدلا من
موال، انظر ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ص ١٣ . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ،
ص ٢٥ . وذكر ان زياد ابن ابيه كان يلحن احيانا . انظر الجاحظ، البيان ، ج٦ ،
ص ٥٠ ، ولحن الحجاج . انظر ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ص ١٠ وكذلك لحن
الوليد بن عبد الملك ، انظر العيون والحدائق ، ج٣ ، ص ٨ .

ان نتاج الشعراء الموالي " الفرس " يظهر فيه بوضوح غزارة اللفاظ، وحسن تنسيقها ، وغنى التعبير، وكثرة المعاني ، مما يعكس لنا ثقافتهم السابقة التي منحنتهم العمق ومكنتهم من الخلق والابتكار ، والغوص وراء المعاني بأسلوب متين جذاب (١) .

(٢) اما الصور ، فقد ابتكروا صورا جديدة ، تضمنت معاني المصطوة والرهبنة ، بجانب الدعوة الى الرفق بالحيوان (٣) ، نتيجة مسحة مانوية ، واليهيم يعود ادخال الشعر القصصي للغة العربية (٤) .

(٥) وقد تأثر شعراء العرب بمعانيهم حينما ، والاقتباس والانتحال حينما اخر " مما ادى الى زيادة المعاني بالتوليدات والابداعات (٦) ، فالتسعت المعاني تبعها لذلك ، ولتألق العرب في المأكل والملبس ، مما دفع بالشعر الى الابداع (٧) .

(١) انظر الاغاني ، ج ٤ ، ص ٤١٦ ، ج ١ ، ص ٣٢٧ ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، ج ٤ ، ص ٢٧ ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ ، ج ١٦ ، ص ١٨ ، ج ١٥ ، ص ٣٨٠ .

(٢) انظر ابن ميادة ، الاغاني ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٣) انظر قصيدة زياد الاعجم في مناجاة الحمامة ويمثل هذا الاتجاه :

الاغاني ج ١٥ ، ص ٢٨٣ ، البغدادي : خزانة الادب ، ج ٤ ، ص ١٩٤ .

(٤) انظر قصيدة اسماعين بن يسار : الاغاني ، ج ٤ ، ص ٤١٦ .

انظر قصيدة زياد الاعجم الاغاني ، ج ١٥ ، ص ٢٨٣ .

قصيدة محمد كفاقي : الفرس وحضارتهم ، ص ١١ .

(٥) انتخل جرير من سلمة بن عباس قوله :

بيت زرارة محتبين بغنائته ومجاشع وابو الفوارى نهشل

انظر الاغاني ، ج ٢٠ ، ص ٢٩٦ .

(٦) وانتخل الفرزدق قول ابن ميادة

لو ان جميع الناس كانوا ابتلعة وجئت بجدي ظالم وابن ظالم

انظر الاغاني ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٧) وانتخل ابن ميادة شعر لامرؤ القيس انظر الاغاني ج ٢ ، ص ٢٧٤ ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

وهناك عدد من التأثيرات غير المباشرة للموالي الفرس في الادب العربي ، وفي مقدمتها ظهور القصائد الطوال في الغزل لأول مرة ، انطلاقاً من مبدأ الفن لذاته (١) ، نتيجة توافر المال وكثرة السراري .

كما ان مجالسة الشعراء العرب للزهاد من الموالى الفرس ، اثرت فيهم ، فمجالس الحسن البصري انطقت الفرزدق شعراً دينياً (٢) ، وملازمة جرير الحلقة ابن سيرين ولدت الصور الاسلامية في شعره (٣) ، واثرت بعض الافكار الفارسية الدينية في بعض شعراء العرب ، فراينا قصائد تتضمن تناسخ الارواح والرجعة (٤) .

اما النثر ، فيظهر الفرس واضحاً فيما تركه الفقهاء والمحدثون والقصاصون من خطب ووصايا ، وما كتبه الكتاب من كتابات متنوعة اثروها بمعارفهم وثقافتهم القديمة ، فاقبلوا على الدراسات الدينية والعقلية ، يسهمون فيها بالحظ الاوفر ، وارثقوا بالعقل العربي من خطابة وغيرها وخرج منهم اسراب

(١) طه حسين : حديث الاربعة ، ج٢ ، ص١٥ ، ١٦ ، ١٩ .

(٢) الاصفهاني : الاغانى ، ج٢١ ، ص٣٩١ ، المبرد : الكامل ج١ ، ص٧٠ .

هناك قصيدة يهجو فيها ابليس ، انظر الاغانى ، ج٢١ ، ص٣٠٤ ، ٣٥٧ ، المبرد :

الكامل ، ج١ ، ص٧٠ ، البغدادى : خزانة الادب ، ج٢ ، ص٢٧٠ .

(٣) ابن عبدربه العقد الفريد ، ج٣ ، ص١٦٩ ، ديوان جرير ، ص١٣٤ ، ٢٧٤ ، ٤١٥ ، ٥٠٩ .

(٤) ومن تأثر بذلك السيد الحميدى ، وكثير :

انظر الاغانى ، ج٢٦ ، ص٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،

الاشعرى : مقالات الاسلاميين ، ج١ ، ص٩٠ ، ٩١ -

ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص٩٦ .

كثيرة في الكتابة كانوا اقدر على البيان والتصرف في الالفاظ من غيرهم^(١) .

ويلاحظ في هذا التراث النثري ، بانه مرتب الافكار ، وبارع التعبير ، ومتزن الجمل ، ومحلى بالسجع ، وقصير الجمل ، وكأنما يصاغ صوغ الامثال ، ولعل تأثير عبد الله بن المقفع واضح لتأثره باللغة الفارسية . هذا الى جانب الامثال الجديدة التي استحدثها المولدون بكثرة^(٢) .

ويشهد النثر تقدما ملموسا في العهد الاموي ، وبخاصة فترة ما بعد التعريب^(٣) ، حيث ارتبط التعريب بديوان الانشاء وكتابة الرسائل مما ادى الى نشر سياسي ، موضوعه الرسائل ، التي تتناول المسائل السياسية المختلفة^(٤) ، وتكوين طبقة من الكتاب المحتفين ، تتابعت اجيالهم على مر السنين ، وكان كل جيل يضيف براعة جديدة الى براعة سلفه^(٥) ، وكان من اشهر كتاب هذا العهد

-
- (١) من اشهر من كان له تأثير الحسن البصري . انظر المبرد ، الكامل ، ج ١ ، ص ٥٩ ،
ومالك ابن دينار . الجاحظ البيان ، ج ١ ، ص ٨٥ . انظر وعظ مالك ابن دينار لعمر
بن عبدالعزيز في الكامل ، ج ١ ، ص ١٢٣ . انظر خطب الحسن البصري ، انس ابن
مالك ، يزيد ابن ابان الرقاشي ، في البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .
(٢) المولدون . من ولد في ارض العرب ، ونشأ مع اولادهم ، وتأدب بأدابهم امثال
المولدين ما استحدث ولم يكن من كلام العرب فيما مضى .
انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٩٨١ .
انظر الامثال ، للميداني ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ١٢٠ ، ١٥٠ ، ١٩٠ ، ٢٣٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٤ ،
٤١٧ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٥٦ ، ٣٩١ ، ٤١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٧ ، وفي الجزء الثاني
ص ٥٥ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ١٢٩ ، ١٧١ ، ٢٥٧ ، ٣٢٧ ، ٣٥٨ ، ٣٨٢ ، ٤٠٩ ، ٤٢٧ .
(٣) المسعودي مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ١٩٤ .
(٤) طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، ص ٢٧ .
(د) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، (رسالة ابن القرية الى الحجاج) .

سالم " مولى هشام " (١) ، وعبد الحميد الكاتب (٧) ، اللذين رسخا الكتابة الفنية .

اما سالم (٣) فكان ممن تركوا تأثيرا واضحا فيمن بعده ، لبلاغته الكتابية وبراعته الفنية ، سار على نهجه من تلامه .

ويكمل عبد الحميد (٤) الكاتب الابداع النثري ، فيرسخ أسلوبه الذي يبسط افكاره بوضوح ، وتوليد المعاني المبتكرة ، بعد تأكيدها بشتى السبل . اما عمله فقد امتازت بالتساوي والترادف والسجع ، والتأنق في السدء والختام ، فهو الذي مهد للكتاب من بعده ، فلزموا طريقته لبراعته البيانية ، والفاظه المنتخبة ، وغزارة معانيه التي اضفت على أسلوبه الروعة البيانية الخلاصة . ان سالم وعبد الحميد وصلاته ، بالكتابة الادبية النثرية في العصر الاموي الى كل ما كان ينتظرها من رقي وابداع (٥) .

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٧١ (روى انه نقل رسائل ارسطو طاليس ، ونقـطـل مجموعة مئة ورقة) .

(٢) انظر رسالة عبد الحميد الى الكتاب ، ص ١٣٢ ، رسالته الى ولي العهد ، ص ١٣٩ . (من ضمن رسائل البلاغاء التي جمعها محمد كرد) .

(٣) ابن النديم . الفهرست ، ص ١٧١ ، (ترك رسائل نحو ١٠٠ ورقة) .

(٤) ابن النديم . الفهرست ، ص ١٧٠ (ترك نحو الف ورقة) .

المسعودي . مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ .

انظر رسائل البلاغاء ص ١٣٢ ، رسالة عبد الحميد الى الكتاب .

ص ١٣٩ ، رسالة عبد الحميد ص ١٣٩ .

(٥) شوقي ضيف ، العصر الاسلامي ، ص ٤٧٩ .

بداية علم النحو ^(١) ، وبذلك يكون ابو الاسود هو رائد علم النحو عند العرب ^(٢) .
ثم اكمل عمله بعد ذلك بوضع علامات الاعراب (الضمة ، الفتحة ، الكسرة ،)
في القرآن الكريم ^(٣) .

وهكذا نشأ علم النحو استجابة لرد فعل اخطاء الموالي الذين كانوا
في أمس الحاجة اليه ، فظهرت نواة هذه المدرسة ، التي اهتم بها الموالي ^(٤) ،
واشتغلوا بها ، وهم الذين مهدوا الخطوات لعلماء النحو فيما بعد فالخليل ابن

-
- (١) ابن النديم . الفهرست ، ص ٦٠ (اول باب وضع الفاعل والمفعول) .
ابن خلكان . وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ (اول باب وضع التعجب) .
الاصبهاني . الاغانى ، ج ١٢ ، ص ٢٩٩ ، (اول باب وضع التعجب) .
(٢) ابن النديم الفهرست ، ص ٦٠ ، الاغانى ، ج ١٢ ، ص ٢٩٧ . مات ابو الاسود سنة ٦٩ هـ
بالبطاعون . النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٦٩ . البغدادى . خزنة الادب ، ج ١ ، ص ١٣٦ .
ابن قتيبة . عيون الاخبار ، ج ٥ ، ص ١٩٧ . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٤٥٨ .
ابن خلكان . وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٥٣٥ . ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ص ٩ .
البیهقي . المحاسن والمساوى ، ص ٤٢٢ . السيوطي . بغية الوعاة ، ص ٢٧٤ .
(٣) كانت الحركات بادى الامر نقطا على الحرف عند الفتح بين يدي الحرف عند
الضم وتحتته عند الكسر . ابن النديم . الفهرست ص ٦٠ . الاغانى ، ج ١٢ ، ص
٢٩٨ . السيوطي ، بغية الوعاة ، ص ٢٧٤ .
(٤) ابن عبدربه . العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ، المبرد . الكامل ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
" مر الشعبي بقوم من الموالي يتذكرون النحو ، فقال لهم ، لئن اصلحتهموه ،
انكم لأول من افسده " . ومن اشهر من اهتم بالنحو هذا العهد :
أ - حماد الراوية . الاغانى ج ٦ ، ص ٧٠ ، ٧٣ .
ب - حماد بن سلمة بن دينار ، الذهبي تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
السيوطي . بغية الوعاة ، ص ٢٤٠ (مولى ربيعة بن مالك توفي سنة ١٦٧ هـ) .
ج - حماد الزبرقان . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٤٨٢ .
د - خلف الاخضر ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٤٩٦ (كان مولى لابي بردة ابن
ابي موسى الاشعري) .

احمد وسيبويه ، والاخفش والزجاج وغيرهم من العجم^(١) .

الترجمة :

شهد العصر العباسي الاول نهضة فكرية من اعظم ما عرفه العالم في تاريخ النهضات الفكرية ، فقد شارك في تكوين هذه النهضة الفكرية مؤثرات اجنبية بعضها هندي وفارسي وسرياني ويوناني ، وكان هذا العصر عــــصر الترجمة والنقل من هذه اللغات الى اللغة العربية ، ولم تكـد تمضي ٧٥ سنة على بناء بغداد حتى اصبح قراء العربية • يستطيعون الاطلاع على ترجمـات لأهم ما كتب في حضارات الامم السابقة ، كما انهم ملكوا ترجمـات لكتب مهمة عن الهندية والفارسية ، فنقل العرب الى لغتهم في عشرات السنين ثمرات قرون من الفكر الثقافي للحضارة الانسانية •

لقد كان لهذه الحضارات اثرها على الحضارة العربية الاسلامية مما جعلها مصدرا للحضارة الانسانية في العصور الوسطى^(٢) .

ويهمنا في هذا المقام الحضارة الفارسية ذات الصلة القوية والعظيمة الاهمية بالنسبة للحضارة العربية الاسلامية ، لما كان لها من اثر عميق على المدى وذات نتائج مهمة في تحول وتطور الحضارة العربية ، وذلك نتيجة الاتحاد الفكري والاندماج الروحي الذي ربط بينهما •

(١) جرجي زيدان • التمدن الاسلامي ، ج ٣ ، ص ٥٥ •

(٢) محمد كفاقي : دراسات في حضارة الاسلام ص ٥٦ ، ٥٧ •

ان ترجمة تواريخ الفرس للعرب قد علم العرب ما لم يكونوا بعلمهم عن
الفرس ، فجعلهم يعايشونهم في احداث بلادهم وسيروا ملوكهم ، وينقلون عنهم
ما ينقلون ويعلمون عنهم يعلمون لبرووه وبضموه كنبهم (١) .

واذا عدنا الى كتاب الفهرست لابن النديم فنجد فصلا في كتابه
بعنوان : النقلة من الفارسي الى العربي ، فذكر ابن المقفع ، ثم آل نوبخت ،
وموسى ويوسف ابن خالد ، ثم ذكر زياد التميمي ، ثم البلاذري ثم اسحق بن يزيد
وغيرهم (٢) .

التاريخ :-

وأول محاولة للترجمة كانت في عهد عمر بن الخطاب ، لكتاب " هفتاي
تاوك " ويعني كتاب السادة ، وقع هذا الكتاب للعرب اثناء فتحهم لفرس وهو
لعالم دانشور عاش في سلاط يزدجرد الثالث - اخر ملوك الساسانيين - وجاء
في كتاب تواريخ ملوك الفرس منذ اول امرهم حتى كسرى ابيرويز ، امير
الخليفة عمر بن الخطاب بترجمة الكتاب ، فلما وجد ان يمجذ المجوسية طرح
بين كومسات الغنائم (٣) .

وفي عهد عبدالملك أمر بترجمة كتاب كاهنامة ، وهو يشكل قسم من كتاب

(١) حسين المصري : صلات بين العرب والفرس والترك ، ص ١٣٣ .

(٢) ابن النديم : الفهرس ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ (طبعة القاهرة) .

(٣) حسين المصري صلات بين العرب والفرس ، ص ١٣٤ .

يسمى " أبين نامة " كتاب الرسوم ، وهو يحتوى على صور لسبعة وخمسين ملكاً من الساسانيين ، وقد ألحقت بصورة كل ملك سيرته وما وقع من أحداث (١) .

وكتاب أبين نامة ترجمة ابن المقفع فيما بعد ، وافاد منه كبار المؤرخين وكتاب الاسلام كابن قتيبة والثعالبي (٢) .

كما استفاد من الكتاب المذكور الفردوسي في الشاهنامة وبخاصة في وصف المحاربين ، وكذلك الشاعر الفارسي نظامي .

ونقل ابن المقفع الى العربية كتاب خدينامة ، وهو اهم اثر تاريخي اسطوري عن عهد الساسانيين ، كما نقل كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب اليتيمة في الرسائل وهو عند العرب مضرب المثل في الفصاحة والبلاغة (٣) .

وترجم ابن المقفع كتابين في المنطق والطب ، وكتاب فردك ، وكتاب التاج في سيرة انوشروان ، وكتاب الادب الكبير والادب الصغير .

وممن نقلوا عن الفهلوية (الفارسية المتأخرة) نوبخت الاهوازي (منجم المنصور) فقد ترجم له خرشادماه كتبا في الرياضة ، وترجم البلاذري نظماً كتاب النصائح لأردشير وترجم جبلة بن سلم كتاب رستم اشعنديار بهرام

(١) حسين المصري : صلات ص ١٣٥

(٢) عبدالعظيم قريب : مقدمة كتاب كليلة ودمنة ، ترجمة نصرالله بن محمد منسي حران ١٣٢٨ هـ .

(٣) حسين المصري : صلات ص ١٤٣ .

جوبين ولعمر الفرحان كتاب المحاسن وهو كتاب في الاخلاق التعليمي .

اما الكتب المترجمة عن الفهلوية والتي لا يعرف مترجموها فهي كثيرة، منها " هزار افسانة " وهو اصل كتاب الف ليلة وليلة ، وخرافة ونزهة، وروزبه اليقيم ، والفمرود ملك بابل ، وبهرام ونرسي والسدب والشعلب، ووصايا أردشير ، وزاد ان فروخ في تربية الولد ، ومعظم الكتب العلمية والاخلاقية المترجمة الفت على السنة الحيوان ، او على طريقة السـؤال والجواب او المناظرة او نصيحة الوالد للولده ، وكان للناس شغف شديد في عهد بني العباس .

وقد أمر الخليفة المأمون الحسن بن سهل بنقل كتاب جاويدان ضرر " الحكمة الخالدة " الذي ينطوى على مجموعة من الحكم والنصائح التي تنسب لحكماء الهند والفرس واليونان والعرب ، واصل الكتاب منسوب الى هوشنكا احد ملوك الفرس في العصر الاسطوري .

وترجم الغزالي كتابا عن الفارسية عنوانه " نصيحة الملوك " ، وقد نقله الى العربية علي بن مبارك بن موهوب للاتابك الب قلج في الموصل، ولهذه الترجمة العربية عناوين اشهر : التبر المسبوك في نصيحة الملوك، وفريضة السلوك في نصيحة الملوك .

وهناك من اتقن كتابة الشعر الفارسي كعمر الخيام ، الذي نظم الشعر

(١) المرجع نفسه ص ١٤٣ .

بالفارسية ، واقترن اسمه بالادب الفارسي ، وشعره يربط الشعر الفارسي بالشعر العربي لما بين شعره وشعر ابي العلاء المعري من وجوه الشبه (١) .

وكتب الشعر باللغتين مسعود سعد سلمان ، فكان مجيدا في الشعريين وبديع الزمان الهمذاني ، وقايوس بن وشمكير ، وحافظ الشيرازي ، عماد الدين الاصبهاني ، ورشيد الدين الوطواط وغيرهم (٢) .

وبرز الشاعر جلال الدين الرومي من اهل القرن السابع الهجري النذري يعتبر شاعر التصوف الاعظم في الادب الفارسي وكتابه المعروف بالمتنوي اروع وأشهر منظومة صوفية (٣) .

وبناء على المعطيات السابقة نجد ان اثر الفرس تجلى في الامور الادارية بادخال وايجاد بيوت للحجاب للدخول على الخليفة لاعطاء الحكم مظهر من مظاهر الابهة والاستعلاء ، وادخال التكهين والتنجيم بالغيب في شؤون الدولة وفق ما يقول المنجمون ، ثم اعطاء الوزارة مهمة واسعة وهي وزارة التفويض الى جانب التنفيذ .

وفي المجال الاجتماعي اذا ع الفرس الخمر والترف والجوارى والغلمان مما ادى الى الانحلال في المجتمع ، فتناسى كثير من العرب اخلاقهم التي بثها الاسلام وصاروا لا يأنفون من الفحشاء والمباهات بالمنكر . فكثير الخلفاء الذين

(١) حسين المصري : صلات بين العرب والفرس والترك . ص ١٦٢ .

(٢) حسين المصري : المرجع نفسه ص ١٦٥ ، ١٦٠ ، ١٥٨ ، ١٧٨ ، ١٨٨ .

(٣) المرجع نفسه ص ٢٣٠ .

تنافسوا في البذخ وتسابقوا في الابهة والمساكن والملابس والمطاعم
والعشارب .

وفيما يتعلق بالادب ، فقد تم ترجمة كتب التاريخ ، وكتب الحكماء،
والشعر ، وبرز عدد من العلماء الكبار الذين يرجعون الى اهل فارس .
 واصبحت اللغة العربية لغة العلم والادب والحضارة .

واذا كانت هذه الاثار الايجابية فهناك اثار سلبية كالشعبوية^(١)
والزندقة والاحقاد التي كانت ترمي الى هدم الاسلام من الداخل والقضاء على
الاسلام دولته .

ومهما يمكن ان يقال ، فقد ساهم ابناء الفرس بعد ان اسلموا وتعلموا
اللغة العربية مساهمة فاعلة في اثراء مظاهر الحياة مؤلفاتهم القيمة
التي تناولت المعارف العامة والثقافة الشاملة ؛ واصبحت جزءا من الحضارة
العربية الاسلامية التي كانت منارة في العصور الوسطى ، واثارت الطريق
ومهدت للحضارة الغربية بما اقتبسته من علومها وفنونها وآدابها .

(١) ارجع الى فصل الشعبوية في كتاب - الخلافة الاسلامية حتى القرن الخامس
الهجري للمؤلفين .

تفاعل الحضارة اليونانية مع الحضارة العربية الإسلامية :-

النقل والترجمة من اليونانية :-

يذكر ان أول اتصال للمسلمين بعلوم اليونان من التي وصلت
إينا هو ان خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م أمر
بعض علماء اليونان الذين كانوا في الاسكندرية آنذاك بترجمة
مجموعة أرسطو المنطقية من اليونانية الى العربية ، كما أمر باحضار
خماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كانوا ينزلون مصر وأمرهم بنقل الكتب
في الصنعة (الكيمياء) من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي . وهذا
أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة ^(١) ، ولكن الترجمة في العصر
الأموي لم تنتشر انتشارا واسعا ، وبقيت على الاكثر فردية .

وقد كان الفضل العظيم بمتابعة الترجمة والنقل للعباسيين حيث
أمدوها بالمال والرجال وقدموا لها العون والرعاية والتشجيع .

هذه الترجمات زجت المسلمين أمام تحديات كبيرة حيث نقل الى
العربية التراث الاجنبي ، يضاف الى ذلك الاختلاط المباشر بعد الفتوحات
الإسلامية ، وقد ساعد ذلك على تطور الفكر العربي و بلوغه أبعـاـدا
لم تكن في الحسبان .

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٤٩٧ القاهرة ١٩٤٨ .

انتقلت العلوم اليونانية الى الشرق العربي ، قبل ظهور الاسلام بوقت طويل ، وكان لهذه العلوم مراكز أهمها الرها وجند يسابور ونصيبين ، كما كان هناك مدارس في الدير ، وقد كان بسكن هناك السريان الذين اقتبسوا علوم اليونان ، واشتهرت مدرسة هامة على أيديهم وهي مدرسة حران في شمال غرب العراق والتي كانت مركزا مهما للثقافة اليونانية ، وكان أهل هذه المنطقة يتكلمون اللغة الآرامية الشرقية وكان السريان هؤلاء حلقة الاتصال بين العرب وبين اللغة اليونانية وبهم عبرت الثقافة اليونانية الى العرب ، والسريان هم قوم من النصاري يتكلمون الآرامية ، فهم من الآراميين أطلقوا عليهم هذه التسمية فنقل من اليونانيين الذين أسموهم السريان وكانت اليونانية لغة المثقفين منهم فنقل هؤلاء نقل التراث اليوناني العلمي والفلسفي الى العربية وبذلك كان هؤلاء الواسطة المباشرة بين العرب واليونانية . فقد نقلت على أيديهم علوم الطب وكتب أرسطو في التاريخ الطبيعي والفلك وعلم وظائف الأعضاء والزراعة وتربية الماشية والبيطرة والكيمياء وقد تمتع السريان بحرية واحترام لامثيل له في العهد البيزنطي .

هذا بالإضافة الى المخطوطات اليونانية التي كان يحصل عليها الخلفاء المسلمون من الحكام البيزنطيين اما بالشراء أو كتعويضات عن الحروب التي كان ينتصر بها المسلمون كمعركة عمورية ، حيث كان الإباطرة يسعدون بالتخلص منها بقدر ما يسعد المسلمون بالحصول عليها التي عدوها من الكنوز الثمينة . وهكذا كثرت بعثات بغداد وقرطبة الى بلاد الروم لشراء مخطوطات الأغريق بأي ثمن والتنقيب عما اختفى من تلك

المخطوطات في الاقبية والسرايب ، والقاذ ماكان منها مهيدا بالتلف
والفناء . وأصابت تلك البعثات من النجاح مافاق كل تقدير ^(١) لذلك
يعتبر العرب انهم منقذوا التراث اليوناني من الضياع والتلف ، كما
نقوها من الشوائب ، وحققوا نصوصها ، ثم انتقلت الى الترجمات اللاتينية
المنقولة عن الغربية ، كما انهم اقتبسوا العلوم اليونانية وطوروها
وأوجدوا طرقا جديدة لفهم الطبيعة والعالم والانسان .
أسباب النقل :-

- ١ - أوجد الاسلام في العرب حركة عقلية ظلت تنمو وتشتد بعد يوم وتتظلم
الى آفاق جديدة ومصادر جديدة ، فكانت عن طريق النقل والترجمة
- ٢ - شعور العرب بأن المجد العسكري والسياسي والاقتصادي الذي وصلوا
اليه لاقيمة له مالم يقتنر بالمجد العلمي والنضج العقلي ومخاهاة
الامم والشعوب الاعرق في العلم والحضارة .
- ٣ - حث القرآن على التفكير والبحث والنظر وامتدح العلم والعلماء ،
فاندفع العرب الى الخروج من قوقعتهم والاطلاع على عالم يعنسي
بالافكار والانظار والمعاني ليصنعوا من عالمهم الجديد ونهضتهم
العظيمة .
- ٤ - حاجة العرب الى الاسس النظرية وعلم الكلام للرد على الخصوم عن طريق
المنطق . فكان المنطق اليوناني الذي استرشدوا به لتنظيم الحجج وترتيب
البراهين .

(١) الدكتور محمد عبدالرحمن مرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ص ١٩٨ .

- ٥ - الحاجة الى العلوم والرياضيات ليسهل على العرب حساب وتوقيت التقويم ،
وتساعدهم على تنظيم الشؤون المالية .
- ٦ - حاجة العرب المسلمين الى الطب بسبب انتشار امراض لا عهد لهم بها
في الصحراء .
- ٧ - الوقوف على تجارب الامم الى تنظيم بحوثهم فاستفادوا من اليونان وغيرهم
في هذا الامر .
- ٨ - ايقاظ عقول العرب ، قلب نظام تفكيرهم نتيحة احتكاكهم بالعناصر المثقفة،
مما جعلهم يتقبلون العلوم المختلفة والبحث عنها من مصادرها الاصلية .
- ٩ - انتقال العاصمة الى دمشق ثم الى بغداد جعلهم اقرب الى تجارب وخبرات
اليونان والروم في الشام والفرس في بغداد مما جعلهم يقبلون بشغف الحى
الاطلاع على تراث تلك الامم للاستفادة اكثر من تجاربهم .
- ١٠ - الاستقرار السياسي والرفعة الاقتصادية واستتباب الامن ، صرف همم العرب
الى طلب العلم وتحصيل المعارف ، ومحاولة تذليل صعوبات الحياة غير
العادية اذا كان الباحث من معدن كريم ، وهكذا اندفع الافراد الى طلب
الكتب والاقبال عليها مهما كلف الثمن ، فطرقوا جميع الابواب .
- ١١ - انتشار اللغة العربية بعد تعريب الدواوين فكان لا بد من الترجمة
ليطلع الناس على العلوم .
- ١٢ - العامل الانساني :- وذلك عن طريق رعاية الخلفاء للنقل والنقله . لما ابدوه
من تشجيع ومساعدة على التنفيذ ، وكمثل على ذلك اتفاق المنصور واطلاعه
على علوم الامم المختلفة ، وكذلك الرشيد والمأمون الذين كان لهم اثر
كبير في تنشيط حركة الترجمة وتعميقها ، فشجعوا المترجمين بالاعطيات
والهبات واجروا عليهم الارزاق ، وسار على طريقته الامراء والولاة فنشأت

دور النقل وعمت الترجمة وانتشرت الكتب في أرجاء العالم الاسلامي واقبل الناس على تحصيل العلوم والمعارف (١) .

اشهر المترجمين ومترجماتهم خلال العصر الاموي :-

انصبت الترجمة منذ البداية على نقل الكتب العلمية الى اللغة العربية كالكيمياء والطب والنجوم بينما ظلت بعيدة عن الانسانيات والالهيات اليونانية حتى العصر العباسي . ومن اشهر المترجمين في هذا العهد الراهب مريانوس الرومي الذي استخدمه خالد بن يزيد الاموي ليترجم له كتب الكيمياء لاهتمامه بهذا العلم . وكذلك ماسر جويه الطبيب الفارسي الاصل السرياني اللغة قد ترجم كتب الطب اليونانية للخليفة عمر بن عبدالعزيز . وقد بقيت الترجمة فردية كما ذكرنا حتى العصر العباسي الذهبي للترجمة .

في العصر العباسي :-

يعد عصر المأمون ١٩٨ - ٢١٨ هـ ٨١٣ - ٨٣٣ م هو العصر الذهبي للترجمة رغم محاولات من سبقه من الخلفاء العباسيين مثل والده هارون الرشيد الذي انشأ بيت الحكمة المركز العلمي العظيم والاكاديمية الكبيرة في بغداد، حيث كان الرشيد قد استقدم الكتب من بلاد الروم ، فعندما فتح عمورية امر قواده بالمحافظة على مكتباتها وما فيها من كتب وتصانيف ، ثم انتدب صا ثقة مسن العلماء الذين يحدقون اليونانية والسريانية لفحص ما تحويه تلك المكتبات

(١) د . محمد عبدالرحمن مرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٠٥ .

من كتب الطب والفلك والفلسفة والرياضيات وغيرها . فقام هؤلاء العلماء ،
بجلب تلك الكتب الى بيت الحكمة ، وتولى الطبيب يوحنا بن ماسويه قيم
بيت الحكمة الاشراف على ترجمة تلك الكتب .

وفي ايام المأمون وصل نشاط بيت الحكمة الى اقصى غاياته حيث استجلب
المأمون ما استطاع ان يحصل عليه من كتب جزيرة قبرص والقسطنطينية
واصفهان ، حيث اتسع نطاق العمل في بيت الحكمة لنحو خزان هائلة من الكتب
بما كان يأتي اليها من كتب اليونان وفارس والهند . لقد وضع المأمون الاموال
الهائلة تحت تصرف القائمين على بيت الحكمة ، الذي اقيم ليكون مقرا لنقل
الكتب المحمولة من هنا وهناك الى اللغة العربية ، وبكثافة هائلة لتمبـح
الكتب وما تحويه من علوم عربية ، لتتحول مع مضي الزمن الى ثقافة عربية ،
بعد تهذيبها والاضافة اليها ، وبشرحها وتأويلها للتلاءم مع الروح العربية
الاسلامية .

وفي بيت الحكمة هذا انتقل العلم من الرواية الى الدراية ، ومن الترجمة
الى التأليف ، ومن النقل والسرد الى الاجتهاد والبحث والاستقصاء ، وازدهر
الانتاج العقلي في ارجاء العالم الاسلامي .

وكان من اشهر النقلة من اليونانية الى العربية :-

١ - ماسرجويه الذي ترجم اول موسوعة طبية يونانية الى العربية في عهد عمر
بن عبدالعزيز وكان الكتاب المفضل لتعلم الطب في مدرسة جنديسابور ،
وكان لهذا الكتاب تأثير كبير في ما اقتبسه الاطباء السريان والعرب فيما بعد .

٢ - ابو يحيى البطريق : قام بترجمة كتاب الاربع مقالات في صناعة احكام النجوم لبطليموس .

٣ - الحجاج بن يوسف " ابن المطران ترجم كتاب المجسطي لبطليموس ، ويمكن ان نقول انه ساهم بترجمته لان لهذا الكتاب عدة ترجمات في العربية .

٤ - سهل بن ربان الطبري ، الذي ترجم كتاب الاصول لاقليدس .

٥ - جو رجيس بن بختيشوع طبيب المنصور الذي كان مترجما من اليونانية الى السريانية وله كتاب في الطب نقله حنين بن اسحق الى العربية .

٦ - جبرائيل من آل بختيشوع وهو طبيب هارون الرشيد ، وكان هذا يرعى الترجمة من اليونانية الى العربية ، وقد اقترح على الرشيد ارسال بعثة للتفتيش عن المخطوطات اليونانية من اجل ترجمتها وقد كان آل بختيشوع هؤلاء دور بارز في حركة الترجمة الطبية .

٧ - يوحنا بن ماسويه :- وقد كان اول من عين قيما على بيت الحكمة في بغداد الرشيد ، وقد اشرف على ترجمة الكتب التي جاء بها الرشيد من بلاد الروم ، وقد كان يوحنا يتقن العربية والسريانية واليونانية بالاضافة الى مهارته في الطب .

٨ - حنين ابن اسحق ويعد شيخ المترجمين في العصر العباسي بالاضافة الى شهرته في الطب ، يتقن العربية والسريانية واليونانية والفارسية ، كان يجول البلاد باحثا عن الكتب العلمية اليونانية قام بترجمة كتب (البرهان) لجالينوس ، كان رئيس بيت الحكمة في عهد المأمون ، ترجم الى العربية سبعة كتب من كتب ابقراط ، ونقل مصنفات جالينوس الى الطب ، وترجم كتب (الاقرباذين) .

٩ - اسحق ابن حنين بن اسحق وكان فصيحا في العربية زاد على فصاحته

ابيه (١) . راجع كتاب الاصول لأقليدس ، وكتاب الكرة والاسطوانة لأرخميدس،
وكتاب ارسطوطاليس في النبات .

١٠- ثابت بن قرة :- كان يحسن العربية واليونانية والسريانية والعبرية لكتب
الرياضيات والفلك ، اشتغل بالهندسة التحليلية ، ابولونيوس الثمانية
في المخروطات ، واصلح ترجمة كتاب المجسطي لبطليموس .

١١- سنان بن ثابت بن قرة :- له دور كبير في انشاء البيمارستانات المتحركة
لمعالجة اهل المناطق النائية . نقل الى العربية كتاب نواميس هرمس .
١٢- قسطا بن لوقا البعلبكي :- يوناني الاصل ، برع في نقل الكتب الطبية والرياضية
والفلكية كما ترجم كتباً فلسفية ، وترجم كتاب الحيل لهيرون وكتاب السماء
لتيوفراسطس، وكتاب الفلك الصغير وهي مجموعة رسائل فلكية لعدد من علماء
اليونان القدماء . وله عدد كبير من اصلاحات للترجمات التي سبقته .

وكان النقل من اليونانية الى العربية محصوراً في فنون العلم والفلسفة
ولم يلتفت الى الادب والشعر ، ذلك لاعتزاز العرب بشعرهم واعتباره القمية
في الادب والفصاحة ، بالاضافة الى امتلاء الادب اليوناني في الدعوة الى الوثنية
وتمجيد الالهة التي لم ترق للمسلمين لاعتزازهم بدين التوحيد لذلك اهتموا
فيما كانوا يحتاجون اليه من العلوم لا سيما الطب وعلم الفلك والرياضيات
والهندسة .

(١) ابن النديم . الفهرست ص ٤١٥ .

اثر الترجمة والنقل على الحضارة العربية الاسلامية :-

نستطيع ان نجمل اثار النقل من اليونانية الى العربية بنواحي ثلاث :-

أ - في الفكر الاسلامي

ب - في اللغة الاسلامي

ج - في المنهج .

لا شك ان الفكر الاسلامي كان مهيئا لتلقي العلوم المنقولة وضمها بسهولة ويسر ، حيث تمخضت عن هذه الحركة عقلية جديدة تغيرت على اثرها نظرة الانسان المسلم الى نفسه والى محيطه مما جعله يعيد النظر في معنى الحياة والوجود والمصير . فبعد الترجمة انتقل علماء العرب الى الانتاج العلمي الاصيل ، بسرعة مذهلة مما كادوا يتدارسون الكتب المنقولة الى لغتهم حتى سعوا الى تطبيقها ، ثم انتقلوا الى الابتكار والاكتشاف فصححوا اخطاء اليونان ، واكملوا بحوثهم الناقصة وقد برزت ابتكارات العرب في الطب والكيمياء والفلك والرياضيات والتاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة ، فاغنى العلماء المسلمون التراث العقلي الانساني بكثير من المعاني والافكار ، وبهذا غسدت الامة العربية الاسلامية وريثة الفكر اليوناني ، والقيمة على ذخائر الثقافة والفن ، والممثلة الوحيدة للحضارة الانسانية الرفيعة في العصور الوسطى كلها . وقد شملت الحركة العقلية كل شيء من مظاهر الحياة ، ولا غرابة في ذلك فان العرب ذوو حضارة عريقة تمتد جذورها في الوجود الانساني ، فبعثت وجودها وتفاعلت وانجزت وابدعت وخلفت لابنائها وللأجيال الانسانية حضارة عظيمة كانت احدى الحلقات الحضارية الانسانية الدائمة .

ب - في اللغة العربية :- من مميزات اللغة العربية انها ذات طواعية اشتقاقية ونحتية تمكنها من التعبير الدقيق عن الافكار العلمية والفلسفية ، وهذا الذى مكنها من هضم التقاليد السامية القديمة وهياً للعلم العربى تمثيل العلوم اليونانية والارانية والهندية . وبهذا استوعبت العربية كثير من الاصطلاحات والتراكيب الفنية والالفاظ العلمية ، وهضمت عددا كبيرا من الكلمات الاجنبية ، وتحولت بفترة وجيزة الى لغة عالمية ، فاصبحت لغة الدين والحكمة والفلسفة والسياسة والتجارة والكتابة والتأليف . وبذلك صارت لغة العلم والحضارة ، فالغت اللغة السريانية لغة المشرق سابقا ، واصبحت كذلك اداة التطور والابتكار استطاعت العربية ان تتسع العلوم والفلسفات المختلفة فاستوعبتها ومن ثم تفاعلت مع اللغات الاخرى من يونانية ولاتينية لترفعها بمفرداتها ، وان اللغة العربية بقيت اطول فترة من فترات التاريخ الانسانى من عمرها الطويل الذى لم يكتب لغيرها من اللغات . وان اللغة عامة ليست وسيلة للتخاطب فحسب ، بل هى وعاء للفكر والعاطفة ، والمشاعر والأمال والألام ، ووعاء للتاريخ والمنطق . وهكذا كانت اللغة العربية لغة المجتمعات التى وصلتها من اسبانيا فى اوروبا مرورا بافريقيا امتدادا الى واسط اسيا واطرافها .

استطاع العلماء العرب عن طريق النحت والاشتقاق من بنية اللغة الاساسية مصطلحات العلوم والفلسفة ، فاصطفوا مفردات الطب والنبات والحيوان والطبيعة والكيمياء والفلسفة ، فاصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة والمنتديات الراقية واداة طيعة فى ايدى الباحثين والعلماء ، فكان للترجمة اثار عظيمة فى الادب والشعر والمعانى ، كما دخل الى العربية مفردات لا مثيل سابق لها

مثل الهندسة والجواهر وكيمياء وموسيقى وزنديق وديباج وابريق وعود... الخ .
كما دخل اللغة العربية كلمات مشتقة من العربية نفسها ذلك لان اللغة
العربية غنية بالتعابير الحسية ، وبعد الترجمة اعطت الكلمات القديمة
معاني جديدة ، حيث ان الكلمات المعربة اخذت ثقل شيئا فشيئا لتحل
محلها كلمات عربية قد تحولت عن معانيها المألوفة الى معان جديدة
مثل التحليل ، والمغالطة ، المقولات والتعاليم والرياضيات ، العبارة ،
الجدل ، السياسة وغيرها .

ج - اثر الترجمة في المنهج :-

استفاد العرب من المقاييس والمدارك الاحنبية في معالجة علومهم الشرعية
والعقلية واللغوية وفي تنسيق الكتب وتبويبها ، وفي العناية بالتعريف
والتنظيم والتقسيم والمقارنة والتسلسل في عرض الافكار والاراء والمذاهب
والمعتقدات ، وبالتالي في صقل التفكير وكبح العشوائية والارتجال فيد (١) .

(١) د . محمد عبدالرحمن مرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٤٠ .

الباب الرابع

مظاهر الحضارة العربية الاسلامية

المظهر السياسي والاداري

- وحدة الخلافة ، الشورى ، سلوك الموظفين

الدواوين ، الوزارة ، القضاء ، الحسبة ...

.....

.....

.....

.....

...

..

*

وحدة الخلافة :-

معنى كلمة خلافة ، الخلافة لغة مصدر خلف ^(١) . اى جاء بعده .
واول من اطلق عليه لقب خليفة هو ابو بكر الصديق حيث خلف الرسول في
حراسة الدين وسياسة الدنيا به ، ويقول ابن خلدون في مقدمته : والخلافة
هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخرية والديونية
الراجعة اليها ، اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع الى اعتبارها بمصالح
الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين والسياسة
الدنيا به . وقد اجمع فقهاء المسلمين وعامتهم على وجوب الخلافة ، وكان
ذلك منذ بداية الخلافة عندما خطب ابو بكر بقوله يوم السقيفة
" . . ان محمدا قد مضى لسبيله ، ولا بد لهذا الامر من قائم يقوم به " وقد صدقه
القوم ولم يقل له واحد منهم ، ان الدين يصلح من غير قائم به ^(٢) وعلى
العموم فان ابا بكر قد لقب بخليفة رسول الله وتولى رئاسة المسلمين او رئيس
الدولة الاسلامية ، وقد لقب الخليفة بواحدة من الالقاب الثلاثة التالية :

١ - الخليفة : وقد لقب به كل من تولى امور المسلمين بعد الرسول
صلى الله عليه وسلم .

٢ - الامام : وقد سمي بذلك لانه يؤم المسلمين بصلاتهم ، وفي تدبير
شؤونهم ورعاية مصالحهم . " وان تسميته امما مأ

(١) انظر : لسان العرب ج ١ - ٤٣٠ - ٤٣٧ .

(٢) د . صبحي الصالح النظم الاسلامية ص ٢٨٢ .

فتشبيها بهام الصلاة في اتباعه والافتداء به " (١) لذلك يقال عن الخليفة عند تسميته بالامام " الامامة الكبرى " كي يتميز عن الامامة الصغرى في الصلاة وغير ذلك .

واما الشيعة الهاشميين فقد سمو علي بن ابي طالب بامير المؤمنين (٢) .

٣- امير المؤمنين : واول من دعى بهذا الاسم هو عمر بن الخطاب وقد توارثه الخلفاء من بعده ، لانه كان من الصعب تسمية الخلفاء بخليفة خليفة . . رسول الله ، وان امير المؤمنين جاءت من اعتبار الخليفة هو امير القوم وقائدهم في الحرب . وان لقب امير المؤمنين لم يبلغ اسم الخليفة بل كان الخليفة يلقب باي من الالقاب الثلاثة الخليفة ، او امير المؤمنين ، او الامام .

الشروط الواجب توفرها في خليفة المسلمين :-

يترتب على رئيس الدولة اعمال هامة ، وهو منصب خطير لا بد من ان يتصف من يتولى الخلافة بصفات وتتوافر فيه الشروط التالية :-

١- الاسلام : حيث لا يجوز ان يكون الخليفة كافرا حيث اوجب القرآن

على المسلمين اطاعة المسلم بقوله تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم " (٣) .

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٢٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٠ .

(٣) سورة النساء أية ٥٩ .

وبقوله تعالى " ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء " (١) وفي هذا تحريم على المسلمين ان يقبلوا كافرا حاكما عليهم .

٢ - العلم : اى ان يكون عالما بشؤون الدين والاحكام الشرعية . وقد اشترط بعض العلماء ان يكون الخليفة مجتهدا (٢) ويقول ابن خلدون " لا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهدا ، لان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال " (٣) .

بينما لم يشترط البعض الاجتهاد في الامام لتعذرهما في كثير من الظروف لا سيما في القرون المتأخرة (٤) .

٣ - العدالة : المقصود بالعدالة ان يكون المرشح لهذا المنصب الخبير قائما بالفرائض والاركان متوقيا الكبائر من الآثام لا يصر على الصفات الرذيلة وان يكون صادق اللهجة ، ظاهر الامانة ، بعيدا عن الريب ، مأمونا وقست الرضاء والغضب مستعملا لمروءة مثله في دينه ودنياه ، لا يجاهر بمعصية ، ولا يجوز في الحكم (٥) .

٤ - الحرية : حيث لا يجوز للعبد ان يتولى الحكم لانه لا يملك حريته فكيف يملك امور الآخرين .

(١) سورة آل عمران أية ٢٨ .

(٢) انظر : الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٦ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢١٢ .

(٤) انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٠ .

(٥) د . محمد عبدالقادر ابو فارس : القضاء في الاسلام ص ٣٧ .

د - سلامة الحواس والاعضاء : والمقصود بذلك تلك التي يؤثر فقدانها على القيادة كفقدان البصر والنطق والسمع والرجلين او اليدين مما يشوه منظر الخليفة وتسقط هيئته عند الآخرين .

٦ - البلوغ : وهو شرط للتكليف فلا يكلف الصغير بشي من الاحكام الا بعد بلوغه ، والامامة من التكليف الشرعية ذات العبء الثقيل .

٧ - الذكورة : وذلك لان الرجل اقدر من المرأة واكفاً على تحمل المسؤولية لقوله تعالى " الرجال قوامون على النساء " (١) وان المرأة عاجزة شرعا عن امامة الناس في الصلاة وان الرجل اكثر حزمًا من المرأة بسبب تمتعها بعاطفة جياشة .

٨ - العقل : وذلك لان فاعد العقل لا يستطيع قيادة نفسه فكيف يقود امور الامة ويتولى شؤونهم .

٩ - الكفاءة : وذلك ان من واجبات الخليفة ان يضبط مصالح الامة ، شجاعا يقود الجيوش ، له رأى سديد ذو حنكة سياسية ، له علم باحوال الرجال واخلاقهم وكفاءتهم يقول ابن خلدون حول هذا الشرط : " وان يكون جريئًا في اقامة الحدود ، واقتحام الحروب ، بصيرا بها ، كفيلا يحمل الناس عليها ، عارفا باحوال الدهاء ، قويا على معاناة السياسة ، ليصح له بذلك ما جعل اليه في حماية الدين ، وجهاد العدو ، واقامة الاحكام ، وتدبير المصالح . (٢) .

(١) سورة النساء أية ٣٤ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ص ٢١٢ .

١٠ - النسب القرشي : ان يكون من نسل قريش . وقد اختلف العلماء
بهذا الشرط كما اختلفت الفرق بذلك . فالسنة والشيعة وبعض المعتزلة
يسرون ان يكون الامام قرشياً وقد استدلوا على ذلك بحديث عن الرسول قوله
" الاثمة من قريش " ، وان بعض الفرق ترى ان النسب القرشي ليس شرطاً لتولي
الخلافة وقال بهذا الرأي الخوارج وبعض المعتزلة .

واجبات الخليفة :- من خلال معنى الخلافة ومن خلال الشروط الواجب
توفرها في الخليفة ، يمكن ان نستنتج واجباته وقد حصرها الماوردي بعشرة
واجبات (١) :-

- ١ - حفظ الدين على اصوله المستقرة .
- ٢ - تنفيذ الاحكام المتشاجرين ، اى القضاء .
- ٣ - حماية البيضة والدفاع عن الحريم ، لىأمن الناس على عيالهم عند
اسفارهم .
- ٤ - اقامة الحدود ، لحفظ حقوق الناس .
- د - تحقيق الشعور بالعدة المانعة والقوة الدافعة .
- ٦ - جهاد من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم .
- ٧ - جباية الفيء والصدقات وما اوجبه الشرع .
- ٨ - تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال .
- ٩ - استكفاء الامناء وتقليد النصحاء فيما يفوض اليهم من الاعمال .

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ص ١٥ - ١٧ .

١٠ - ان يباشر بنفسه مشارف الامور وتصفح الاحوال لينهض بسياسة
الامة وحراسة العلة .

تطور الخلافة الاسلامية :- يمكن ان نوجز بان الخلافة مرت بثلاثة مراحل .
الخلافة الراشدة والاموية والعباسية ، مع تجزئة الخلافة في المرحلة الاخيرة
الى ثلاث عباسية وفاطمية واندلسية .

الخلافة الراشدة :- حيث تحقق بها فكرة الشورى ومثل الاسلام الاعلى في
العدل بين الناس ولم تستطع الانسانية " على ما جربت من تجارب ، وبلغت
س رقي ، وعلى ما بلغت من فنون الحكم ، وصور الحكومات ، ان تنشئ نظاما
سياسيا يتحقق فيه العدل السياسي والاجتماعي بين الناس على النحو الذي
كان ابو بكر وعمر يريدان ان يحققاه " (١) وقد انتخب الخلفاء الراشدون
جميعا عن طريق الترشيح والمشاورة وقبول اكثر الزعماء المسلمين ثم موافقة
سائر الامة . فلم يكن هناك اكراه او ضغط او استعمال للسلاح في تعيينهم
انما جرى الانتخاب باتفاق وتأييد الاكثرية .

الخلافة الاموية :- عندما انتقلت الخلافة للأُمويين غيروا وبدلوا مبدأ
الشورى الى التوريث فاصبحت الخلافة يورثه الاب الى ابنه وابقوا على طريقة
المبايعة التي كانت تؤخذ من الناس بالرضى او بالكسره احيانا ، ويستند الحكم
الى السياسة اولا والدين ثانيا كما ادخلت كل مظاهر الابهة التي تمتع بها
القيصرة (٢) .

(١) طه حسين ، الفتنة الكبرى ص ٦٤ . في الصالح النظم الاسلامية .

(٢) انور الرفاعي : النظم الاسلامية ص ٥٠

وقد كانت المدينة المنورة عاصمة الخلافة الراشدة بينما دمشق أصبحت عاصمة الدولة الاموية وكان لذلك اثر كبير في تأثير اهل البلاد المفتوحة في سياسة الدولة وسلطتها .

الخلافة العباسية :- انتهت الخلافة الاموية عام ١٣٢هـ بسقوط دمشق وقيام الدولة العباسية التي دامت حتى سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ على يد هولاءكو خان . وقد استعمل العباسيون نفس طريقة الامويين بالتوريث الا ان تأثير الفرس جعلهم يعتقدون ان حقهم في الملك مستمد من الله وان الخليفة شخص مقدس واصبح ظل الله في الارض واتضح ذلك من قول المنصور " انما انا سلطان الله في ارضه " .

وفي اواخر العصر العباسي ضعف امر الخلفاء واستقلت كثير من الدويلات بادارة شؤونها ، وبقي امراؤها يعترفون بسلطان الخليفة الديني ويرسلون له الاموال مقابل اعتراف الخليفة الشرعي لهم بالامارة كي تكون شرعية هذا يدل على ان العالم الاسلامي بقي متماسكا ، ورغم ان امراء البويهيين والسلاجقة الذين سيطروا على مركز الخلافة ابقوا على الخليفة كمسورة من صور الشرعية لوحدة الدولة الاسلامية ، الا انه نشأت خلافة اسلامية اخرى الى جانبها في مصر والشام وهي الفاطمية ، كما سعى الامراء الامويون انفسهم بالخلفاء ، وقد ادعى كل من هذه الخلاقات الثلاث الشرعية على اعتبار انه لا يجوز ان يكون في الدولة الاسلامية سوى خليفة شرعي واحد وهذا يثبت بالاجماع ان الخلافة وحدة واحدة وان الدولة هي واحدة وليست دولا كما حدث في العصر الثاني العباسي نتيجة ضعف الخلفاء . وقد اخسذ العثمانيون لقب الخلافة من آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة كي يضافوا

على حكمهم الصفة الدينية الشرعية .

وحدة الخلافة :- معنى هذه الوحدة ، انه لا يجوز ان يكون للمسلمين امامات في وقت واحد ، يشتركان في ادارة امور المسلمين . كما انه لا يجوز ان يكون امامان مستقل كل منهما في جزء من الدولة الاسلامية ، وذلك لان الوطن الاسلامي وطن واحد لا يجوز ان يتجزأ تحت ادارات مختلفة ، لذلك عندما قامت خلافة الفاطميين في مصر وخلافة الامويين الثانية الاندلس ، لم يجرها معظم علماء المسلمين واعتبروا هذه الخلافة او تلك باطلة .

الشورى :-

يقال شاوره مشاورة اي طلب منه المشورة وشاورته في كذا واستشرته راجعته لارى رأيه فيه . و اشار علي اي اراني ما عنده فيه من المصلحة فكانت اشارة حسنة ^(١) ويمكن ان نستنتج معنى الشورى بأنه تغليب الرأي واختباره من قبل ذوى العقول والافهام للتوصل الى افضلها واحسنها ليعمل به .

لقد اهتم الاسلام بمبدأ الشورى ، وجعل حياة المسلمين تقوم على الشورى بينهم ، وقد تحدثت سورة الشورى بينهم لقوله تعالى " والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون " ^(٢) وقد جاء القرآن بمثل على الشورى بقصة بلقيس التي اوردها القرآن الكريم بقوله تعالى " قالت يا ايها الملأ افتوني في امرى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون " ^(٣) كما ان في حياة الرسول امثلة كثيرة على اعتماده مبدأ

(١) انظر : لسان العرب ج٦ ص ١٠٢ - ١٠٦ .

(٢) سورة الشورى اية ٣٨ .

(٣) سورة النمل أية ٢٢ .

الشورى فى حكمه لا سيما فى امور الحرب كما حدث فى اكثر غزواته كما هو الحال باستشارته المسلمين بشأن القتال فى معركة بدر الكبرى كما تكرر ذلك فى غزوة الخندق واحد ، كما ان الرسول شاور الصحابة بامور كثيرة اذا لم ينزل بها وحى .

وقد قام الصحابة بعده بممارسة الشورى بحياتهم السياسية ، وكانت اولاهما فى سقيفة بني ساعدة ، عندما تشاوروا فى امر من يكون خليفة المسلمين بعد وفاة الرسول ، وبعد مناقشات استقر رأيهم ان يكون ابو بكر خليفة للرسول فبايعوه اى قبلوا به متوليا لامرهم . وان ابا بكر خلال خلافته كان يشاور الصحابة فى امور الدولة منها عند سماعه عن ردة العسرب ، فوقف على رأى الصحابة فكان قراره بمحاربة المرتدين ، وقد اتخذ عمر وعلي وغيرهما مستشارين له . كما فعل ذلك عمر بن الخطاب . وقد انتقل هذا المبدأ الى قادة الجيوش ، حيث كان القادة يستشيرون جنودهم قبل دخول المعارك ، فانتصروا بذلك ، فقد اورد المؤرخون عدة قصص منها : " فى اثناء الفتح الاسلامي لارض فارس طلب قائد جيش الفرس ان يلتقي بالقائد العربى قبل المعركة ليتفاوض معه فى حقن الدماء ، وبعد ان عرض الفارسي مقالته ، قال العربى امهلني حتى استشير القوم فدهش الفارسي وقال : الست امير الجند ؟ قال : بلى . قال الفارسي : اننا لا نؤمر علينا من يشاور . قال له العربى : ولهذا نحن نهزمكم دائما . اما نحن لا نؤمر علينا ممن لا يشاور (١) .

(١) الحرية السياسية فى الاسلام ص ١٨٨ نقلا عن كتاب سراج الملوك للطرطوسي .

فوائد الشورى برأى الاسلام والمسلمين :-

امر الله رسوله بان يشاور اصحابه في جميع الاحوال والظروف فقد نزلت الآية الكريمة بعد هزيمة المسلمين في معركة احد : " فاعف عنهم واستغفر لهم وشورهم في الامر " وان هذا الامر هو حكم اساسي من احكام الاسلام، وان على المسلمين ان يقتدوا به ، ويذكر لنا امير المؤمنين علي بن ابي طالب فوائد الشورى فيقول في المشورة سبع خصال :- استنباط الصواب ، واكتساب الرأي ، والتحصن عن السقطة ، وحرز من الملامة ، ونجاة من الندامة وألفة القلوب ، واتباع الاثر " (١) .

حكم الشورى :-

الشورى واجبة على المسؤول عند المسلمين بقوله الى " فيما رحمة من الله لنت لهم ، لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الامر ، فاذا عزمتم فتوكل على الله " (٢) .

وبذلك بالنسبة لغيره من الحكام انه اوجب . وقد قرن القرآن الكريم الشورى باقامة الصلاة ، قال تعالى " والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم " (٣) .

وبهذا يكون طابع الجماعة الاسلامية في كل حالاتها هو طابع الشورى ،

(١) ابو سالم محمد بن طلحة القرشي ص ٤٣ عن النظام السياسي في الاسلام د . محمد

عبد القادر ابو فارس .

(٢) سورة آل عمران اية ١٥٩ .

(٣) الشورى اية ٣٨ .

(٤) سورة الغاشية اية ٢٢ .

وان الدولة هي افراز طبيعي للجماعة ، وبهذا يكون الشورى هي احدى السمات المميزة للجماعة الاسلامية التي اختارها الله لقيادة الناس جميعا .

ولا يجوز للحاكم ان يمتنع عن الاستشارة لان وقوفه على رأيه وحده هو استبداد والاستبداد يؤدي الى الظلم والظلم ظلمات يوم القيامة ، حرمة الله على نفسه وجعله بين الناس محرما . والاستبداد ممنوع في الشريعة الاسلامية ، لم يرتضيه الله سبحانه وتعالى ، فقال لرسوله الكريم " لمست عليهم بعصيطر " (١) وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر الناس استشارة لاصحابه ، واحيانا كان يستشير في قضاياه الخاصة ، وشؤون اهل بيته (٢) وان في حياة الرسول واعماله اثباتات كثيرة انه كان يستشير الصحابة ويأخذ برأى الاغلبية حتى وان خالفت رأيه مثل مشاورته لجماعته يوم احد حيث اخذ برأى الاغلبية رغم مخالفة رأيهم لرأيه ، كذلك يوم الخندق ، اخذ برأى الانصار اهل المدينة ، وكذلك كان قد اخذ برأى الصحابة حين عسكر في مكان مناسب لقتال المشركين .

وهناك قضايا كثيرة تثبت ان الخلفاء الراشدين ، كان موقفهم كموقف الرسول من المشاورة ومناقشة الامور ، وان الصحابة قد جهدوا ان يتسم انتخاب الخلفاء بطريقة ما من طرق الشورى ، وقد ذكرنا ان يوم السقيفة كان يوما مشهودا من المناقشات ليتوصل المجتمعون الى قبول ابي بكر اول الخلفاء ومن ثم مبايعته ، وان البيعة ما هي الا نوع من ابداء الرأي بالقبول بالخليفة

(١) سورة الغاشية آية ٢٢ .

(٢) د . محمد عبدالقادر ابو فارس : النظام السياسي في الاسلام .

كرئيس للدولة الاسلامية ،

اما المواضيع التي يستشار بها فانها ذات ميدان فسيح تشمل جميع امور الناس واحوالهم ، ما لم يكن في هذا الامر او الحال نص قرأني او حديث نبى ، لان الشورى اجتهاد ، ولا اجتهاد في مورد النص ، ودليل ذلك ان الصحابة كانوا يسألون الرسول قبل ابداء الرأى او المشورة هل هذا الامر موحى به من عند الله ام هو اجتهاد منه ، فان كان اجتهاد ابدوا مشورتهم به .

لم يرد نص على طريقة الشورى بل تركت للمسلمين لانهم ادرى بامور حياتهم ، وان الحياة في تطور مستمر ، والكيفية التي تقوم بها المشورة تعتمد على القضية ، لان ما يصلح في زمن معين ، قد لا يصلح لازمان مستقبلية ، وهذا دليل واضح على مرونة الاسلام ، وكان المهم في نظر الاسلام ان تقوم حقيقة الشورى في المجتمع وان تتحقق في المجتمع الاسلامي ، سواء من حيث الحكم او الواقع الاجتماعي .

اما اهل الشورى فهم عامة المؤمنين لقوله تعالى " وشاورهم في الامر " و " وامرهم شورى بينهم " واذا عدنا الى الذين كان يشاورهم الرسول فهم الصحابة من المهاجرين الاوائل والانصار السابقين ، حيث كان هؤلاء من اهل الخبرة والتجربة ، وهم الذين اقاموا دولة الاسلام الاولى في المدينة ، وهم اهل العلم الذين اخذوه عن الرسول بمصاحبتهم له ، فكانوا الصحابة الاوائل عن جدارة بقدراتهم وعلمهم . وفي العهد الراشدي كان هؤلاء ايضا اهل الشورى ، فكان هؤلاء مجلس شورى للخليفة . وان السؤال من هم مجلس الشورى ! بالقياس الى مجلس الشورى الاوائل هم اصحاب الرأى، وقادة الفكر ، اصحاب الاختصاص والخبرة بامور الحياة ، وان هناك شروطا يجب ان تتوفر في هؤلاء

منها الاسلام ، البلوغ ، الحرية ، والعلم ، والعدالة ، المواطنة .

اما واجبات اهل الشورى فيمكن ان نوجزها بما يلي :-

١ - اختيار الخليفة " رئيس الدولة " اختيارا اوليا ومن ثم يعرض امره على العامة للموافقة عليه استنادا الى اختيار الخلفاء الاوائل .

٢ - معالجة القضايا العامة ، والمساعدة في ادارة شؤون البلاد .

٣ - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا سيما ان صدر ذلك عن مسؤولي الدولة سواء كان ذلك من الرئيس او الموظفين .

٤ - يمكن لمجلس الشورى ان يعزل اي موظف قام بتعيينه اذا قصر بواجباته او تراجع عن العقد الذي تعاقد مع المجتمع عليه من واجبات ، سواء كان رئيس الدولة او موظفيها .

هكذا نجد ان مبدأ الشورى هو من مبادئ الدولة الاساسية في النظام الاسلامي بما يتناسب مع الوضع الذي تعيشه ، وان مسؤولية ذلك فـرض وواجب على كل فرد من افراد المجتمع .

موظفو الدولة الإسلامية :-

كان النبي هو الذي وضع أول الموظفين على اقسام الجزيرة العربية التي انضمت الى الاسلام ، حيث بدأ ينصب عنه بعض الموظفين او العمال ، الذين تلخصت اعمالهم في امامة الناس في الصلاة ، وجمع الزكاة وتفقيه الناس في دينهم . كما ان الرسول كان ينصب عنه احيانا في قيادة بعض السرايا الحربية . وقد كان الرسول يختار هؤلاء الولاة او القادة من الذين يحسنون العمل ، يراقبهم بدقة ويطلع على اخبارهم ويحاسبهم وفي عهد ابي بكر ابقى على الولاة الذين عينهم الرسول . وقد قسمت الجزيرة العربية الى اثنتي عشرة ولاية كان اهمها مكة والطائف وصنعاء وحضرموت ونجران والبحرين . وقد جري ابو بكر على معرفة احوال العمال واستقصاء اخبارهم وكان يحذر اخترهم علما وعملا وعدلا . ولما جاء عمر بن الخطاب قسم الدولة بسبب اتساعها الى اقسام ادارية كبرى ، وامر الولاة بنسائها مدن خاصة لتكون مراكز للولايات يسكنها العرب الجند ، حيث كان حريصا الى عدم اختلاط العرب باهالي البلاد المفتوحة حتى لا يضيعون بالكثرة التي سيطروا عليها . وقد كان عمر ذا اساليب عديدة ودقيقة في معرفة احوال الولاة والولايات . الا انه ضعفت السيطرة على الولايات في اواخر عهد عثمان وكانت الفتنة التي ادت اخيرا الى ظهور الدولة الاموية ، حيث اهتموا بالولايات فكانوا يعينون الولاة من افراد البيت المالكة او الاعوان المخلصين . وقد سار على نفس الطريقة الخلفاء العباسيون الاوائل ، اما في العصر العباسي الثاني فقد ضعفت سيطرتهم على الولايات مما ساعد على تفكك الدولة العباسية .

وكانت الولاية او الامارة على البلدان على نوعين ، امارة خاصة او اامة ،
والامارة العامة على نوعين ، استكفاء :

استكفاء : وهي ان يعين الخليفة اميرا بعقد ينظر بجميع امور الولاية . او
امارة استيلاء وهي ان يستولي شخص ما على ولاية ، ومن ثم يعترف به الخليفة
مقابل دفع ضريبة معينة .

واما الامارة الخاصة : هي ان يكون الامير مقصور الامارة على تدبير الجيش
وسياسة الرعية وحماية البيضة . وليس له ان يتعرض للقضاء والاحكام
والجباية الخراج والصدقات .

الدواوين :-

اول من انشأ الدواوين هو الخليفة عمر بن الخطاب الذي اشار به عليه
احد مرابطة الفرس ليرتب امور الدولة بعد اتساع الفتوح (١) .

وقد كان اول ديوان هو ديوان الجند لمعرفة ما يخص الجنود من العطاء ،
وديوان الجباية وهو ديوان الخراج الذي يسجل فيه ما يرد الى بيت
المال وما يفرض لكل مسلم من العطاء " الراتب " .

بدأ اول ديوان مركزي في المدينة حيث سجل جميع العرب به لان عمر
اعتبر كل عربي مسلم هو جندي ، لذلك وجب له العطاء . اما في السلاط
المفتوحة فكان هناك دواوين فرعية ابقاها العرب بلغة اهل البلاد
المفتوحة حسبما كانت تكتب سابقا في العراق وايران بالفارسية ، وفي الشام
بيزنطية ، وفي مصر قبطية ، وقد بقيت حتى عهد عبدالملك بن مروان الاموي

(١) ابي يعلى : الاحكام السلطانية ص ٢٢١ .

وابنه الوليد حيث عربت .

تطور الدواوين فى العصر الاموى :- (١)

احتاج الامويون بسبب اتصالهم مع الامم الاخرى ، واتساع دولتهم الى تطوير الادارة وتوسيع نطاق واعمال الدواوين لذلك انشئت دواوين جديدة وكان اهم الدواوين هى :-

١ - ديوان الخراج :- وقد انشىء فى عهد عمر وبقي حتى نهاية الدولة العباسية .

٢ - ديوان الجند :- وهو الديوان المسؤول عن تسجيل الجند وعائلاتهم وحسب اعطيائهم .

٣ - ديوان الرسائل :- وهو دائرة رسمية تشرف على مراسلات الخليفة مع الامصار او مع الدول الاجنبية .

٤ - ديوان النفقات :- مهمته تتمثل فى صرف ما ينفق على تسليح الجيش ورواتبه والبسته ، والتوزيع على مرافق الدولة .

د - ديوان المستغلات :- وهو مسؤول عن الايرادات المتنوعة .

٦ - ديوان الصدقات :- وهو مسؤول عن توزيع موارد الزكاة حسبما جاء بأية الصدقات .

٧ - ديوان البريد :- لتنظيم الاتصالات الرسمية .

٨ - ديوان الخاتم :- وهو مسؤول عن الارشيف والسجلات بوضع نسخة من المراسلات الرسمية .

(١) مبحى الصالح : النظم الاسلامية ص ٣١٤ - ٣١٥ .

اما في العصر العباسي فقد تجددت موضوعات الدواوين وتطورت جمعت الدواوين بسجلات ، وانشاء دواوين جديدة مثل ديوان المصادرات ، سجل فيه الاموال المصادرة . كما انشئ ديوان الازمة وهي دوائر صغيرة نشرف على اعمال الدواوين الاخرى وهو ما يشبه ديوان المحاسبة في الوقت الحاضر . ثم انشئ ديوان مركزي اسموه ديوان زمام الازمة . وقد انشئ ديوان المظالم في عهد المهدي للنظر في شكاوى الشعب على المسؤولين . وهو مسؤول عن املاك الدولة .

وديوان الاستخراج وهو دائرة رسمية تسعى الى تتبع اخبار واعمال الوزراء والكتاب والحجاب لايحاليها الى الخليفة . وديوان الخاضع وهو ينظر اموال الخليفة واملاكه .

الوزارة :-

كلمة وزارة مشتقة من احدى الكلمات وزر بفتح الواو والزاي وهو الملحأ " كلالا وزر " او الوزر بكسر الواو وتسكين الزاي وتعني الحمل الثقيل او الأزر وهو الظهر (١) .

نشأة الوزارة وتطورها في الدولة الاسلامية :-

منصب الوزارة ليس غريباً بل معروفاً عند المسلمين منذ عهد النبي (ص) حيث ان كثيراً من الناس دعوا ابا بكر وزير النبي الذي كان يرافقه دائماً ،

(١) انظر : لسان العرب ج ٧ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

وان عمر بن الخطاب كان يعتبر وزيرا لابي بكر وان عليا وعثمان وزيرين لعمر
وهكذا كان الخلفاء الراشدون يتخذون من اصحاب الخبرة والحنكة السياسية
وزراء لهم دون مراسيم او تسمية واضحة بل من الناحية العملية .

وكذلك الامر في عهد بني امية الذين استوزروا المخلصين لهم دون
قواعد معينة بطريقة التعيين او التسمية او المهام .

وفي العصر العباسي تطورت الادارة ومهامها واصبح للوزارة قوانين وقواعد
ونظام ، واتسع مفهومها حيث اصبحت تعنى المشاركة الفعلية في ادارة شؤون
البلاد ، والتدخل في امور الدولة الهامة كالامور المالية والسياسية والحرب
واسرار الدولة .

وقد مرت فترة من الحكم العباسي صار فيها الوزير هو المتنفذ
الاول في الدولة ، له سلطة كسلطة الخليفة يولي ويعزل الولاة ويتدخل
في العطاء والمظالم (١) .

كان الوزراء قبل العباسيين مساعدا لاولي الامر بالرأى والمشورة ، وان اول
الوزراء الذين دعوا بهذا الاسم له صلاحيات واسعة هو ابو سلمة الخلال ، الذي
كان يدعى وزير آل محمد قبل قيام الدولة العباسية وقد اتخذه السفاح
اول الخلفاء العباسيين وزيرا رسميا له وقد اشتهر بالكرم والعلم (٢)

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٧٢ .

(٢) ابن الطقطقي ، الفخرى في الاداب السلطانية ص ٥٢ - ١٥٥ .

وقد عرف العرب نوعان من الوزارة في العصر العباسي وزارة التفويض ووزارة التنفيذ .

نوعا الوزارة :-

أولا وزارة التفويض :-

هو ان يعهد الخليفة أو أحد ولاة الاقاليم شخصا يفوض اليه تدبير أمور الدولة أو الولاية برأيه وامضاءها على اجتهاده ، ويجوز له ان يستعين بمن شاء من المسلمين ، ويعزل من يشاء من الولاة غير الكفيااء ليحقق الاهداف التي يمتن من أجلها وهي مصلحة العباد ورعاية شؤون البلاد والقيام بما التزم به من تحقيق الثغور واقامة الحدود واقتحام الحروب (١)

ويشترط فيمن يتولى وزارة التفويض ان يتوفر فيه الشروط المطلوبة في الخليفة ما عدا النسب القرشي (٢)

مهام وزير التفويض :-

- ١ - له مال للخليفة من سلطان . وذلك بسبب تفويض أموره للوزير
- ٢ - النظر في المظالم .
- ٣ - يتولى ولاية الجهاد .
- ٤ - تنفيذ الامور التي يديرها .
- ٥ - وأخيرا يحق له ان يستنيب عنه .

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٢٢

(٢) المعتمد نفسه : ص ٢٢ .

وتخرج من سلطاته ثلاثة أمور :-

- ١ - لايجوز له ان يعين ولي العهد فهي من مهام الخليفة وحده .
- ٢ - اعفاء الخليفة من العمل .
- ٣ - لايجوز له ان يعزل من يعينه الخليفة ، بينما يجوز للخليفة ان يعزل من يعينه الوزير .

ثانيا :- وزير التنفيذ :-

وهو ان يقوم الخليفة بتعيين شخص مالتنفيذ ما ويوكل اليه من أمور وينقل أخبار الولاية والرعية اليه كما ينقل تعليماته واوامره الى الولاية والامراء والقضاء وسائر الرعية (١) .

لذلك كانت الشروط الواجب توافرها في ان يتولى وزارة التنفيذ دون شروط وزير التفويض ، وان بعض الفقهاء لم يشترطوا الاسلام بل أجازوا ان يكون ذميا أو عبدا . بينما رفض ذلك بعضهم الآخر (٢) .

صلاحيات وزير التنفيذ :- (٣)

- ١ - تسيير الجيوش وتجهيزها .
- ٢ - تفقد أسرار الدولة بتوصيلها الى الخليفة .
- ٣ - يشارك في الرأي اذا أراد الخليفة ذلك .
- ٤ - ينفذ ما يصدره الخليفة من أحكام .

(١) أبويعلى الفراء : الاحكام السلطانية : ص ٣٠

(٢) تفسير ابن كثير : ج٢ ، ص ١٠٣ - ١٠٤

(٣) المايردى : الاحكام السلطانية : ص ٢٥ - ٢٦ .

٥- نقل أوامر الخليفة بتعيين الولاة أو عزلهم .

ويذكر هنا انه يمكن ان يوجد أكثر من وزير تنفيذ في الدولة كما
ان هناك وزير مركزي في العاصمة ووزراء تنفيذ في الاقاليم .

الفرق بين الوزارتين في المهام :-

أ - يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم بينما لايجوز
لوزير التنفيذ .

ب - يجوز لوزير التفويض تعيين الولاة ، بينما لايجوز ذلك لوزير التنفيذ
ج - يتصرف وزير التفويض بأموال الدولة وليس ذلك لوزير التنفيذ .

القضاء :-

القضاء منصب الفصل بين الناس في الخصومات ، حسما للتداعسي
وقطعا للتنازع ، بالاحكام الشرعية المتلقاه من الكتاب والسنة ^(١) ، وولاية
القضاء كان يتولاها شخص يعاونه أشخاص آخرون أقل منه مرتبة ، ولم تكن
أعمال ولاية القضاء واحدة في كل العصور الا انها وضعت في أواسط العصر
العباسي في القيام بالأعمال التالية :- ^(٢)

١ - النظر في الحدود ، وان لم يتقدم أحد في الشكوى .

٢ - النظر في الاوقاف .

(١) ابن خلدون : المقدمة : ص ١٣

(٢) انظر : الاحكام السلطانية للماوردي : ص ٥٨ - ٦٠ والمقدمة لابن خلدون ص ١٧

- ٣ - ان يكون عاقلا حرا فير مجنون مشهور عنه الفطنة .
- ٤ - ان يكون حرا أو من كان عبدا .
- ٥ - ان يكون مسلما اذ انه لايجوز لغير المسلم القضاء بين المسلمين .
- ٦ - سلامة الحواس والبصر والنطق .
- ٧ - ان يكون عالما لان العلم صفة ضرورية للقاضي .
- ٨ - ان يكون مشهورا بالعدل ملتزما بواجبات الشرع مجتنبيا للمحرمات .

مجلس الحكم أو مجلس القاضي :-

كان يعقد مجلس الحكم في مسجد العاصمة الكبير ، حيث ان المساجد وقتئذ لم تكن تقتصر على أداء الصلاة ، ولنما أيضا كانت مكانا للفصل في أمور الناس أو تعليمهم أو حتى تصرف أمور تجارية ، وكان أحيانا يجلس القاضي في داره للقضاء .

كان مجلس القضاء يعقد علنا في أيام محددة . وكان يتكون عادة من القاضي والشهود العدول والموقعين الذين يكتبون ما يدور في الجلسة والحجاب الذين يدخلون المتخاصمين وأحيانا من موظف خاص يقوم بتنفيذ ما يصدره القاضي من الاحكام يعرف بصاحب الشرطة ، وكان المتخاصمون يظهرون بمفردهم أو مصطحبين معهم وكلاء أي ما يشبه المحامين حاليا .

كان القاضي في البداية يجلس ببساطة حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، حيث أصبح يلبس زيا خاصا يسمى الطيلسان أوزى القضاء الخاص كان يجلس على مخده وخلفه مسند وأمامه كرسي توضع عليه الدوا ، وكان

الشهود يجلسون حوله .

كان ما يدور في الجلسة يسجل يسمى سجلات الحكم أو دواوين الحكم
تحفظ في بيت القاضي أو في المسجد فيما بعد .

كان الحكم في القضايا يسير وفق القرآن والسنة فان لم يجد كـ
يسير وفق اجتهاده وكان ذلك قبل ظهور المذاهب . وقد ظهر فيما بعد
منصب المفتي وهو من المتفقيين في الدين . (١)

كان القاضي يتناول مرتبا عاليا لخطورة وحساسية عمله . وكان أحيانا
بعض الفقهاء يحجمون عن قبول القضاء خوفا من المسؤولية أو وقوعهم تحت
نفوذ المسؤولين ، ومن هؤلاء أبو حنيفة الذي رفض قبول القضاء رغم تهديد
ال خليفة المنصور العباسي بسجنه (٢) .

ويما ان الدولة الاسلامية كانت تضم الذميين أيضا فقد اهتم المسؤولون
بتنظيم القضاء لهم حيث كان رجال الدولة منهم يتولون القضاء لهم ولايتدخل
فيه قضاة المسلمين ، اذ أجاز الفقهاء تقليد الذمي القضاء لاهل الذمة (٣)
وكان يدعى قاضيهم باسم قاضي النصارى أو قاضي العجم لاسيما في الاندلس .

(١) انظر الماوردي : الاحكام السلطانية : ص ٣ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون : وفيات الاعيان : ج ٣ ، ص ٧٤ - ٧٨ .

(٣) الماوردي : الاحكام السلطانية : ص ٥٤ .

قضاء المظالم :-

معناه منع الظلم عن الرعية الذي يأتي من القوى أو الفساد فسي الدواوين المركزية أو الإدارة المحلية أو من ذوى الجاه والمراكز في الدولة وقد كان ينظر فيه الخليفة نفسه أو من ينوب عنه من كبار رجال الدولة ويظهر ان أصله الفارسي ، كما مارسه العرب في الجاهلية في حلف الفضول وأول خليفة جلس لقضاء المظالم بنفس الاسم هو عبدالملك بن مروان . وإذا عين الخليفة من ينوب عنه كان يختار موظفا يكون عظيم الهيئة عالي اليد له سطوة قوية ، لذلك كان يقوم به الوزراء على الأكثر .

كان مقر المظالم هو مقر الخلافة أو قصره . وكان المتظلمون من مساحة الشعب أو المستضعفين من العاصمة أو الأقاليم ، وكانت أهم القضايا التي تعرض ، التظلم من الاشتطاط في جمع الضرائب ، أو من الجزية أو من سوء معاملة الموظفين للأهالي .

الحسبه :-

كلمة الحسبة مشتقة من حسبك أى يكفيك ، وهو منصب يقوم به شخص يدعى المحتسب ، وهو منصب ديني خلقي أساسه الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله (١) .

ولكن الحسبه تطورت فيما بعد بالاضافة الى عملها السابق الى

(١) ابن خلدون : المقدمة : ص ١٧٨ . الماوردي . الاحكام السلطانية ص ٢٠٨

واجبات مادية تتفق مع المصالح العامة للمسلمين ، كما تطورت الى خدمات اجتماعية واقتصادية .

نشأت الحسبه منذ عهد الرسول حيث انه كان أول محتسب كما كان الخلفاء بعده محتسبين كما هو الحال بالنسبة لعمر بن الخطاب كما عرفها فيما بعد الامويين والعباسيين حيث أفردوا فيما يلي .

١ - الامور الاجتماعية وهي :-

- أ - المحافظة على النظافة في الطرق .
- ب - الرأفة بالحيوان وان لا يحمل بما لا يطيق .
- ج - رعاية الصحة .
- د - الرأفة بالاطفال ومنع معلمين من الضرب .
- هـ - مراقبة الحانات ومنع تبرج النساء .

٢ - الامور الاقتصادية :-

- أ - مراقبة الاسواق من حيث الاسعار والموازين والمكاييل .
- ب - منع الغش في الصناعات والمعاملات .
- ٢ - مراقبة العبادات ، وقت الصلاة في الجمع والاعياد ومع الاقطار في رمضان
- ٤ - مراقبة الابنية والطرق ، وهو ما تفعله البلديات في الوقت الحاضر وهمدم الابنية التي منها خطر على الناس ، والامر ببناء الاسوار .
- ٥ - القضاء ببعض الدعاوى ، مثل دعوى التقليل في الوزن أو الكيل ، أو الغش في البضاعة أو بسعر عال أو الاستغلال .

٦ - هناك بضعة أعمال كان يقوم بها المحتسب وأعوانه مثل الدعوة إلى

عمل الخير وبناء المبرات والرفق بالضعفاء .

ويذكر هنا ان المحتسب كان يباشر العمل بنفسه أو عن طريق معاونة

دونما حاجة للقيام دعوى أو مشتكي ، حيث كان هؤلاء يجوبون الاسواق يمنعونوا

الشر أو يوقفوه .

الباب الخامس

- المظهر الفكري :

- العلوم الطبيعية : الرياضيات ، الفيزياء .
- العلوم الفلسفية .
- العلوم الاجتماعية .
- العلوم الدينية (علوم القرآن ، والتفسير والفقه) .

المظهر الفكري :

العلوم الطبيعية :

الرياضيات :

لقد أخذ العرب عن الهنود نظام الترقيم ، حيث رأوا أنه أفضل من النظام الذي كان شائعاً عندهم وهو نظام الترقيم على حساب الجمل . وكان لدى الهنود أشكالاً كثيرة للأرقام فوحدوها وهذبوها وكونوا منها سلسلتين : عرفت أحدهما بالأرقام الهندية وهي الشائعة الآن في الكثير من البلدان البلدان العربية " ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ " . وعرفت الثانية بالأرقام الفارسية . وقد انتشر استعمالها في بلاد المغرب والاندلس وعرفت بالأرقام العربية . وأوجد العرب طريقة الإحصاء العشري وعرفوا الصفر واستعملوا له النقطة وابتكروا علامة الفاصلة للكسر العشري (١) .

وللصفر فوائد كثيرة . فقد ساهم في تسهيل الترقيم وتسهيل جميع أعمال الحساب إذ لولاه لما سهلت الأعمال الحسابية ، ولولاه لما أمكن حل الكثير من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بسهولة ، ولولاه أيضاً لما تقدمت فروع الرياضيات تقدمها المشهور (٢) . وتوسع العرب في بحوث النسب وقسموها إلى ثلاثة أقسام :

العددية والهندسية والتأليفية وعرفوا كيفية استخراج الأنغام والألحان من النسبة الأخيرة .

وأكثر العرب من الأمثلة في مؤلفاتهم وطرحوا مسائل عملية تناولت ما يقتضيه العصر من معاملات تجارية ، والصدقات والبيع والشراء وتوزيع الغنائم والرواتب . وكان محمد بن موسى الخوارزمي أول من وضع الأرقام

(١) قدرى طوقان : العلوم عند العرب ص ٥٢ وما بعدها - مكتبه مصر دار مصر للطباعة ١٩٦٠

(٢) قدرى طوقان : ص ٥٤

الغنائم والرواتب . وكان محمد بن موسى الخوارزمي أول من وضع الأرقام الهندية في مؤلفاته وكتبه في الحساب وقد نقل كتابه في الحساب إلى اللغة اللاتينية وبقي زمنًا مرجعًا للعلماء (١) .

واشتغل العرب بالجبر وبرعوا فيه فقد قال (كاجوري) " إن العقول ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر " . وهم أول من أطلق لفظ جبر على العلم المعروف الآن بهذا الاسم . وعنه أخذ الأقرن هذا الاسم وأول من ألف فيه محمد بن موسى الخوارزمي في زمن المأمون . فكان كتابه في الجبر والمقابلة منهلاً أخذ منه علماء العرب والغرب بحيث أصبح القول بأن الخوارزمي صنع علم الجبر وعلم الحساب للناس أجمعين (٢)

وعرف العرب المعادلات الجبرية وحلوا بعض معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية واستعملوا الرموز في المعادلات الرياضية ووضعوا حلولاً جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها مختلفة التركيب (٣) ، كما استطاعوا حل معادلات الدرجة الثالثة ، وبذلك جمعوا بين الهندسية والجبر واستخدموا الجبر في حل بعض الأعمال الهندسية ، واستخدموا الهندسة لحل الأعمال الجبرية ، فكانوا واضعي أسس الهندسة التحليلية ، ومهدوا لنشأة علم التكامل والتفاضل (٤) .

وعرف العرب الجذور الصماء فكان الخوارزمي أول من استعمل كلمة أصم لتدل على العدد الذي لا جذر له . ومهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات فعرف (ابن حمزة) ببحوثه في المتواليات العددية والهندسية . وكان من الذين

(١) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم : ص ٨٩ .

(٢) قدرى طوقان : العلوم عند العرب : ص ٥٥

(٣) قدرى طوقان : ص ٥٦ وما بعدها .

(٤) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم : ص ٨٩ .

مهدوا الطريق الى كشف اللوغاريتمات . وكتب العرب في حساب المثلثات حيث نهل الغرب من كتبهم (١) وخرج العرب ببحوثهم الفلكية من النظريات الى العمليات . فقالوا باستدارة الارض ونظموا الازياج (٢) ووصفوا الاسطرلاب وضبطوا حركة الشمس وفاقوا غيرهم في مجال رصد النجوم والكواكب وصنع آلاتها .

وبهذا فان العرب يكونوا قد قاموا بدورهم في التطور الفكري وهيئوا الاسباب بذلك الظهور التفكير العلمي الحديث .

وفيما يلي موجز عن كل من الرياضيات والفيزياء من مجالات العلوم

الطبيعية :

الحساب :

أخذ العرب الارقام والصفير عن الهند (فهدبوها واستخدموها في الترقيم) (تدوين الاعداد) وفي المسائل الحسابية وجعلوا الصفير دالا على الجزء الحالي في العدد . فابتكروا بذلك المراتب اي الخانات .
٤٩ ، ٤٠٩ ، ٤٠٩٠ ، ٤٠٠٠٩ ، ٤٩٠٠ الخ ...

وظهرت الارقام والصفير مرسوما نقطة في كتب عربية وألفت منذ سنة ٧٤٢ هـ / ٧٨٧ م قبل أن تظهر في الكتب الهندية (٣) . وقد كان لاستخدام الارقام والصفير أثر في حل المسائل الحسابية وتدوين الكسور العادية والعشرية وأمكن بناء المعادلات .

وابتكر العرب علامة الكسر العشري وتنسب الى العالم الرياضي غياث

الدين جمذيد الكاشي وفي كتابه (الرسالة المحيطية) وردت النسبة بين

(١) منتصر : تاريخ العرب ، ص ٩٠

(٢) الزيج: جدار للنجوم وحركاتها .

(٣) عمر فوخ : العلوم عند العرب : ص ١٣٣ .

محيط الدائرة وقطرها وهي التي يطلق عليها (ط) بالكسر العشرى . قد

أعطى قيمة (٢ ط) لستة عشر رقما عشريا كما يلي :

$$٧١٧٩٥٨٧٦٥ ، ٦/٢٨٣١٨٥ = ٢ ط .$$

ولم يعرف ان أحدا سبقه في ايجاد هذه النسبة بهذه الدقة .

وقسم العرب الحساب الى غبارى : وهو الذى يحتاج الى ورقة وقلم

وهوائى وهو الحساب الزمنى وهذا لا يحتاج استعماله الى أدوات وله قوانين

وطرق خاصة . وهذا كبير الفائدة للتجار في رحلاتهم وفي أسواقهم ، كما

يحتاجه العوام خاصة . الذين لا يعرفون الكتابة ، والخواص اذا لم تتيسر

أدوات الكتابة .

وقد وضع العرب مؤلفات كثيرة في الحساب ترجمت الى اللغتين

الاجنبية وقسموا الحساب الى أبواب منها ما يتعلق بالاعداد الصحيحة ومنها

ما يتعلق بحساب الكسور ومنها فصول للجمع والتضعيف وفي التصنيف

والتفريق (الطرح) وبعضها في الضرب والقسمة وفي استخراج الجذور ، وكان

لكل منها طرقا معينة وأسلوبا خاصا في اجراء العمليات منها ما هو

خاص بالمبتدئين مما يصلح للتعليم وأجادوا في بحوث النسبة وأكثروا من

الامثلة والتمارين في مؤلفاتهم وجاءوا بمسائل تدور حول ما يقتضيه العصر

وما يتعلق بالمعاملات التجارية والمواريث والمرتبات والغنائم والصدقات

كما عرفوا المتواليات الحسابية والهندسية وعرفوا قواعد استخراج الجذور

لجمع المربعات المتوالية والمكعبات .

وكان من العلماء الذين اهتموا بالرياضيات الكندى (ت ٢٥٢هـ / ٨٦٦م)

فقال ان الفلسفة نفسها لا تفهم الا بالرياضيات . والرياضيات تكون بالبراهين

لا بالافتناع الشخصي ولا بالظن (١) .

كما اهتم أبوبكر محمد بن الحسن الكرخي (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م)
بالحساب والجبر ، كما كان ابن البناء المراكشي (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م)
بارعا في الجانب العملي من الحساب تعليما وتأليفا . ومن كبار الرياضيين
المشهورين غياث الدين جمشيد الكاشي (ت ٨٤٠ هـ / ١٣٤٦ م) صاحب كتاب
(مفتاح الحساب) . وقد بحث الكاشي في معظم أبواب العلوم الرياضية في
الارقام والاعداد والحساب والمساحة (الهندسة المستوية) والمثلثات والفلك
وكانت براعته في توسعه في استخدام الارقام الهندسية (٢) .

الجبر :

اشتغل العرب بالجبر وبرعوا فيه كثيرا وهم أول من استعمل كلمة
جبر للدلالة على العلم المعروف الآن بهذا الاسم . وعندهم اخذ القرنج هذه
اللفظة فسموه (Algebra) . وكان أول من ألف فيه محمد بن موسى
الخوارزمي (ت ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) في عهد الخليفة العباس المأمون ويعتبر واضع
علم الجبر في كتابه " الجبر والمقابلة " حيث كان هذا الكتاب مصدرا اعتمد
عليه الاوروبيون في بحوثهم في هذا المجال . وقد أحدث هذا الكتاب تقدما
في علمي الجبر والحساب بحيث صح القول بأن الخوارزمي واضع علمي الجبر
والحساب (٣) .

وذكر الخوارزمي أنه وجد ان الاعداد التي يحتاج اليها في حساب الجبر

- (١) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٣٨ .
- (٢) انظر عمر فبروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٢٣ وما بعدها .
- (٣) عبدالحليم منصر : تاريخ العلم : ص ٩٤ . محمد عبدالرحمن مرحبا :
الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٢٩ .

والمقابلة ثلاثة أنواع هي الجذر والمال والعدد المفرد .

فالجذر : هو شيء مضروب في نفسه من الواحد فما فوقه من الاعداد ومادونه من الكسور ، وهو الشيء المجهول وعلامته شيء ثم اختصرت فأصبحت ش ثم س
والمال : مربع الجذر أو الشيء : س^٢ مثلاً .

والعدد المفرد : الحد الذي لا جذر معه وهو كل ملفوظ به من العدد
بالنسبة الى جذور ولا الى مال وهو العدد الخالي من (س) .

ومن ذلك يتضح ان العرب عرفوا حل المعادلات من الدرجة الثانية
كما عرفوا حل المعادلات من الدرجة الثانية ذات المجهولين وحل معادلات
من قوى أعلى فتجلت عبقرية الخوارزمي عندما وضع المعادلة الشاملة التي
هي الاساس التي قامت عليه معادلات الدرجة الثانية : $s^2 + 21 = 10s$.
وفي باب المساحة من كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي عمليات
هندسية حلها بطرق جبرية مما يشير الى أن العرب كانوا أول من استعان
بالجبر في حل مسائل هندسية . فكان الخوارزمي قد خلق علما من معلومات
مشتته غير متماسكة اذ لم يعثر على كتاب الخوارزمي (١) .
واستخدم علماء العرب الرموز في الاعمال الرياضية وسبقوا الغربيين
في هذا المجال . فاستخدموا لعلامة الجذر الحرف الاول من كلمة جذر
(ح) أي مايقابل $\sqrt{\quad}$.

وللمجهول الحرف الاول من كلمة شيء (ش) بمعنى ش .

وللمربع المجهول : الحرف الاول من كلمة مال : (م) بمعنى ش^٢

عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ، ص ٩٣ وما بعدها .

محمد عبدالرحمن مرحبا : الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٢٩ .

ولمكعب المجهول : الحرف الأول من كلمة كعب (ك) بمعنى ش^٣
ولعلامة المساواة حرف (ل) أى مايقابل (=) .

وللنسبة ثلاث نقط (. . .) أى مايقابل :

أما علامة الجمع فكانت عطفًا بلا (واو) .

واشتهر من علماء العرب في الرياضيات : الخوارزمي وأبو كامل قسطنطين

ابن لوقا وسنان بن أبي الفتح وبهاء الدين العاملي وابن البناء والقليوبي

وابن الهيثم وثابت بن قرة . وقد ثبت ان ثابت بن قرة أعطى حلولاً هندسية لبعض

المعادلات التكعيبية وكذلك الخازن والخيام وابن الهيثم وامتدوا الهندسة لحل

بعض الاعمال الجبرية وبذلك وضعوا أسس الهندسة التحليلية . وكان الخوارزمي

أول من استعمل كلمة أصم لتدل على العدد الذي لا جذر له . ووجدوا طرقاً لايجاد القيم

التقريبية للأعداد والكميات التي لا يستخرج جذرها ، ومهد ابن يونس وابن حمر

لاكتشاف اللوغاريتمات التي شاع استعمالها بعد ذلك .

الهندسة :

يقول ابن خلدون^(١) : الهندسة هي النظر في المقادير اما المتصلة

كالخط والسطح والجسم . وأما المنفصلة كالأعداد . وما يعرض بها من

العوارض الذاتية .

لقد ترجم العرب كتاب الاصول لإقليدس وزادوا على نظرياته وقد ألف

العرب على غرارهم وأدخلوا تمارين جديدة لم يعرفها القدماء مثل ابن الهيثم

والبيروني ، وابتكروا الحلول الجديدة لها^(٢) .

وعرف العرب المربعات السحرية . وقسموا الهندسة الى نوعين :

عقلية وحسية . فالحسية معروفة المقادير وهي ما يرى بالبصر ويدرك باللمس

والعقلية ما يعد ويفهم^(٣) .

وكتب العرب في المساحات والنجوم وتحليل المسائل الهندسية

(١) مقدمة ابن خلدون : ص ٩٠١

(٢) محمد مرحبا : الموجز في تاريخ العلوم عند العرب . ص ١٣ .

(٣) منتصر : تاريخ العلم ، ص ٩٥

واستخراج المسائل الحسابية كما كتبوا في موضوعات تقسيم الزاوية السى
ثلاثة أقسام متساوية ورسم المضلعات المنتظمة وربطها بمعدلات جبرية
وكيفية إيجاد نسبة محيط الدائرة الى قطرها .

ومن أشهر العلماء العرب في علم الهندسة : الحسن بن الهيثم
الذى سخر الهندسة بنوعيهما المستوية والمجسمة للبحوث الضوء وتعيبين
نقطة الانعكاس في المرايا الكرية والاسطوانية والمخروطية المحدبة منها
والمقعرة (١)

ولثابت بن قرة مؤلفات وابتكارات في الهندسة التحليلية ووضع
كتابا في الجبر بين فيه علاقة الجبر بالهندسة . واستعمل بنو موسى
الطريقة المعروفة الآن في انشاء الهيكل الاهليلجي . وهي أن تغرس دبوسين
في نقطتين وتأخذ خيطا طوله أكثر من ضعف البعد بين النقطتين وتربط
الخيط من طرفه وتضعه حول الدبوسين وتدخل فيه قلم رصاص فعند ادارة القلم
يتكون الشكل الاهليلجي وتسمى النقطتان بمؤرتي الاهليلجي (٢)

ويعتبر البوزجاني من أشهر الذين برعوا في الهندسة . وقد زاد
على بحوث الخوارزمي زيادات تعتبر أساسا لعلاقة الهندسة بالجبر (٣) .

المثلثات والفلك :

كان العرب من أوائل واضعي علم حساب المثلثات . وهم أول من ألف
فيه بطريقة علمية منتظمة . اذ استعملوا الجيب بدلا من وتر ضعف القوس (٤)

(١) انظر : توفيق الطويل : العرب والعلم ، ص ٦٢ .

(٢) عبدالحليم منتصر : ص ٢٢٣ .

(٣) توفيق الطويل : العلم والعرب : ص ٦٢ - عبدالحليم منتصر : المرجع
السابق ص ٢٢٤ .

(٤) قدرى طوقان : نراث العرب العلمي

وكان لذلك أهمية في تسهيل حلول كثيرة من المسائل الرياضية .

والعرب أول من أدخل الظل في النسب المثلثية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى البوزجاني والطوسي والبيروني والخازن ، كما كان للتبريزي ولجابر بن الأفلح الفضل في كشف العلاقة بين الجيب والظل ونظائرها، ومعروفة كيفية هذه العلاقة وبفضل قوانين هذا العلم تقدمت بحوث الهندسة والمساحة والطبيعة^(١) وعرف العلماء العرب علم الفلك ولهم فيه قياسات كثيرة ورصودات وربطوا بينه وبين العلوم الرياضية ، ومنهم من ربط بين حركة الأجرام السماوية وحوادث العالم والناس من حيث الخط والمستقبل والحرب والسلام مما يعرف بعلم التنجيم فكان الخلفاء يستشيرون المنجمين في أمور كثيرة وكان أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني مشغوفا بالمنجمين . وهو الذي أمر بترجمة كتاب في حركات النجوم ترجمة محمد ابراهيم وسماه السند هند الكبير . وبقي معمولاً به إلى أيام المأمون واختار الخوارزمي ووضع منه زيجة المشهور^(٢) .

وفي خلافة المنصور نقل أبو يحيى البطريق كتاب الأربع مقالات لبطليموس في صناعة أحكام النجوم . وفي زمن المأمون ألف يحيى بن أبي منصور زيجاً فلكياً ، وألف موسى ابن شاكر أزياجة المشهورة .^(٣)

وشغف كثير من العلماء والفوافيه ، وعملوا أرسادا وزياجا مثل ثابت ابن قرة والبلخي ، وحنين بن اسحق والمتاني والكندي والبورجاني وابن يونس والبيروني والطوسي والكاشي والغزاري وغيرهم .

(١) الطويل : العلم والعرب ، ص ٦٢ .

(٢) عبدالحليم منصر . ص ٢٢٥ .

(٣) الطويل : تاريخ العلم : ص ١٣٧ .

والعرب هم أول من قام بقياس محيط الأرض وحساب نصف قطرهما
بطريق علمي صحيح^(١) وترجم ثابت بن قره كتاب المجسطي في الفلك
واختصره بهدف تعليمه وتسهيل قراءته . كما استخرج حركة الشمس ويقول
سارتون عن الصوفي^(٢) : أنه من أعظم فلكي الإسلام وله مؤلفات كثيرة
في الفلك .

وضبط العرب حركة أوج الشمس وتداخل فلكها في أفلاك أخرى
ولبيان أهمية مساهمة العرب في علم الفلك لا بد من القاء نظرة على
الاسماء الفرنجية التي تشاهد بالعين المجردة فما يقارب نصفها من وضع
العرب ولا تزال تحتفظ بأصلها العربي .

ويعزي لبني موسى القول بالجاذبية العمومية بين الأجرام السماوية
بربط كواكب السماء بعضها ببعض وتجعل الاسماء تقع على الأرض^(٣) .
واشتهر البتاني بالزيج المابسي وترجمت كتب هذا العالم إلى
اللاتينية واللغات الأجنبية .

وبنى المأمون مرصدا في جبل قاسيون في دمشق وأنشأ الأمويون من
قبل مرصدا في بغداد (وأنشأ الفاطميون) المرصد الحاكمي على جبل المقطم
في القاهرة . وبنى شرف الدولة مرصدا في بستان دار المملكة .
والخلاصة فإن العلماء العرب رأوا في الفلك علما رياضيا مبنيا
على الرصد والحساب وعلى فروض توضع لتتأيل ما يرى من الحركات والظواهر
الفلكية^(٤) .

-
- (١) الطويل : تاريخ العلم ، ص ١٣٨ .
 - (٢) جورج سارتون : مقدمة تاريخ العلم .
 - (٣) عبدالحليم منتصر : ص ٢٣١ .
 - (٤) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم : ص ١٠٤ .

ومن دراسة آثار الماضي يستشف ان المستقبل ينتظر حاضره العرب
ويكون المرء كبير الامل في ان أولئك الذين أبدعوا كل ذلك في الماضي
قادرون على أن يأتوا بالكثير في المستقبل فهل يعيد التاريخ نفسه ؟ .

الفيزياء :

لم تنل الفيزياء من العرب عناية كافية . اذ كان هذا العلم عند
العرب جانباً من الرياضيات حيناً قليلاً أو جانباً من علم ما وراء الطبيعة
أحياناً كثيرة (١)

وكان الحسن بن الهيثم أبا علم البصريّات الحديث ، كما يعتبر في
مقدمة علماء الطبيعة في جميع العصور . عرفته أوروبا باسم "الهانز" وهو
تحرير لكلمة الحسن ، وألف في علم الطبيعة نحو أربعة وعشرين كتاباً
فقام بتشريح العين ووصف أجزاءها ووظائف كل منها فمهد لذلك لصنع
العدسات المكبرة . كما اكتشف ظاهرة الانعكاس الضوئي والانعطاف
الضوئي أي ظاهرة التكسر . وكان له بحوث أصيلة في حالة القمر وقوس
قزح والكسوف والخسوف والمرايا الكروية والمرايا ذات لقطع المكافئ
والغرفة المظلمة (٢) .

وعرف العرب المغناطيسية ونسب اليهم استعمال الابـــــــســــرة
المغناطيسية لأول مرة في التاريخ رغم ان البعض ينسبها الى الصينيين .
وأثبت العرب ان لاثقل للمغناطيس ، واكتشف ابن سينا والبيروني
ان سرعة النور أعظم من سرعة الصوت .

وبحث العرب في الثقل النوعي وقدروا ثقل عدد من الاجسام تقديراً

(١) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب : ص ٢١٥ .

(٢) خليل الجر : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

يطابق ما قدره العلماء المعاصرون أويقاربه (١) . وكان العرب أول من وصل الى نسب حقيقية بين وزن الاجسام المختلفة وبين الماء ولعل سند سنن علي أول من بحث في الثقل النوعي في خلافة المأمون وكذلك اشتغل بذلك ابن سيناء كما كان أبو الريحان البيروني والخازن لهما الفضل الكبير في هذا الباب (٢) فقد عرف الخازن الاجسام الساقطة تنجذب في سقوطها نحو مركز الأرض ويقال أنه عرف أيضا نسبة السرعة المتعاضدة في سقوط الاجسام (٣) .

ولم ينفرد الخازن بأمثال هذه البحوث فقد بحث غيره من علماء العرب فيها وزادوا عليها بعد أن أخذوا ما عند اليونان . فقد ألف أبو موسى كتابهم الذي يعتبر الأول من نوعه في الميكانيكا وايجاد مراكز الثقل . وبعد كتاب الخازن " ميزان الحكمة " من أكثر الكتب استيفاء لبحوث الميكانيكا بل لعله كان الوحيد الذي ظهر في القرون الوسطى في هذا المجال ففيسد بحوث في الطبيعة ولا سيما الميكانيكا بلغ فيها صاحبه الذروة . وسبق الخازن " تورشيللي " في الاشارة الى مادة الهواء ووزنه وأشار الى ان الهواء وزنا وقوة ورافعة كالسوائل وبين ان قاعدة أرخميدس تنسري أيضا على الغازات وبحث في كيفية ايجاد العلاقة بين الكثافة للأجسام الصلبة والسائلة واخترع ميزانا لوزن الاجسام في الهواء والماء .

وباختصار فان كتب الخازن وابن الهيثم والبيروني وغيرهم من العلماء العرب كانت المراجع المعتمدة لدى أهل الحضارة في أوروبا حتى أواخر القرن السادس عشر وكانت المعين الذي استقى منه هؤلاء ونهالوا منه وأضافوا اليه .

(١) عمر فورخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٢٢٢ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٢٣ .

(٣) المرجع نفسه : ص ٢٢ .

العلوم الفلسفية :-

نشأت الفلسفة في الحضارة العربية الاسلامية نتيجة لنقل الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية منذ أواخر القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وطوال القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر للميلاد . والمقعدة التي انتشرت فيها الحضارة العربية بسبب الفتوحات الاسلامية تنعم بحفظ لأبأس به من الفلسفة . ففي غرب هذه البقعة كانت مدرسة الاسكندرية في القرن السابع الميلادي تزدهر فيها علوم الأوائل وكان من رجالها يوحنا النحوي الذي كان من كبار شراح أرسطو ، كما لعب دورا في الدفاع عمن التعاليم المسيحية ضد هجمات الفلسفة الوثنية مما أدى الى المجادلات بين الفلسفة والدين وفي شرق هذه البقعة ازدهرت العلوم اليونانية في الاقاليم التي يتكلم أهلها السريانية ، والفارسية الوسطى وأشهرها : الرها ، نصيبين والمدائن وجنديسابور حيث ساد النساطرة . وفي أنطاكية وآمدساد السيعاقبة من فرق النصاري .

ومن أشهر من اشتغل بعلوم الاوائل في العصر السابق على الاسلام في هذه البلدان : هيبا ، الملقب بالترجمان (من القرن الخامس) وتلميذه بروبس (بروبوس) وكلاهما كان من أتباع المدرسة الفارسية في الرها ثم أبوالقشقرى في القرن السادس ، وهؤلاء من النساطرة أما عن السيعاقبة في القرن السادس : يوحنا (يونان) الأقامي ، وسرجيوس الرأس عيني وأخودميه ، ومن القرن السابع الميلادي : أيوب الرهاوي (ت ٧٠٨ م) جورجيوس أسقف العرب المسيحيين التي تسمى اليوم جوران (في سوريا) . ومن القرن الثامن الميلادي فارأيا ويوشع بخت ، ودينجا . وكانوا من المترجمين والموضحين لكتب أرسطو . وطيماتاوس الاول الجاتليق (ت ٨٢٣ م) وقد اهتم بالدراسات

اهتماما كبيرا .

وممن تأثر بالاراء الفلسفية اليونانية خاصة يعقوب بن اسحق الكندي من قبيلة كندة اليمنية التي ينتسب اليها امرؤ القيس الشاعر وقسال عنه ابن النديم (١) : " فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة وله كتب في المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والنجوم وغير ذلك " .

نشأ الكندي في الكوفة وتعلم في البصرة ، ثم في بغداد وكان أبوه أميرا على الكوفة زمن الخليفة المهتدي ، ثم ولاء هارون الرشيد ونال الكندي شهرة واسعة في عهد المأمون واتخذته المعتصم معلما لابنه أحمد . درس الفلسفة والعلم في بغداد وارتفعت مكانته حتى صار هدف للحاسدين فتآمر عليه محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر لدى الخليفة المتوكل فأمر بضربه وسمح لابناء شاكر بالاستيلاء على أمواله لكنه تمكن فيما بعد وظروف عادية أن يستعيد هذه الاموال . (٢)

واشتهر الكندي بترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية وتأثر بأراء المعتزلة وبالفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أرسطو . ومن تلاميذه أحمد بن محمد السرخي (ت ٢٨٦ هـ) وكان مؤدب الخليفة العباسي المعتضد فقلده الحسبة وكان يستشير في أموره . وكان الكندي قد اشتغل بالرياضيات والكيمياء والجغرافيا والتاريخ . (٣)

ومن الفلاسفة أبونصر الفارابي : (ت ٣٢٩ هـ) . وكان من أشهر الفلاسفة المسلمين ولد في مدينة وسيج في اقليم فاراب ببلاد ماوراء النهر . وكان

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٥٧

(٢) موسوعة الحضارة الاسلامية : المجلد الاول : ص ١٥٥ وما بعدها

(٣) دي بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية : ص ١٢٤ - ١٢٦ .

أبوه قاشدا مشهورا . درس في بغداد علوم الفلسفة وبخاصة كتب أرسطاطاليس ويعتبر أكبر فلاسفة المسلمين حتى لقب بفيلسوف المسلمين غير مدافع^(١) وترجع شهرته الى شروحه الكثيرة على مؤلفات أرسطو حيث لقب " المعلم الثاني " تمييزا له عن أرسطو " المعلم الاول " وكان الفارابي قد اتصل بببلاط سيف الدولة الحمداني وصحب سيف الدولة الى دمشق عندما فتحها وقد مات فيها سنة ٣٣٩ هـ .^(٢)

وتكلم الفارابي في الاخلاق والمنطق وفيما وراء الطبيعة . فتحدث عن الوجود والخالق وعن النفس الانسانية والعقل وعن الحياة الآخرة ، ويوضح مدى تأثير الفارابي بأفلاطون^(٣) رسائله الكثيرة وكتاب التوسط بين أرسطاطاليس ، وأغراض أرسطو وأفلاطون .

وكان الفارابي أوسع الفلاسفة المسلمين اطلاعا على الفلسفة اليونانية وعرف كثيرا عن نصوصها في ترجماتها الى العربية . وعرف تاريخ مدارسها وكان أول مفسر مسلم لبعض مؤلفات أرسطو .

ومن فلاسفة المسلمين ابن سينا : أبو علي الحسين بن عبد الله (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) ولد ابن سينا في إحدى قرى بخارى وهاجر مع أسرته اليها حيث حفظ القرآن ودرس أصول الدين والادب والرياضيات . وألف ابن سينا في المنطق مقتغيا أثر أبي نصر الفارابي، والمنطق مدخل الى الفلسفة وتأثير بأرسطو كما بحث في الالهيات وتكلم عن الطبيعة . وكان يحاول التوفيق بين فلسفته وعقيدة أهل السنة . كما تكلم في الانسان والعقل والنفس الانسانية

(١) القفطي : أخبار الحكماء : ص ١٨٢ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الاطباء : ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة أبونصر الفارابي .

درس ابن سينا المنطق والفلسفة علي بن عبدالله الناطلي ، كما درس الطب ومهر فيه قبل أن يتجاوز السابعة عشرة . وانتقل الى مينا هور وطوس وغيرها وانتقل الى الري وقزوين وهمذان وتقلد الوزارة لشمس الدولة ابن فخر الدولة . ولكن الجند ثاروا عليه فاختلفى ثم اعيد وتقلد الوزارة من جديد وبقي فيها حتى مات . (١)

وقد قال عنه ابن خلكان (٢) : " نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه . وصنف كتاب الشفاء في الحكمة والنجاة والاشارات والقانون وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر " .

ومن الفلاسفة المسلمين : أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م) ويعتبر محمد الغزالي امام عصره ووحيد زمانه في علوم الدين الاسلامي ولاسيما في علم أصول الفقه وعلم الكلام وكان مصلحا اجتماعيا ودينيا . فانتقد ما آل اليه المسلمون في عصره ودعا الى اصلاح المجتمع اصلاحا شاملا . ولد الغزالي في طوس في فارس سنة ٤٥٠هـ . وقدم الى نيسابور وظهر نبوغه في مرحلة مبكرة أثناء طلبه على يد اسام الحرميين (الجويني) .

التقى الغزالي بنظام الملك الوزير السلجوقي فاعجب بذكائه وقربه اليه وعينه مدرسا بالمدرسة النظامية في بغداد (سنة ٤٨٤هـ) وهي أعلى مدرسة آنذاك . واتجه الغزالي الى حياة الزهد والتقشف والعزلة فحج الى البيت الحرام ثم عاد الى دمشق ودرس في زاوية مسجدها . ثم انتقل الى القدس ثم قصد مصر حيث أقام في الاسكندرية وهناك التقى بالفقيه المعروف بأبو بكر

وفيات الاعيان : ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) وفيات الاعيان : ج ٢ ص ١٥٣ .

الطرطوشي صاحب كتاب " سراج الملوك " وعمل في التدريس في المدرسة النظامية
بنيسابور بطلب من الوزير فخر الملك بن نظام الملك .

خلف الغزالي آثارا علمية هامة معظمها من الدين والفلسفة والتصوف
والتاريخ أشهرها : احياء علوم الدين وكتاب المنقذ من الضلال الذي يعرض لمسائل
علمية هي في حقيقتها من المسائل المتعلقة بالفلسفة .

وقد أحدثت مؤلفات الغزالي في المنطق والطبيعة أثرها البعيد في الشرق
والغرب . وترجمها مسيحيو طليطلة في القرن ١٢هـ / ١٢م .

واشتهر من الفلاسفة المسلمين ابن باجه :

هو أبوبكر محمد بن يحيى بن الحايغ المعروف بابن باجه . ولد في سرقسطة
قرب نهاية القرن الخامس الهجرى ^(١) وقيل ولد سنة ١٢ هـ / ١١١٨م) ، وعاش في
تلك المدينة خلال حكم المستعين الثاني (٤٧٨ - ٥٠٣ هـ / ١٠٨٥ - ١١٠٩ م) آخر
أمراء بني هود حكام سرقسطة ولاردة وتطيلة . ويظهر أن أسرته كانت تعمس
بالمياغة - صياغة الجواهر لان كلمة باجة معناها باللهجة العربية في الاندلس
آنذاك (الفضة) .

برز في كثير من العلوم : فكان شاعرا ولغويا وموسيقيًا وفيلسوفًا وألف
كثيرا من كتبه في سرقسطة . وعندما غزا المرابطون سرقسطة سنة ٥٠٣ هـ / ١١١٠م
كانت شهرته قد ذاعت وصار من المقربين الى حاكم سرقسطة الذي ولاه المرابطون
ثم رحل ابن باجه الى الجنوب فأقام في الحرية وغرناطة وفي أشبيلية حيث كان
يعمل بالتدريس والتأليف ثم رحل الى فاس حيث قربه أبوبكر يحيى بن يوسف ابن
تاشفين وصار وزيرا له وهناك توفي مسموما سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م .

(١) موسوعة الحضارة العربية الاسلامية : المجلد الاول ، ص ٨٣ .

ويذكر المقرئ (١) عن الأمير ركن الدين بيبرس في كتابه " زبدة الفكر
في تاريخ الهجرة " ان ابن باجه : " كان عالما فاضلا له تصانيف في الرياضيات
والمنطق وأنه وزير لأبي الصحرأوى (يعني المرابطي) صاحب سرقسطة ووزير أيضا
ليحيى بن يوسف بن تاشفين عشرين سنة بالمغرب وان سيرته كانت حسنة فصلحت
به الاحوال ونجحت على يديه الآمال فحسده الأطباء والكتاب وغيرهم وكسادوه
فقتلوه مسموما " .

تأثر ابن باجه بآراء أرسطو (المعلم الاول) . وكانت له آراء في النفس
والعقل ، كما تعرض للانسان المتوحد ويسمى كتابه في الاخلاق " تدبير المتوحد "
ورسائله المبتكرة قليلة وغالبها شروح قصيرة لكتب أرسطو وغيرهما
من مصنفات الفلاسفة (٢) .

ويذكر ان ابن باجه كان شديد التأثير بأفلاطون أكثر منه بأرسطو . وأنه
استند كثيرا الى مؤلفات الفارابي من بين الفلاسفة المسلمين . وان إنتاجه كان
يغلب عليه التعليقات لا الكتب التي قصد الى تأليفها قصدا وانها كانت تبسـدو
مبتورة (٣) .

واشتهر من الفلاسفة المسلمون : ابن رشد :

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد . ويكنى أبا الوليد ويلقب
ب (الحفيد) تمييزا له من ابيه وجده اللذين كانا قاضيين مشهورين . وقد شغل
منصب القضاء في قرطبة .

(١) المقرئ : نفح الطيب : ج٩ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ - القفطي : طبقات الأطباء ،
ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٢) القفطي : طبقات الأطباء ، ج٢ ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية : المجلد الاول ، ص ١٠٥ .

ولد ابن رشد في مدينة قرطبة في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م . ودرس علم الفقه المالكي والحديث . وحفظ كتاب الموطأ للإمام مالك وأخذ قليلا عن أبي القاسم بن بشكوال . ودرس علم الكلام . وقد ولي ابن رشد قضاء قرطبة . وأتم في بلاط عبدالمؤمن سلطان الموحدين في مراكش سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ثم في بلاط يوسف بن عبدالمؤمن من بعده . ويذكر ان هذا السلطان هو الذي أوعز عليه من مؤلفات أرسطو . فقد تناول ابن رشد كل ما حصل عليه من مؤلفات هذا الفيلسوف أو من شروحها بالدراسة والمقارنة . واطلع على ما ترجم به من كتب اليونان . واتبع في شروحه الطريقة المبنية على التحليل الدقيق والنقد السليم وبفضل شروح ابن رشد بلغ الفلاسفة المسلمين قدرا كبيرا في فهم فلسفة أرسطو وتقريبها الى الأذهان .

كان ابن رشد ينقد وبشدة أبي نصر الفارابي وابن سينا ويبالغ في مدح أرسطو ويرى أن مذهب أرسطو اذا فهم على حقيقته لا يتعارض مع أسس معرفة يستطيع أن يبلغها الانسان . وابن رشد من المتعصبين لمنطق أرسطو كما كان يهتم في علم اللغة بما هو مشترك بين جميع اللغات متأثرا بذلك بأرسطو . فكان يرى أن الحقيقة قد تضمنتها آراء أرسطو .

كان ابن رشد مفكر جريء . ورغم توليته القضاء الا انه كثيرا ماهاجم المتكلمين وغيرهم من فقهاء المسلمين . فقد كان قاسيا على الذين يقولون ان الخير خير لان الله أمر به والشر شر لان الله نهى عنه . ويقول ان العمل يكون خيرا أو شرا لذاته أو بحكم العقل والعمل الخلقي هو الذي يصدر فيه الانسان عن معرفة عقلية . ويقول ينبغي ان لا يكون المرجع الاخير الى العقل بل الى ما تطلبه مصلحة الدولة وقد كان لمؤلفات ابن رشد آثار في الفكر الاوروبي وبخاصة في ايطاليا حتى القرن السادس عشر الميلادي . كما أثرت في الاندلس وبعض الجامعات الغربية في الاقطار الأوروبية .

وخلاصة القول : فقد ظفر ابن رشد في العصر الوسيط وأواشل العصور الحديثة بشهرة لم يحظ بمثلها أي فيلسوف إسلامي آخر حتى اعتبر الممثل الحقيقي للفلسفة الإسلامية عامة ويقرن الفلاسفة الأوروبيون ابن رشد بأرسطو إيجاباً وسلباً . وقد ظلت مؤلفات وشروح ابن رشد تحظى بعناية وافره لدى المشتغلين بالفلسفة في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر . وكان كتابة (تهافت التهافت) أقوم مدافع عن الفلسفة ضد خصومها من رجال الدين .

واشتهر من فلاسفة المسلمين ابن طفيل :

ولد أبوبكر محمد ابن طفيل في مدينة فاس وعاش حياة هادئة وانقطع إلى العلم وشغف بالفلسفة لكنه لم يتخصص فيها ، فقد كان يلزم بآراء دون أن يتأثر بها لذلك كان يميل إلى الاستمتاع بالتأمل أكثر من ميله إلى التأليف كما كان يشغف بالادب ويميل إلى الشعر .

ويعتبر محي الدين بن عربي : من أشهر فلاسفة المسلمين المتصوفيين في الأندلس . فقد ولد بمرسيه في سنة ٥٦٠ هـ . ونشأ بها وتلقى فيها علومه حتى رحل إلى أشبيلية بعد ثمان سنوات من مولده حيث نفي هناك حتى سنة ٥٩٨ هـ .

زار ابن عربي الكثير من بلاد المشرق مثل الحجاز ومصر والعراق ، وأخذ عن كبار علمائها كابن عساكر والحافظ السلفي وابن الجوزي أبي الفرج ، ثم رحل إلى بلاد الروم وأقام بها حتى عاد إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م عرف هذا الفيلسوف بالتصوف . فكان زاهدا متقشفاً . وكان على المذهب الظاهري الذي أخذه عن ابن جزم . وكان يجنح في تصوفه نحو مذهب الشيعة . فكان ذا دراية بفنون العلم وله في الادب ساع لابلحق به ومنقـدم

لايسبق (١) . وكان لابن عربي مؤلفات في الفلسفة والتصوف منها : كتاب خيار مشايخ العرب وكتاب الفتوحات المكية وكتاب ضمنه مقامات رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومنامات حدث بها عن النبي ، ويعتقد ان البهائية في ايران تأثروا الى درجة كبيرة بآرائه لكنهم غالوا في تشيعهم ومبادئهم .
ولوقورن بغيره من كبار فلاسفة المسلمين مثل ابن سينا والغزالي لبزهم جميعا في ميدان التأليف من حيث الكم والكيف .

الفقه :-

ترتب على دراسة القرآن والحديث الحاجة الى تعلم النحو واللغة واستلزم ذلك فهم الشعر الجاهلي الذي يمد الباحثين بأفضل ما تمثله اللغة العربية من الادب القديم ، كما استلزم فهم اللغة العربية دراسة الانساب والتاريخ وعكف المسلمون على تفسير القرآن وفعل ذلك بعض التابعين .
ومنذ مستهل القرن الثاني الهجري أقبل الناس على جمع الحديث وتدوينه حتى صار المحور الذي تدور عليه الحركات العلمية في الولايات الاسلامية .

وقد أدى اختلاف أئمة الفقه في فهم النصوص الفقهية واستنباط الاحكام منها الى تعدد المذاهب وأشهرها : مذهب مالك ومذهب أبي حنيفة ومذهب الشافعي ومذهب أحمد بن حنبل .

وظهر في ميدان الفقه مدرستان : مدرسة أهل الحديث في المدينة وعلى رأسها الامام مالك الذي كان يأخذ بمبدأ التوسع في النقل عن السنة ، ومدرسة

(١) المقرئ : نفح الطيب : ج٢ ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

الرأى في العراق ، وعلى رأسها الامام أبوحنيفة النعمان الذي كان يدين بالرأى
ولد أبوحنيفة النعمان بن ثابت بالكوفة سنة ٨٠ هـ ومات ببغداد سنة
١٥٠ هـ . واشتغل بالعلم واحترف التجارة . مما أكسبه خبرة كبيرة وجعله
يدرك حقيقة مايجرى بين الناس من معاملات في البيع والشراء .
تعلم أبوحنيفة الفقه في الكوفة . وأخذ عن عطاء بن أبي رباح وهشام
بن عروة ، ونافع مولى عبدالله بن عمر . وأكثر ماأخذ علمه عن حماد بن أبي
سليمان الاشعري . وكان أبوحنيفة يتشدد في قبول الحديث . ولم يحدسـل أي
كتاب في الفقه لأبي حنيفة الا ما ذكره ابن النديم^(١) مثل كتاب الفقه الاكبر
وكتاب الرد على القدرية وكتاب العالم والمتعلم والعلم برا وبحرا شرقا وغربا
بعدا وقربا .

ومن تلاميذ أبي حنيفة الليث بن سعد الذي تقلد قضاء مصر .
ومن فقهاء هذه الفترة مالك بن أنس الذي ولد سنة ٩٣ هـ
وتوفى سنة ١٧٩ هـ وقضى حياته في المدينة المنورة . سمع الحديث من كثير من
شيوخ المدينة كابن شهاب الزهري ونافع مولى عبدالله بن عمر .
وكان كتابه " الموطأ " أول كتاب ظهر في الفقه الاسلامي ، وكان مالك
يعتمد على الحديث كثيرا ، لان الحجاز مكان اقامته كانت تزخر بالعلماء
والمحدثين الذين أخذوا عن الصحابة .
وقد دخل مذهب الاندلس سنة ١٨٠ هـ وحل محله في المدينة مذهب
الأوزاعي .

وبدخول مذهب مالك المغرب والاندلس نشأت مدرسة دينية طبقـت
شهرتها العالم الاسلامي وظهر من علمائها عبدالملك ابن حبيب وعيسى بن دينار

(١) ابن النديم : الفهرست : ص ٢٩٧ .

وممن اشتهر بالفقه من تلاميذ مالك : محمد بن الحسن العراقي ويحيى الليثي
في الاندلس وعبدالله بن وهب وعبدالرحمن بن القاسم وعبدالله بن الحكم فسي
مصر وأسد بن الفرات في القيروان ومن أئمة هذا العصر أبو عبدالله بن ادريس
الشافعي الذي جمع بين مدرستي النقل والعقل بما أوتيه من سعة العقل والقدرة
على الابتكار . وهو أول من تكلم في أصول الفقه وأخذ مبادئه . وكان شديداً
التشيع . وفي سنة ٢٠٠هـ سافر الى مصر وبقي فيها حتى مات سنة ٢٠٤هـ ومن
أهم كتبه : كتاب المبسوط في الفقه ، وكتاب الام .

ومن الأئمة في هذا العصر أيضاً أحمد بن حنبل وكان أبو يوسف الذي
ولد سنة ١١٣هـ وتوفي سنة ١٨٢هـ من أشهر الفقهاء وكذلك كان من الفقهاء
المعروفين الليث بن سعد الذي توفي سنة ١٥٧هـ وكان الشافعي يتأسف على
فوات لقاءه (هـ) .

وفي العصر العباسي الثاني ظهر بعض الفقهاء الذين كونوا لهم
مذاهب فقهية غير أنه لم يكتب لها الاستقرار والذيع أمام المذاهب الأربعة
السابقة . ومن هؤلاء الفقهاء : أبو سليمان داود بن علي القاشاني المتوفي في
بغداد سنة ٢٧٠هـ وكانت طريقته تتلخص في الأخذ بظاهر نص القرآن وعدم
قبول القياس والتأويل . فهو أول من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنة
فسمي أبا سليمان داود الظاهري وسمي أتباعه بالظاهريه (٢) .

ومن أئمة المذاهب أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) : تتلمذ على يد
الشافعي مدة سنتين ١٩ - ١٩٧هـ . واعتبر من الشافعيين . واجه ابن حنبل
التعذيب زمن الخليفة العباسي المأمون لعدم قوله بخلق القرآن .

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج ١ ، ص ٤٣٨ .

(٢) انظر الفهرست : ص ٣٠٣ - مقدمة ابن خلدون : ص ٣٩٠ .

كان ابن حنبل من كبار المحدثين واختلف العلماء في كونه فقيهاً —
حتى ان الطبري أشار عليه الحنابلة لعدم اعتباره اياه من أئمة الفقه . وكان
مذهبه يجمع بين الحديث والفقه كموطأ مالك ابن أنس . وكان بفخ —
الاحاديث الضعيفة على القياس .

وكان أشهر الحنابلة في هذا العصر أبو القاسم الخرقى المتوفى سنة
٣٣٤هـ وله كتاب ، المختصر في الفقه . وعبد العزيز بن جعفر صاحب كتاب
المقفع (توفي سنة ٣٦٣هـ) وكان محمد بن جرير الطبري من أصحاب
المذاهب الفقهية (توفي ٣١٠هـ) . من أهم كتبه كتاب الامم والملوك في
التاريخ وكتاب التفسير وكتاب اختلاف الفقهاء .

ومن أشهر أئمة المذهب المالكي في الاندلس في هذا العصر أبو الوليد
الباجي وأبو الوليد ابن رشد جد ابن رشد الفيلسوف ومنذر بن سعيد وغيرهم .
وكان في هذا العصر مذاهب أخرى لكنها انقرضت مثل مذهب سفيان
الثوري^(١) المتوفى سنة ١٦١هـ وعنه أخذ الأوراعي امام أهل الشام^(٢) . ومذهب
اسحق بن راهوية المتوفى سنة ٢٤٠هـ .

وفي القرن الرابع الهجري سادت المذاهب الحنفية والمالكية والداودية
ومذهب الحنابلة والراهوية والأوزاعية لكنها مع الزمن سارت السيادة للمذاهب
الاربعة : هي : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ووقف الاجتهاد عند هؤلاء
الاربعة .

ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة ودرس المتقلدون لمن سواهم
وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثر من تشعب المصطلحات في العلوم ولما

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٢) وفيات الاعيان : ج ١ ، ص ٢٧٥ .

عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد (١)

العلوم الاجتماعية :-

أ - التاريخ :

يمتاز مؤرخو العرب القدماء بالقدرة على ادراك الجزئيات ادراكا
دقيقا لكنهم لم يربطوا الحوادث برباط جامع . فكان في اتساع الدولة
الاسلامية مادة غزيرة في التاريخ والجغرافية (٢) .

كان معظم المسلمين في صدر الاسلام لا يستطيعون القراءة والكتابة
فلم يدون تاريخ العرب الابدع زمن . فروى المسلمون الحوادث التاريخية
والاحاديث النبوية بشيء من التبديل والتحريف . فشوهت معانيها والظروف
التي أحاطت بوقوعها وروايتها .

وفي القرن الثاني للهجرة أخذ العرب يبحثون في تاريخهم الذي كان
عبارة عن شذرات متفرقة هنا وهناك دونت بشكل يتمشى مع ميول الفسوق
الاسلامية التي عمل كل منها على تدعيم مذهبهم .

وقد تنوعت مصادر التاريخ الاسلامي وأهمها : القرآن الكريم
والاحاديث النبوية والشعر الذي نقل عن العهد الاموي مثل : حسان بن ثابت
ومن نماذج الكتابة التاريخية كتاب الملوك الذي سماه سير ماسوك
العجم والذي نقله عن الفارسية . كما يعتبر هشام بن محمد الكلبي
(ت ٢٠٤ هـ) وأبو محمد أول من كتب من العرب في التاريخ وعرف عنهما الدقة
والتحري في الرواية .

(١) مقدمة ابن خلدون : ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٢) دي بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام : ص ٨٠ .

وقد تأثرت كتابة التاريخ في بداية العهد الاسلامي بشخصية الرسول لان المؤرخين اتخذوا من الحديث الذي يتعلق بالغزوات مادة لما كتبوه ومن هنا ظهرت كتب السير والمغازي .

ومن كتب السيرة النبوية : سيرة ابن هشام (ت ٢١٨هـ بمصر) استمد معلوماته فيها عن أسناده ابن اسحق المتوفي سنة ١٥١هـ فقد قال الشافعي من أراد ان يبحر في المغازي فهو عيال على ابن اسحق (١) ومن كتب المغازي كتاب الواقدي المتوفي سنة ٢٠٧هـ . وتطور علم التاريخ في القرن الثالث الهجري .

وأخذ المؤرخون يوفقون بين مواد السيرة النبوية وغيرها من المصادر بهدف تكوين رواية متماسكة . وكان البلاذري من أوائل الذين أخذوا بهذا المنهج في كتابة فتوح البلدان (٢) . كما كان كتاب الطبقات لابن سعد من مصادر السيرة النبوية (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م) فكان هذا كاتب الواقدي ويعتد كتابه من المصادر الموثوق بصحتها .

وزخر العصر العباسي الثاني باعلام المؤرخين . فكان المسلمون يضعون الكتب في مختلف العلوم والفنون . ومن أشهر مؤرخي القرن الثالث الهجري اليعقوبي (ت ٢٨٢هـ) وكان متشبعاً متحمساً لعقائدهم ولهذا أكثر من أخبارهم فكان كتابه تاريخ اليعقوبي من أشهر المصادر التاريخية . كما يعتبر كتابه " البلدان " من الكتب الجغرافية الهامة (٣) .

(١) وفيات الاعيان : ج ٩ ، ص ٤٨٢ .

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ .

(٣) المرجع نفسه : ص ٣٩٨ .

ووضع ابن قتيبة الدينوري المتوفى ٢٧١ هـ / ٨٨٩ م كثيرا من الكتب منها
كتاب الامامة والسياسة المنسوب اليه وكتاب المعارف وعيون الاخبار الذي يعتبر
من خيرة كتب الادب والتاريخ مادة وترتيباً .

ويعتبر كتاب فتوح البلدان الذي وضعه البلاذري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)
من أفضل مصادر الفتوحات الاسلامية . كما كان كتاب الاخبار الطوال لأبى
حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) .

وكان تاريخ الاسم والملوك لأبى جعفر بن جرير الطبري المتوفى سنة
٣١٠ هـ / ٩٢٣ م من أكثر المصادر التاريخية الموثوقة . فقد تكلم عن الحوادث
التاريخية منذ الخليفة حتى سنة ٣٠٢ هـ . ثم جاء عريب بن سعد القرطبي
المتوفى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧١ م فكتب الحوادث سنة ٢٩١ - سنة ٣٢٠ هـ في كتابه
ملة الطبري .

وكان سعيد بن البطريق صاحب كتاب المجموع على التحقيق والتصديق
والمتوفى سنة ٣١٧ هـ من مؤرخي القرن الرابع الهجري .
واشتهر من مؤرخي هذا العصر محمد بن عبد الله بن عبدوس المعروف
بالجهشياري صاحب كتاب الوزراء والكتاب . وكذلك المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ
الذي ترك لنا " مروج الذهب ومعادن الجوهر " وكتاب " التنبيه والاشراف "
وأخبار الزمان (١) .

ومن بين هؤلاء أبوبكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م
وكان كتابه " الاوراق " مجموعة نفيسة في الادب والتاريخ . وعاصر الحسين
بن زولاقي صاحب كتاب " فضائل مصر وأخبارها وخواصها " الاخشيديبيــــــــــــن
والفاطميــــــــين .

(١) الكتيبى : فوات الزفيات : ج ٢ : ص ٤٥ .

ومن المؤرخين الذين عاصروا الخليفة العزيز بالله : أبو الحسن علي الشابستي (ت ٣٨٨هـ) ، وله كتاب " الديارات " الذي يتحدث فيه عن الاديرة في العراق والشام ومصر .

وأما الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم المعروف بالمسيحي والمتوفي سنة ٢٤٠ هـ فقد ترك كتاب " تاريخ مصر " الذي لم يعد لتماثيفه وجود .

ومن المؤرخين أيضا مسكويه ^(١) المتوفي سنة ٤٢١ هـ وكتابه (تجارب الأمم) من أشهر الكتب العلمية في اللغة العربية . ومنهم أيضا هلال الصابسي ^(٢) صاحب كتاب " تحفة الامراء في تاريخ الوزراء " .

ومن الكتب المشهورة في هذا العصر ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ويعتبر من أمهات المصادر التي يعتمد عليها في دراسة تاريخ الدولة العباسية .

وألف أبو الريحان البيروني المتوفي سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٠٨م ، تاريخه المشهور " الآثار الباقية عن القرون الخالية " . كما وضع النرشجي كتابه (تاريخ بخارى) أضاف الى ذلك ما كتبه أبو نصر العتبي عن حياة محمود الفزنوي فكتب كتابه المشهور (تاريخ اليميني) نسبة الى يمين الدولة محمود الفزنوي ^(٣) .

ومن المؤرخين الذين ألفوا في تاريخ مكة : الأزرق المتوفي سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨م ، (أخبار مكة) والفاكهي المتوفي سنة ٣٢ هـ / ٨٨م وعمر بن شبة صاحب

(١) - وفيات الأعيان : ج ٢ ، ص ٩٢ - القفطي ص ٢٣١ .

(٢) - وفيات الأعيان : ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٣) - حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٣ ، ص ٤٠٤ .

كتاب اخبار المدينة ، الذى يعتبر من أهم المصادر التاريخية عن المدينة المنورة .

وأشتهر في أواخر العصر البويهى والعصر السلجوقي مؤرخون كثيرون في الشرق ومصر والمغرب ، والمغرب ومصر ، زودوا المكتبة العربية الاسلامية بمادة تاريخية غزيرة وهامة وأشهر هؤلاء : ابو نصر اليميني وكتابه " تاريخ اليمين " نسبة الى يمين الدولة محمود الفيزي ومسكويه صاحب كتاب تجارب الأمم وأبو شجاع ظهير الدين محمد الحسين الدوزاوى الذى وضع كتاب " ذيل تجارب الأمم " . كما تناول هلال الصابي الأحداث بكتابه الوزراء ويعتبر كتاب " ذيل تاريخ دمشق " لابن القلاسي (ت ٥٥٥ هـ) من كتب التاريخ العامة والهامة . كما تعتبر مؤلفات ابو الريحان البيروني من أهم المصادر التاريخية والاجتماعية ككتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية وكتاب تاريخ خوارزم ، وكتاب التفهيم في صناعة التنجيم .

ومن مصادر التاريخ في العصر السلجوقي : كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . وهو من أمهات الكتب التي يعتمد عليها في دراسة تاريخ الدولة العباسية .

وأما أشهر مؤرخي القرن السادس والسابع الهجريين فكان علي بن محمد ابن ابي الكرم بن الأثير (ت ٦٣٠) ١٢٣٢م . وكتابه " الكامل في التاريخ " من المصادر الأصلية التي يعتمد عليها في دراسة التاريخ الاسلامي . وترك لنا ابن الأثير كتابا عن تاريخ الدولة الأتابكية في الموصل ويسمى التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (الموصل) .

ومن آثاره أيضا كتاب " أسد الغاسة في معرفه الصحاسه " .

ومن مؤرخي هذه الفترة : السمعاني الذي خُلف كتاب " تذييل

تاريخ بغداد " وتاريخ مرو وكتاب الانساب .

ومن أشهر علماء هذا العصر ومؤرخيه : جمال الدين بن الجوزي

الذي ترك لنا مؤلفات كثيرة أهمها : زاد المسير في علم التفسير ، ولفظ

المنافع في الطب ، وأهم مؤلفاته كتاب : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم .

ومن مؤرخي هذا العصر : الجوزجاني وكتابه منهاج السراج .

و : جرجيس المكين وكتابه " المجموع المبارك "

و : غريفورس أبو الفرج بن اهرن المعروف بابن

العيرى ، وكتابه مختصر تاريخ الدول .

وكتب شهاب الدين أحمد النسوى سيرة جلال الدين منكبرتي آخر

سلاطين الدولة الخوارزمية ، وحفل العصر السلجوقي بكتاب التراجم كان

أشهرهم القفطي (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨) ، وابن أبي أصيبعة ومحمد عوفي وابن

خلكان .

ولد جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي بمدينة قفط من

نرى صعيد مصر سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م ، ويرجع نسبه الى قبيلة قضاة في

الكوفة تعلم في القاهرة وقوص . ثم ذهب الى القدس مع أبيه الذي ولاه

صلاح الدين الأيوبي القضاء . ثم انتقل الى حلب حيث تقلد الخراج ولقب

القاضي الأكرم . ألف القفطي كثيرا من الكتب أشهرها كتاب " تاريخ الحكماء "

ومن المؤرخين المتأخرين أيضا ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) ،

الذي ألف كتاب " طبقات الحكماء " .

وأما محمد عوفي فأهم كتبه لباب الألباب وكتاب جوامع الحكايات

ولوامع الروايات ، ويعتبر كتاب وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان لأبسن

خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) من أهم المراجع التي لا غنى عنها لطلاب الدراسات

الاسلامية .

ومن التواريخ المحلية الخاصة بالمدن والأقاليم كتاب : تاريخ مكة للأزرقى وكتاب أخبار المدينة لعمر بن شبة ، ومن هذه التواريخ أيضا تاريخ طهرستان : لمحمد بن الحسن ابن سفنديار . وألف أبو سعيد السمعاوي (ت ٥٦٢ هـ) ، تاريخ مرو ومن التواريخ المحلية أيضا كتاب " تاريخ خوارزم " لأبي الريحاني البيروني .

وهناك كثير من المؤرخين الذين كتبوا عن العصر المغولي والفاطمي ، والأيوبي .

ومن مؤرخي مصر والأندلس نذكر المراكشي : عبد الواحد بن علي صاحب كتاب : " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " . وابن عسكاري (ت في أواخر القرن السابع الهجري) صاحب كتاب : " البيان المغرب في أخبار المغرب " . وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) وله كتاب المخصص وابن بسام (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة والطرطوشي (ت ٢٠ هـ / ١١٢٦ م) صاحب كتاب سراج الملوك . وكذلك ابن بشكوال (ت ٧٥٨) الذي ألف كتاب الملة في تاريخ أشعة الأندلس وعلماهم ومحدثيهم وفقهائهم وآبائهم) وابن الأبار (ت ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م) صاحب كتاب التكملة لكتاب الملة .

الجغرافيا : -

مما ساعد على ظهور كثير من الرحالة في العصر العباسي الأول تطور التجارة واتصال بغداد بالبلدان الأخرى بطرق برية وبحرية وتوفير الأمن لهذه الطرق . كل ذلك سهل الأسفار ومهد السبل أمام الرحالة . فظهر منهم من قام برحلات وضعوا في وصفها الكتب ووصفوا ما شاهدوه في البلدان التي زاروها . فوصلوا في رحلاتهم إلى الهند وسلاسل والبلقان والصين .

غير أن ما كتبه هؤلاء لم يظهر بصورة واضحة إلا في العصر العباسي الثاني . فقد ظهر ابن خرداذبه الجغرافي الفارسي الأصل الذي عاش في منتصف القرن الثالث الهجري ووضع كتابه " المسالك والممالك " الذي يعتبر من أقدم الكتب الجغرافية التي ظهرت في اللغة العربية وهو عبارة عن دليل يستعين به المسافرون في الاهتداء الى الطريق البحري الذي يبدأ من مصب نهر دجلة ويصل الى الهند والصين .

وظهر في هذا العصر الجغرافي اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ / ووضع كتاب " البلدان " . كما كان المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) ، من كبار الرحالة المسلمين حيث وصف البلاد الذي زارها . ووضع أبو اسحاق الاصطخرى الفارسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كتاب " المسالك والممالك " وصف فيه نتائج مشاهداته في الأقاليم التي زارها .

وجاء ابن حوقل (ت ٣٨٠ هـ) في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ووضع كتابه " صورة الأرض " وأشتهر من جغرافي ورحالة القرن الرابع الهجري (المقدسي) ، المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ، حيث ألف كتابه المشهور " أحسن الأقاليم في معرفة الأقاليم " . ويعتبر ذا قيمة كبيرة من الناحيتين التاريخية والجغرافية ثم جاء ناصر خسرو (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨١ م) الرحالة الفارسي فأمدنا بكتابه (سفرنامه) أو زاد المافر بمعلومات عما شاهده في أسفاره .

ويعتبر كتاب البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ذا قيمة كبيرة لما يقدمه من معلومات عن نظم الطوائف والجماعات في البلاد التي زارها .

ومن الرحالة المشهورين : أبو الحسن بن جبیر (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) ،
وكتابه : رحلة ابن جبیر من الكتب القيمة حيث وصف فيه ما شاهده من
عجائب البلدان وغرائب المشاهدة وبدائع المصانع أثناء رحلاته في البلدان
المختلفة .

ومن الجغرافيين المشهورين ياقوت الحموی (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ،
الذي ألف كتباً أهمها كتاب (معجم البلدان) الذي يعتبر من المراجع
التي يعتمد عليها الباحثون في كل ما يتعلق بجغرافسة وتاريخ بلاد عربي
آسيا .

وكذلك كتابه (مرصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع) ، وكتاب
ارشاد الأريب في معرفة الأديب .

ومن الجغرافيين أيضاً عبد اللطيف موفق الدين ابو محمد الطييب
البغدادی (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) ، ولد البغدادی (سنة ٥٥٧ هـ) وخلف لنا كتباً
أهمها :

الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعابنة بأرض مصر "
وكتاب " مختصر تاريخ مصر " وكتاب شرح مقامات الحريري . وكذلك كتاب
الجامع الكبير في المنطق .

وأما القزويني : (زكريا بن محمود القزويني ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) ،
فقد وضع عدة كتب في الجغرافية أشهرها كتاب " عجائب المخلوقات " ،
وكتاب " آثار البلاد " الذي يحتوى على معلومات هامة في الجغرافيسة .
ومن رحالي المغرب محمد بن عبد العزيز الشريف الأدريسي (ت ٦٤٩ هـ
/ ١٢٥١ م) ، وقد ألف كتابه المعروف " نزهة المشتاق في ذكر الأوصاف
والاقطار والأفاق " .

وقد اتصل بالملك الصقلي روجر الثاني النور مندى سنة ٣٣ هـ وعهد اليه هذا الملك بوضع كتاب في جغرافية العلم ، ووضع تحت اشرافه لجنة زارت البلاد النائية ووضع تحت تصرفه ٠٠ ر ٤ رطل من الفضة ليصنع له كرة يرسم عليها المصورون مواقع البلدان واسماءها ٠ وقد شرح الأديسي في هذه الخريطة والكره في كتابه نزهة المشتاق ٠

التفسير : -

مرّ التفسير بأدوار عديدة حتى أصبح على الصورة التي هو عليها الآن في بطون المؤلفات والمصنفات ٠ وكانت نشأة التفسير في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (الذي كان أول مفسّر للقرآن يبيّن للمسلمين ما أنزل الله ٠ ولم يكن الصحابة يفسرون القرآن والرسول على قيد الحياة ٠ فلما التحق ، بالرفيق الأعلى كان لزاما على الصحابة ان يوضحوا للناس ما فهموه وعلموه من الآيات القرآنية ٠ ومع ان المفسرين من الصحابة كثيرون الا ان أشهرهم كانوا عشرة : أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير . (١)

وكان أشهر هؤلاء بالتفسير هو عبد الله بن عباس الذي شهد لــــه الرسول بالعلم ودعا له بقوله : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (٢) .

واطلق عليه اسم ترجمان القرآن (٣) ومن اشتهر بالتفسير أيضا أبو هريرة وأنس

(١) الانتقان : ج ٢ : ص ٣١٨ ٠

(٢) البرهان : ج ٢ ، ص ١٦١ ٠

(٣) الانتقان : ج ٢ ، ص ٣١٩ ٠

بن مالك وعبد الله بن عمر وعائشة أم المؤمنين وغيرهم ولكن مسا روى عنهم أقل من العشرة السابقين . (١)

وأخذ أقوال هؤلاء المفسرين نفر من التابعين ، فنشأت في مكة طبقة للمفسرين وفي المدينة المنورة طبقة ثانية وفي العراق طبقة ثالثة . وقال ابن تيمية : " أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس مثل : عكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء بن أبي رباح وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم ومالك بن أنس " (٢) وعن طبقة التابعين أخذ تابعوهم فجمعوا أقوال من سبقهم ووضعوا التفاسير كما عمل سفيان بن عُيينة ويزيد بن هارون وشعبة بن الحجاج وعبد بن حميد (٣) واتجه العلماء في تفسيرهم اتجاهات مختلفة :

أ - التفسير المأثور : -

وهو امتداد للتفسير السابقة العائدة إلى الصحابة والتابعين وقد نشأ على أساس ما كان يروى من مآثورات عن الصحابة والتابعين ، كان التفسير يروى كما تروى الأحاديث وكان يشغل في كتب الحديث أبوابا . ويخضع لما تخضع له نصوص الأحاديث وتحقيق السند وتمحيص الرواية وأوسع التفاسير بالمأثور هو تفسير ابن جرير الطبري " جامع البيان في تفسير القرآن " حيث عرض فيه أقوال الصحابة والتابعين مع تحرير أسانيدها . وترجيح بعضها على بعض واستنباط كثيرا من الأحكام .

(١) ضبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ص ٢٩٠ .

(٢) ضبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ص ٢٩٠ .

(٣) البرهان : ج ٣ ، ص ١٥٩ .

ويعتبر تفسير ابن كثير مساويا لتفسير الطبري في القيمة والدقة في الانباء وبساطة العبارة والوضوح في الفكرة . والف السيوطي كتابه " الدر المنثور في التفسير المأثور " اعتمد فيه على الاخبار الصحيحة المأثورة التي تجعله أقرب الى الفكرة الاسلامية منه الى الشروح الانسانية (١) .

ويقول ابن خلدون عن نشأة التفسير وتطوره من تفسير اثرى الى تفسير بالرواية : " فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى اساليب بلاغتهم . فكانوا يفهمونه ويعلمونه معانيه ومفرداته وتراكيبه ، فكان ينزل جملا جملا وآيات وآيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الايمانية ، ومنها ما هو في احكام الجوارح . ومنها ما ينتقد ومنها يتأخر ويكون ناسخا له ، وكان الرسول يبين المجممل ، ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها . . . ونقل ذلك عن الصحابة وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم . ولم يزل متناقلا بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علومنا ودونت الكتب ، فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين . (٢) "

لكن التفسير بالمأثور تعرض للنقد لأن الصحيح من الروايات اختلط بغير الصحيح فكان على المفسر بالمأثور ان يدقق في تعيينه ويختبر في روايته ويحناط كثيرا في ذكر أسانيده . ويقول ابن خلدون عن

(١) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ص ٢٩١ .

(٢) محمد عبد السلام كفافي : في علوم القرآن ، ص ١٥٦ .

كتب التفسير الأثرى أنها لا تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود .
والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم
البدواة والامية واذ تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية
في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود . فانما يسألون عنه أهل
الكتاب ويستفيدون منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن يتبع دينهم من
النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من
ذلك الا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب . . وهؤلاء مثل كعب الأحبار
وهب بن منبه وعبد الله بن سلام " (١) .

ومصادر التفسير المأثورة هي : -

١ : - ما ينقل من ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وكثير من هذا
موضوع ضعيف السند . ولهذا يجب ان يؤخذ بحذر . وكان ابن حنبل ممن
شك في التفسير المروى بوجه عام فقال : " ثلاث كتب ليس لها اصول
: المغازى والملاحم والتفسير " (٢)

٢ : - ما يروى عن صحابي : وقد عرف عن بعض الصحابة تفسير القرآن .
ومن أهم من روى عنهم عبد الله بن عباس وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن
مسعود ، وعبد الله بن عمر بن العاص . ويجب التحقق من صحة السند فـ
النقل عن هؤلاء اذ ان كثيرا مما نقل عنهم يعتبر مدسوس عليهم (٣) .

٣ : - ما يروى عن التابعين : وكتب التفسير حافلة بالرواية عن هؤلاء لكن
ليس كل ما ينقل عنهم مما يجب قبوله . فهناك روايات كثيرة عن التابعين

(١) مقدمة ابن خلدون : ص ٣٦٦ بولاق .

(٢) الزركشي : البرهان : ج ٢ ص ١٥٦ .

(٣) محمد عبد السلام كفاقي : في علوم القرآن : ص ١٥٨ .

لا نستطيع ان نقبلها لأنها بعيدة عن تفسير النص ، أو تقحم عليه مساهمة غريبة لأفكار تتصل به . كما هو الشأن بالنسبة للاسرائيليات التي تقص تفصيلات لا صلة لها بنص القرآن .

ب : - التفسير بالرأى : -

وردت أحاديث تنهى عن تفسير القرآن بالرأى منها ما روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من قال في القرآن أو بما لا يعلم فليتبوأ نفعه من النار " (١) ، وقد روى هذا الحديث بصور مختلفة لكن مصدرها واحد . وكذلك روى عن أبي بكر أنه قال : " أى أرض تقلني وأى سما تظلني اذا قلت في القرآن ما لا أعلم " (٢) .

وعلى هذا اختلف حوله . فمن محرم له ومن مجوز . إلا ان اختلافهم يعود في الحقيقة الى ان المحرم منه هو الجزم بأن مراد الله كذا من غير برهان أو محاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة واصول الشرع . أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن زورا وبهتانا . أما ذات توفرت في المفسر الشروط اللازمة فلا مانع من محاولته التفسير بالرأى (٣) . فالقرآن يدعو الى هذا الاجتهاد في تدبر آياته ، وفقه تعاليمه قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أََمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ انزَلْنَا إِلَيْكَ الْفُرْقَانَ أَذْهَبَ الْقُلُوبَ أَقْفَالُهَا ﴾ (٥) .

(١) الطبرى : تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ٢٧

(٢) الطبرى : تفسير الطبرى : ج ١ ص ٢٧

(٣) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ٢٩٢

(٤) القرآن الكريم : سورة محمد : آيه : ٢٤

(٥) سورة "ص" : آيه : ٢٩

وهذا لا يمنع من الاجتهاد في التفسير . انما تمنع التصدي للتفسير بغير علم . وهناك أمور كثيرة تجب الاحاطة بها قبل محاولة تفسير القرآن . وقد أورد السيوطي ^(١) نقلا عن الزركشي في كتابه البرهان خلاصة هذه الأمور أو الشروط التي لا بد منها لاباحة التفسير بالرأى وهي : -

١ : - معرفة ما أشر عن الرسول من بيان لمعنى الآيات وبخاصة آيات الأحكام التي لا سبيل الى معرفتها على الوجه الأكمل ونقل كل ذلك عن الرسول مع التحرز عن الموضوع والضعف .

٢ : - الأخذ بقول الصحابي ، فقد قيل : أنه في حكم المرفوع مطلقا وخمسه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأى فيه .

٣ : - الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات التي ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب .

٤ : - الأخذ بما يقضيه الكلام . ويدل عليه قانون الشرع . وهذا النوع هو الذى دعا به النبي لابن عباس في قوله : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " واشهر التفاسير التي تتوفر فيها هذه الشروط : تفسير السرازي المسمى (مفاتيح الغيب) وتفسير البيضاوى المسمى " أنوار التنزيل واسرار التأويل " وتفسير ابي السعود المسمى " ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم " . وتفسير النسفي المسمى " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " . وتفسير الخازن المسمى " لباب التأويل في معاني التنزيل " .

والتفسير بالرأى حتى مع توفر الشروط التي تجعله محمودا لا مَسْوَغ له اذا عارضه التفسير بالمأثور الذى ثبت بالنص القطعي . لأن الرأى اجتهاد ولا مجال للاجتهاد في مورد النص اما اذا لم يكن تعارض بين التفسير بالرأى (١) الأثنان : ج ٢ ص : ٣٠٢ - البرهان ج ٢ ص ١٥٦ - ١٦١ .

والتفسير بالمأثور . فكل منهما يؤيد الآخر ويثبت به ، وذلك أكثر مما يوجد في كتب التفسير مثل الأقوال في تفسير قوله تعالى ﴿فِنَّهَر ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (١) .

أما تفاسير الفرق الإسلامية فترجع الى التفسير بالرأى الا انها تدخل فس النوع المذموم منه . ويغلب على تفاسير المعتزلة الطابع العقلي والمذهب الكلامي ، ويغلب على تفاسير المتصوفة الشطحات التي تجعل كلامهم غامضا الا على المتصوفين .

وأشهر التفاسير من هذا النوع : التفسير المنسوب الى الشيخ محيي الدين بن عربي المتوفي سنة ٦٣٨هـ . ويقرب من تفسير المتصوفة ما يسمى بالتفسير الاشاري . وهو الذي تؤول به الآيات على غير ظاهري مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي . ومن ذلك : تفسير الألوسي المتوفي سنة ١٢٧٠هـ ويسمى " روح المعاني " .

أما تفاسير الباطنية فيقتصرون على الأخذ بباطن القرآن ويهملون ظاهرة مستدلين بقوله تعالى :

(٢)

﴿فَضْرِبَ يَتَنَّهُمْ بِسُورَةٍ بَابُ بَاطِنٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظُهُرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١٣)

وقد ألفت في القرن الأخير تفاسير لبعض العلماء المعاصرين فيها محاولات للتجديد والتفسير بالمأثور اذا اجتمع اليه حسن الاستنباط وسعة الثقافة والمقدرة على الترجيح هو أولى التفاسير بالاعتبار . ومع ذلك يستحسن الرجوع الى مختلف التفاسير وان يتم اختيار أصل الآراء فيها . الا اذا ثبت على وجه القطع أثر صحيح في الموضوع فتأخذ به ونطرح ما عداه اذ لا مسوغ للاجتهاد في مكان النص .

(١) سورة فاطر : آية ٣٢

(٢) سورة الحديد : آية ١٣ .

علوم القرآن :-

لم تكن الحاجة ماسة لتدوين علوم القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة . فكان الرسول يتلقى الوحي من ربه ويتلقى بيان هذا الوحي ويعلم أصحابه قال تعالى : ﴿لَا تُحَرِّدْهُ لِسَانُكَ لِتُحْضِلَ بِهِ﴾ (١) ﴿إِنْ مَدَّ جَمْعُهُمْ﴾ (٢) ﴿وَقُرْءَانَهُ﴾ (٣) ﴿فَإِذَا قُرِئَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾ (٤) ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا مِثْلَهُ﴾ (٥)

وكان أكثر الصحابة أميين وأدوات الكتابة لم تكن متوفرة لديهم فكان ذلك حائلا دون التأليف في هذا العلم ، إضافة الى أن الرسول (ص) نهى أصحابه ان يكتبوا عنه شيئا سوى القرآن ، وقال لهم " لا تكتبوا عني ومن كتب عني فبسر القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج . ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده في النار . " فكان الرسول يخاف ان يلتبس القرآن بغيره وأن يدخل فيه ما ليس منه ، ولهذا أنهى أصحابه عن كتابة ما كان يحدثهم به .

وبقيت علوم القرآن تروى بالتلقين والمشاهدة في عهد الرسول (ص) ثم في عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب . وفي زمن عثمان اختلط العرب بالعجم فأمر عثمان أن يجتمعوا على مصحف واحد وان يحرق ما عداها ، ويكون عثمان بنسخ المصاحف قد وضع الأساس لما سمي فيما بعد بعلم رسم القرآن أو علم الرسم العثماني " (٣) .

ونذكر ان عليا رضي الله عنه أمر أبا الاسود الدؤلي (٤) (ت ٦٩ هـ) بوضع بعض القواعد للمحافظة على سلامة اللغة العربية فكان علي بذلك واضع الأساس لعلم اعراب القرآن .

(١) سورة القيامة : آيه ١٦ - ١٩ .

(٢) صحيح مسلم : ج ٨ ، ص ٢٢٩ - صحيح الصالح : علوم الحديث ومصطلحه : ص ٨ .

(٣) صحيح الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ص ١٢٠ .

(٤) ابناء الرواه : ج ١ ، ص ١٣ - تهذيب التهذيب ج ١ ، ص ١٠ - ١٢ .

ويمكن القول ان الخلفاء الراشدين وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ، وأبوموسى الاشعري وعبدالله بن الزبير كانوا المهديين لعلم اعراب القرآن (١) .

كما يعتبر مجاهد وعطاء بن يسكر وعكرمه وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وزيد بن مسلم في المدينة من التابعين ، ومالك بن أنس من أتباع التابعين من المهديين لهذا العلم أيضا .

هؤلاء واضعوا علم التفسير وعلم أسباب النزول وعلم المكي والمدني وعلم النسخ والمنسوخ وعلم غريب القرآن .

وفي عصر التدوين ألقت الكتب في مختلف الدراسات القرآنية فسجلت روايات بعض التابعين في تفسير القرآن الكريم . كما ألقت في معاني القرآن ومشكلة ومجازة . فمنها معاني القرآن للأخفش ومعاني القرآن للسرؤاسي ومعاني القرآن ليوسف بن حبيب ومعاني القرآن للمبرد ومعاني القرآن لقطرب النحوى ومعاني القرآن لأبي عبيد وغير ذلك .

وممن ألف في غريب القرآن أبو عبيد وأبن قتيبة ومحمد بن سلام الجمحي وأبو عبد الرحمن اليزيدي وكثير غيرهم . وألفت الكتب أيضا في قراءات القرآن ونقطه وشكله وفي الوقف والابتداء والمتشابه والناسخ والمنسوخ ، وكانت كل دراسة تسمى باسمها . فلم يظهر اصطلاح علوم القرآن الا في وقت مبكر .

وفي القرن الثالث : ألف علي بن المديني (١) شيخ البخاري في أسباب النزول وألف أبو عبيد القاسم بن سلام في النسخ والمنسوخ وفي القراءات وفواصل القرآن . ومحمد بن أيوب الضريس (ت ٢٩٤هـ) ألف فيما نزل بمكة والمدينة (٣)

(١) انظر ابن النديم : الفهرست : ص ٣٣ .

(٢) هو علي بن عبد الصمد بن جعفر . يكنى أبا جعفر وهو سعدى بالولاء توفي سنة ٢٣٤هـ (انظر شذرات المذهب ج ٢ ، ص ٨١ - تذكرة الحفاظ : ج ٢ ، ص ١٥ .

(٣) اسم كتابه " فواصل القرآن " .

وفي القرن الرابع الهجري : ألف أبوبكر محمد بن القاسم الانباري
 (ت ٣٢٨ هـ) عجائب علوم القرآن وألف الحسن الاشعري " المختزن في علوم القرآن " وغيرهم الكثيرون من أمثال أبوبكر السجستاني^(١) الذي ألف في غريب القرآن .
 وفي القرن الخامس : ألف علي بن ابراهيم الحوفي^(٢) " البرهان في علوم القرآن " و " اعراب القرآن " .
 وفي القرن السادس : ألف أبو القاسم المعروف بالسهبلي^(٣) في مبهمات القرآن وألف في القرن السابع ابن عبد السلام^(٤) في مجاز القرآن .
 وألف علم الدين السنحاوي^(٤) في القراءات في القرن السادس الهجري ثم أنشأت علوم جديدة في القرآن : بدائع القرآن^(٥) وحجج القرآن^(٦) وأقسام

-
- (١) هو محمد بن عزيز بن عبدالعزيز السجستاني . توفي سنة ٣٣٠ هـ (يغية الوعاء ص ٧٢) وذكر السيوطي ان السجستاني مكث خمسة عشر سنة وهو يحرر كتابه غريب القرآن ، ويؤلفه مع شيخه أبوبكر بن الانباري (الاتقان : ج ١ ، ص ١٩٥) .
 (٢) هو علي بن ابراهيم بن سعيد المصري صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن وكتاب المذاهب القرآنية توفي سنة ٤٣٠ هـ (حسن المحاضرة ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، أنباه الرواه ج ٢ ، ص ٢١٩) .
 (٣) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيل ويكني أبا القاسم . توفي بمراكش سنة ٥٨١ هـ وكتابة (مبهمات القرآن) .
 (٤) هو شيخ الاسلام الامام أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام المشهور بالمعـسـز توفي سنة ٦٦٠ هـ (طبقات الشافعية ج ٥ ، ص ٨٠ وما بعدها - شذرات المذهب ج ٥ ، ص ٣١٠) .
 () هو علي بن محمد بن عبدالصمد المعروف بالنحاوي . توفي سنة ٦٤٣ هـ ، له في القرآن منظومة تعرف بالسنحاوية (انظر وفيات الاعيان ج ١ ، ص ٣٤ - البرهان ج ١ ، ص ١١٢) .
 (٦) بدائع القرآن : هو علم بسحت منه عما ورد في القرآن من أنواع البديع (الاتقان ج ٢ ، ص ١٤٠ - ١٦٠) .

القرآن (١) وأمثال القرآن (٢) .

وكانت طرقهم استقصاء جزئيات القرآن . ولذلك استلزم اختصار تلك العلوم في علم جديد موحد سمي (علوم القرآن) .

ويرى الباحثون ان اصطلاح (علوم القرآن) بالمعنى الجامع الشامل لم يبدأ ظهور حالات بكتاب (البرهان في علوم القرآن) لعلي بن ابراهيم بسن سعيد المشهور بالحوافي (ت ٤٣٠ هـ) .

وقد اشتمل هذا الكتاب على بعض علوم القرآن من انه في الظاهر تفسير . اذ ذكر فيه الغريب والاعراب والتفسير (٣) . وكان في القرن الثالث الهجري قد ظهرت كتب عالجت الدراسات القرآنية باسمها الصريح (علوم القرآن) كان أسبقها كتاب ابن المزربان (الحاوي في علوم القرآن) (٤) .

وفي القرن السادس الهجري ألف ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) كتابين هما " فنون الاقنان في عجائب علوم القرآن " والثاني " المجتبي في علوم تتعلق بالقرآن " (٥) .

وألف أبوشامه المتوفي عام ٦٦٥ هـ كتابا أسماه (المرشد الوجيز فيمما يتعلق بالقرآن العزيز) وصنف علم الدين السخاوي المتوفي عام ٦٤٣ هـ كتابه " جمال القراءات وكمال الاقراء " (٦) .

-
- (١) حجج القرآن : يسمى أيضا علم جدل القرآن ويراد منه ان كتاب الله نطق بجميع أنواع البراهين والأدلة ولكن على أساليب العرب لاطرائق المتكلمين (الاتقان ج ٢ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٣ .
- (٢) الاتقان : ج ٢ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨
- (٣) الاتقان : ج ٢ ، ص ٢٢٢ .
- (٤) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ١٢٤ .
- (٥) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ١٢٤ .
- (٦) المرجع نفسه : ص ١٢٤ .

وألف بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤) (١) في القرن الثامن الهجري كتابه " البرهان في علوم القرآن " . وفي القرن التاسع كثر التأليف فمصنف محمد بن سليمان الكافيجي ٨٧٩ كتاباً (٢) ، وألف السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، كتابه (التسهيل في علوم التفسير) واتبعه بالانتقال في علوم القرآن (٣) .

وفي القرن الأخير زاد الإقبال على التأليف فكتب الشيخ طاهر الجزائري " التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن " وكتب الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (محاسن التأويل) والشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني " مناهل العرفان في علوم القرآن " كما كتب مصطفى صادق الرافعي " اعجاز القرآن " وسيد قطب " التصوير الفني في القرآن الكريم " وفي طلال القرآن والشيخ طنطاوي جوهري " الجواهر في تفسير القرآن الكريم " والامام رشيد رضا " تفسير القرآن الحكيم " وفيه مباحث كثيرة في علوم القرآن ثم كتب محمد عبدالله دراز " البناء العظيم نظرات جديدة في القرآن " (٤) الى غير ذلك من الكتب التي وضعت في هذا المجال .

-
- (١) هو الامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي . من أعلام المفسرين ولقد سنة ٧٤٥ هـ وتوفي سنة ٧٩٤ هـ - صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ص ١٢٥
- (٢) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافينجي اشتغل كثير بالكافية في النحو فعرف بها . له كتب في التفسير والفقه وأصول اللغة والنحو توفي سنة ٨٧٩ هـ (بقية الوعاء : ص ٤٨) .
- (٣) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ١٢٥ .
- (٤) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ١٢٦ .

الباب السادس

٦ - المظهر العمراني وتطور نشأة المدن

المظهر العمراني وتطور نشأة المدن :

ارتبطت نشأة وتطور المدن الاسلامية بمعايير حضارية اسلامية تأثرت الى حد بعيد بتاريخ الاسلام وتطور حضارته . ويعكس هذا الارتباط والتأثير أسباب وعوامل تطور هذه المدن .

فبعد هجرة الرسول (ص) الى المدينة (يثرب) تبدأ نشأة المدينة الاسلامية اذ حولها الى مدينة بمفهوم حضارى واضح . وحدث تغيير واضح سعى الى تحقيقه الرسول صلى الله عليه وسلم أساسه الدعوة الى الاسلام وذلك الدين الذى بدأت في ضوء تعاليمه عملية تهيئة المجتمع الاسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت تماما مع اهتمامه بالكيان المادى للمدينة فسأدى ذلك وبالتدريج الى تكامل المراكز الحضارية الاسلامية .

فقد دعا الرسول (ص) الى تصفية القبيلة بدعوته الى التآخي ففى الاسلام ولكنه أكد على رابطة ذوى الأرحام التي هي تنظيم يضم عدة بطون وعشائر في قبيلة واحدة وتحت راية واحدة في اطار رابطة القرابة . وبمصدرة أوسع أكد الرسول (ص) على رابطة العامة للمسلمين وهي رابطة تعني توحيد عامة القبائل في تنظيم حربي واجتماعي تحت راية واحدة . فأدى التفاعل بين هذه الاتجاهات الى خلق مجتمع متماسك بعيدا عن القبيلة ترتبط برابطة الاسلام . فاستبدل الرسول (ص) العصبية القبلية بعصبية المواطن والارض بابرار أهمية المنطقة والارض والانتماء اليها . فظهرت مسميات القبائل كأهل قباء وأهل الطائف وأهل المدينة ولهذا الاتجاه دلالته الحضرية والاستيطانية^(١) وأقر الرسول مبدأ الاستخلاف على الأقاليم والمدن . اذ كان يستخلف على المدينة من يضبط أمورها في حالة غيابه ، وكذلك فعل في اليمن وزيد

(١) محمد عبدالستار . المدينة الاسلامية . ص ١٣٣ - ١٤٧ .

وعدن وغيرها . فكان لهذه السياسة آثار ايجابية اذ ساهمت في خلق مجتمع اسلامي مترابط بعيدا عن التعصب القبلي ونزعتها . فارتبطت القبائل بالأرض وانصهرت في مدن الأنصار القبائل المهاجرة من الجزيرة وتعصبت لهذه المدن وتفاخر رجالها بفقها ، هذه المدن وعلمائها . (١)

وبالنسبة للموقع : فان المدينة تقع في سهل واسع تحيط به الحرات كثير المياه ، خصباً وكانت قبل هجرة الرسول (ص) اليها مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة . وكان لكل قبيلة أطامها التي تحتمي بها فتعددت بتعدد القبائل وصاحبها اليها . وكان ذلك نتيجة طبيعية لتوزيع هذه المحلات (٢) .

ووجدت الاسواق المتنوعة في المدينة على أطراف المحلات السكنية ولعلها كانت كذلك لأسباب اجتماعية ودفاعية (٣) .

ووجدت في المدينة سقائف خاصة بالقبائل وكانت بمثابة دواوين مثل : سقيفة بني مسعدة وسقيفة الريان . كما كان لليهود بيوت المدارس وهي أشبه بمساجد المسلمين من حيث وظائفها الدينية والسياسية والاجتماعية (٤) وأخذت معالم المدينة (يثرب) العمرانية تتغير بعد الهجرة النبوية اليها بما يتناسب وما طرأ على مجتمعها الاسلامي . وأصبحت بعد الهجرة مركزاً سياسياً وإدارياً في هذه المدينة " المسجد الجامع " ثم أنشئت من حوله مساكن المهاجرين وفي ذلك تجمع للمسلمين ليكونوا كتلة واحدة (٥) .

(١) عبدالله ادريس : مجتمع المدينة في عصر الرسول (ص) . نشر جامعة الملك سعود - عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٨٢ .

(٢) ابن رسته : الاعلام النفسية ص ٢٥ طبعة ليدن - الطبري : ج ١ ، ص ٧٩ .

(٣) خليل السامرائي وثائر حامد محمد : ص ٢٧ .

(٤) خليل السامرائي : المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عهد الرسول (ص)

الموصل ١٩٨٤ . ص ١٦ .

(٥) محمد عبدالستار عثمان : المدينة الاسلامية : ص ٥٣ .

ومع تزايد أعداد المسلمين احتاج المسلمون الى توسيع هذا المسجد بين فترة وأخرى . وكانت أول مرة أضيف عليه بعد غزوة خيبر سنة ٧ هـ (١) .

وجعل أهل المدينة للرسول (ص) الصلاحية في أن يصنع في الارض التي لا تصلها المياه ما يشاء (٢) . وبذلك أخذت المنشآت العمرانية تزداد واتصل بناؤها ببعضه البعض .

ولعل الرسول (ص) هو الذي كان مسؤولاً عن توزيع الارض وتوطين الناس في المدينة (٣) . فقد أقطع القطائع للأشخاص وجمع بين ذوى القربى في موضع واحد (٣) فتضمنت المدينة في عهد الرسول (ص) خططا عديدة كـ خطة سكنها أفراد ينتمون الى قبيلة أو عشيرة (٤) . وعلى هذا الاساس سار اقطاع الخطط والمنازل في المدن الاسلامية الناشئة . ومثال ذلك ما حدث في البصرة سنة ١٤ هـ / ٦٣٥ م والكوفة سنة ١٧ هـ / ٦٣٨ م والفسطاط سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م والقيروان سنة ٤ هـ / ٦٦٥ م والعسكر بمصر سنة ١٣٣ هـ / ٧ م وبغداد سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م وسامراء سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٥ م وقطائع أحمد بن طولون بمصر سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م والقاهرة سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م ، الى غير ذلك من أمثلة المسكن الاسلامية . فأصبح نظام تقسيم المدينة الى خطط تربط بين سكان كل خطة منها صلات معينة محورا أساسيا بين المحاور التي قامت عليها أسس تخطيط المدينة الاسلامية الناشئة (٥) وتوزعت المساجد على خطط المدينة في عهد

(١) محمد عبدالستار عثمان : المدينة الاسلامية : ص ٣ .

(٢) ابن سلام : الأموال : ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ ، ص ٨٦ .

(٤) السمعوري : وفاء الوفاء وأخبار دار المصطفى : ج ٢ ، ص ٧٥٧ - ٧٦٥ / بيروت دار

صادر .

(٥) محمد عبدالستار : المدينة الاسلامية : ص ٥٤ .

(٦) الكتاني : التراتيب الادارية طبعة بيروت ١٩٧١ : ج ٤ ، ص ٧٧ - ٧٨ .

الرسول (ص) وكان عددها تسعة في خطط المهاجرين ، واشتملت المدينة على ساحة فضاء تقام عليها صلاة العيد عرفت بمصلى العيد ، وكان لكل قبيلة في خطتها مقبرة خاصة بها . ورغم ان البقيع صارت منذ سنة ١٠هـ / ٦٣١ م مقبرة عامة الا ان كل قبيلة عرفت لها قسما من أرضها استخدمته للدفن (١) واهتم الرسول (ص) بإنشاء السوق في المدينة ، ويظهر من انشاء سوق للمسلمين بالمدينة كان ليكفيهم اذى اليهود الذين أخذوا في الاعتداء على المسلمين ومضايقتهم بأسواقهم (٢) ثم ان السوق يرفقا ضروريا لحياة المجتمع وأقر الرسول نظام المراقبة في الأسواق . فكان يمر بنفسه في السوق ويوضح الأسس الاسلامية في التعامل (٣) وعين أشخاص لمراقبة الأسواق (٤) .

وفتحت الشوارع والطرق بين هذه التكويلات المعمارية تبدأ من المسجد الى أطرافها . وكانت هذه الشوارع تختلف في اتساعها بين خمسة وعشرة أذرع (٥) .

وفي خارج المدينة اتخذ الرسول (ص) المعسكرات مثل معسكر الجرف على بعد ٣ أميال شمال المدينة فمنه انطلق جيش أسامه ومنه انطلق أيضا جنود المسلمين الى مؤتة (٦) .

- (١) السمهودي : ج ١ ، ص ٢٢٦ ، ج ٣ ، ص ٨٨٨ وما بعدها .
- (٢) ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ج ١ ، ص ٣٥١ .
- (٣) السامرائي : المرجع السابق ، ص ٦٥ .
- (٤) حسان الحلاق : الادارة المحلية الاسلامية : المحتسب ، الدار الجامعة ص ١٥ .
- (٥) السمهوري : المرجع السابق ، ص ٧٢٥ - ٧٣٢ .
- (٦) سيرة ابن هشام : ج ٤ ، ص ٢١٩ - ابن سيد الناس ج ٢ ص ٤١٩ .

ومما يذكر أنه بعد أن توحدت المحلات السكنية في المدينة بعد هجرة الرسول (ص) اليها وبعد أن أصبح مجتمعها وحدة واحدة تضاءلت أهمية الحصون التي نشأتها القبائل المتفرقة لحماية محلاتها واللجوء اليها عند الخطر (١) .

وأنشأ المسلمون في المدينة المنورة أماكن للتداوى وسعوا الى انشاء البيمارستانات وأوقفوا الوقوف عليها وخصصت بالمدينة دور للضيافة أهمها دار عبدالرحمن بن عوف الكبرى وكانت تسمى دار الضيفان وأدار الأضياف وغيرها الكثير (٢) .

كما حددت أماكن لقضاء حاجات الناس تسمى المناصع بالاضافة الى بيوت الخلاء الملحقة بالمنازل (٣) .

ويلحظ مما ذكر ان التكوينات العمرانية الجديدة وكيفية تخطيطها وتوزيعها على مخططها بطريقة تجعلها كلاً متماسكاً وانها كانت تفي بحاجات المجتمع .

وبعد الفتوحات الاسلامية أنشئت المدن لتكون بمثابة معسكرات متقدمة في الشرق والغرب لهذه الجيوش ، ومراكز ادارية في الأقاليم المفتوحة فكانت وظيفتها أولاً مرتبطة بنشأتها وأصبحت مع الزمن مدناً : " ماهي الا معاقل لتوكيد الفتح وحاميا لتغذية جهات القتال بالرجال والمؤن ونقاط ارتكاز لحركة الفتح العربي ودور هجرة ومنازل جهاد ومعالج لنشر الدين وبذور بعث جديد

(١) محمد عبدالستار : المدينة الاسلامية ، ص ٦٠ .

(٢) انظر السمعوري : ج ٢ ، ص ٧٣٩ - ابن سبيل الناس ج ٢ ، ص ٢٩٩ ، ج ٣ ، ص ٣١٢ .

(٣) عبدالقدوس الانصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ١٣١ - خليل السامرائي ص ٧٠

للحضارة الانسانية باختيار الزمان والمكان . كما أنها أقرت التزام الدولة
تجاه المجاهدين في السكن والوظيفة . . . " (١)

وبدأت المدن بالبصرة التي أنشئت سنة ١٤هـ / ٦٣٤م لتكون معسكرا

عربيا .

وقد مصرها عتبة بن غزوان بأمر الخليفة عمر بن الخطاب . فكان أولا
بناء المسجد في وسط المدينة وعلى مقربة من دار الامارة . ثم انقطعت
القبائل خططها حول المسجد . وخطت شوارعها فكان الشارع الرئيسي
٦٠ ذراعا وعرض الأزقة سبعة من الغزو فاذا رجعوا أعادوا بناءه (٢) .

وتطورت البصرة مع الزمن وكان لا اتصالها تجاريا بالأقاليم المجاورة أثرا
في نموها وازدهارها ومما ساهم في نموها سياسة تشجيع العمران عن طريق منح
الاقطاعات واتخاذ الأسواء وتأسيسها (٣) .

ويكشف هذا التطور عن ازدياد أهمية البصرة التي أصبحت مركزا اداريا
ارتبطت به البحرين والبلاد المفتوحة من بلاد فارس . فأدى هذا التطور إلى
الرخاء الاقتصادي ومظاهرة تزايد الواردات من غنائم الفتح وقد أدى الرخاء
الاقتصادي إلى زيادة سكان المدينة بشكل ملحوظ عن طريق الهجرة إليها
لكسب العيش ومزاولة الأعمال حتى بلغ سكانها وفقا لسجل المقاتلين (٦٠) ألفا .
ثم تطورت البصرة فيما بعد إذ أن زياد بن أبيه كان أول من بنى الآجر
والجص وأعاد تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها فقسمها إلى خمسة أخماس في
كل خمس مجموعة من العشائر التي تنتمي إلى قبيلة واحدة . وشجع زياد تأسيس

(١) السمعوري : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٣٤٥ .

(٣) عبد الجبار ناجي : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

الأسواق فقد بنى مدينة الرزق وهي سوق واسعة لها أربعة أبواب واهتم بإنشاء الوحدات العمرانية المتمثلة بزيادة عمران المدينة كالمحلات والمربعات والحمامات (١)

ومما يدل على اتساع البصرة وعمرانها أن زياد بن أبيه جعل الشرطة أربعة آلاف (٢) ومن خلال الاطلاع على ما أصاب البصرة من تطور يلحظ أنها تحولت خلال هذه الفترة من مجرد معسكر حربي إلى مدينة ذات معايير مدنية واضحة تمثلت فيها الحياة العربية مرتبطة بأحداث التاريخ الإسلامي بشكل وثيق وعلى هذا المنهج سارت مدن الأمصار الأخرى التي أنشئت بعد ذلك .

وأنشئت الكوفة سنة ١٧ هـ / ٦٣٨ م لتكون معسكراً حربياً أيضاً . وقد مصرها سعد بن أبي وقاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب . وكان عرض شارعها الرئيسي أربعين ذراعاً والشوارع الأخرى ثلاثين ذراعاً والتي تليها عشرين ذراعاً وكان اتساع الأزقة سبعة أذرع (٣) .

وقد أنشئ المسجد في وسط المدينة وبجوار دار الإمارة ومن هنا امتدت وتفرعت الشوارع . ومنحت القطاعات للقبائل فكانت كل قبيلة تقسم الخطة المخصصة لها وكان لكل قبيلة مقبرتها الخاصة بها ومع تزايد أعداد السكان كانت الكوفة تمتد عمرانياً في أكثر من خطة . وإذا كانت القبيلة محدودة كان يشترك معها في الخطة جماعات لا تنتمي إلى القبيلة وهم الذين كان يطلق عليهم الاخلاط (٥) . وكانت سوق المدينة في وسطها وهي عبارة عن ساحة

(١) عبد الجبار ناجي : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٦٢ .

(٣) انظر الطبري : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

(٤) اليعقوبي : البلدان : ص ٩٥ - ٩٦ .

(٥) كاظم الجنابي : خطط الكوفة ، ص ٧٤ .

فضاء . وظلت كذلك حتى جاء خالد القسرى في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣ م) فأمر بإنشاء الاسواق على هيئة معمارية جديدة تشتمل على حوانيت سفلية ومساكن علوية للسكنى (١) .

ومما سبق يتبين ان تخطيط الكوفة سار على المنهج الذى وضع في المدينة المنورة " ثم في البصرة " ونهج المسلمون في تخطيط الفسطاط على النمط السابق نفسه . فقد أنشأها عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م (٢) وتقع على الشاطئ الشرقي للنيل بجوار حصن نابليون . فبتى عمرو المسجد أولا وخط في المنطقة المحيطة به سوقا ومن ثم اختطت الخطط للقبائل . وكان للقبيلة الكبيرة أكثر من خطة كما كانت القبائل الصغيرة تضم مع بعضها في خطة واحدة . وكانت خطة أهل الرأى قريبة من المسجد (٣) .

وكانت الفسطاط قد بدأت بداية قوية في عمرانها حتى ان خطتها وصلت ٤٧ خطة منذ تأسيسها (٤) . ويبدو مما سبق ان الخطة كانت في الفسطاط كما في البصرة والكوفة أساس تخطيط المدينة فهي وحدة تخطيط أساسية وان هذا النظام قام على أساس القبيلة وروح استمرار الفتوحات الاسلامية ودعم هذه المدن بالجيوش حدث تطور في هذه المدن فزادت الحاجة الى المساحات التي تتسع لتوسيع الخطط لاستيعاب الاعداد الجدد من المقاتلين القادمين ، فزحفت المباني على الساحات وتلاصقت الخطط وامتدت لتضييق الشوارع فكون ذلك الشوارع الملتوية والطرق الضيقة التي اتسمت بها الفسطاط (٥) .

-
- (١) كاظم الجنابي : خطط الكوفة ، ص ٧٤ .
 - (٢) الطبرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٩١
 - (٣) ابن عبد الحكم : فنوح مصر والمغرب - القاهرة ١٩٦١ ، ص ٦٩٧ .
 - (٤) محمد عبدالستار : المدينة الاسلامية : ص ٦٩ .
 - (٥) محمد عبدالستار : المدينة الاسلامية : ص ٧١ .

وكانت مباني الفسطاط متلامقة وخططها متلاحمة وشوارعها ضيقة ويمثل انشاء بغداد وسامراء تصبح وتبلور هذه المرحلة من التطور اذ أصبحت المدينة " ثوب العظمة " للحكام . وعند المقارنة بين بغداد وسامراء وبين مدن الأمصار نجد كثيرا من التشابه . ويتمثل ذلك في اتباع نظام الاقطاعات والخطط كنظام متبع لتنمية عمران المدينة وتخطيطها . وفي كل هذه المدن كانت التنمية الداخلية متروكة للأفراد في كل مجموعة سواء كانوا أعضاء في قبيلة أو فرقة في الجيش أو مجموعة من بلد ما وفي كل منها كان المسجد الجامع ودار الامارة في مركز المدينة وان كان ذلك غير منطبق تماما على سامراء كما في بغداد . وكانت في سامراء وبغداد ومدن الأمصار الأسواق بجوار المسجد وتستثنى بغداد من ذلك .

ومن حيث الاختلاف فقد خطت بغداد وسامراء تخطيطا منتظما بينما مرت مدن الأمصار في مراحل تطور باعتبار ظروف نشأتها وتحولها من معسكرات حربية الى مراكز استيطان ثم الى مدن مستقرة صبغت تدريجيا بالمبنة المدنية (١) .

وتعتبر بغداد لكونها داخل الأسوار مدينة ملكية وقعت خارج أسوارها الرياض العامة . ثم تطورت الى مدن للعامة بسبب ظروف قيامها بالحلل ملك وقيام ملك آخر وتتابع حياة الدول الحاكمة التي ترغب في اتخاذ هذه المدينة أوتلك حاضرة لها أو تعزف عنها فتتشيء لها مدينة أخرى مجاورة أو بعيدا عنها ، ومن المدن التي تعكس ذلك : المهديّة والقاهرة ومراكش والرباط وفاس والزهاء وغيرها .

واختلفت أسباب نشأة المدن الأخرى التي لم تكن حواضر الملك أو مراكز

(١) المرجع نفسه : ص ٧٧ .

الادارة • وارتبطت هذه الاسباب بعوامل اقتصادية وحربية ودينية وغير ذلك فكانت تبدأ بنسوة عمرانية تتطور وتتشكل لتأخذ الملامح نفسها وكذلك الحال بالنسبة للمدن التي كانت قائمة قبل الاسلام وصارت تحت لواء دولته • وتطورت المدن الاسلامية وازدهر عمرانها وحكم هذا التطور تلك الاسس التي قامت عليها هذه المدن • وبرز كثير من العوامل والظواهر التي أدت الى هذا التطور وعكسه كثير من الشواهد العمرانية التي اتسمت بهـ المدن الاسلامية • فقد اتسع عمران هذه المدن بسبب توفر المقومات الحضارية • ومن المؤشرات التي تدل على ذلك زيادة عدد سكان هذه المدن وزيادة المنازل والمنشآت • وكان لسياسة الحكام الهادفة الى العمران أثرها في تطور هذه المدن وزيادة سكانها وظهر ذلك في النظم الاسلامية التي أدت الى زيادة عمران المدن ولا أدل على ذلك من ظهور المدارس والمنشآت الدينية والربط والزوايا •

ولعبت الأوقاف دورا هاما في حياة المدن • فانتشرت بشكل واضح حتى خصص ديوان عرف بديوان الأقباس والأوقاف (١) • وله أثره في عمران المدن الاسلامية وخاصة منذ بداية القرن السادس الهجري • والأوقاف تستلزم حركة عمرانية تشكل جانبها هاما من حركة العمران في مراكز الاستيطان ومن أهمها المدن • وأصبحت المدارس ثم الخانات من المؤسسات الدينية التقليدية بالمدن الاسلامية • اذ روعي في تخطيط بعض مدن الشام الاهتمام بالمنشآت المدرسية والخانات : وساهم في تطوير عمران المدن الاسلامية تلك المشاركة التي أتاحها الحكام للعامّة في تعمير المدن وتشجيعها • وذلك باختصار

(١) القلقشندي : صبح الاعشى : ج ١ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ - خطط المقرئزي ج ٢ ،

المواضع المناسبة لإنشاء المدن ، وفي اقطاع العامة الاقطاعات لبدء التعمير والانشاء (١) .

وفي جمع القبيلة في مكان واحد مما دفع الاقتراد الى العمل على اعمار مواضعهم الامر الذي أدى الى اعمار الخطة ب شكل متكامل ، والى منافسة الخطط بعضها بعضا فازداد عمران المدن وتعددت ارباضها . وشجع هذه المشاركة سياسة الاهتمام بالانشاء المرافق العامة من ماء وأسواق ومساجد ودور قضاء وطرق وغير ذلك .

والمدن الاسلامية : نوع يحتوى على المراكز العمرانية التي وجدت فيها الفتح الاسلامي . وهي التي نزلها العرب واتخذوها حواضر لهم . ثم تحولت هذه المراكز العمرانية مع الزمن الى مدن اسلامية تشبه التي انشأها المسلمون بعد الفتح مع زيادة عنها بكثرة آثارها القديمة وباستقامة شوارعها مثل ما حدث في دمشق وحلب وطرابلس والشام والاسكندرية وقرطبة وغيرها .

والنوع الثاني : أنشأه العرب في العصر الاسلامي أما توثيقا لمصالح المسلمين الاقتصادية مثل مدينة مرسية والمرية في الاندلس . واما تدعيمها لنظام الدفاع الاسلامي مثل قلعة جابر وقلعة أيوب في الاندلس وقلعة بني حماد وتونس في المغرب وواسط في العراق . وأما لأغراض سياسية خاصة مثل مدينة بغداد . أو لتكون مركزا عقائديا لمذهب الدولة الحاكمة مثل المهديّة وقاهرة وفاس في المغرب والقاهرة . أو تكون تعبيراً عن فرحة الانتصار على أعداء الاسلام كالمنصورة في مصر وحصن الفرج في الاندلس ورباط الفتح في المغرب أو لتكون مراكز اشعاع للحضارة العربية الاسلامية في البلاد المفتوحة مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان أو انها نتيجة قيام دولة جديدة مثل العسكر في مصر

(١) محمد عبدالسلام : المدينة الاسلامية ، ص ٨٦ .

وبغداد في العراق ومراكش في المغرب أو لتكون مكانا لاستجمام الامراء
والسلاطين والخلفاء وراحتهم مثل الزهراء في الاندلس ورقادة والعباسية
بالقرب من القيروان وعين الجر (عنجر) في البقاع أو لتكون معسكر للجيش
كالقطائع في مصر وسامراء في العراق (١) .

ومع الفتوحات الاسلامية اضطر العرب المسلمون بعد ان اتسعت الدولة
وانصلوا بأهلها الى انشاء مراكز لهم في تلك الأقطار المفتوحة لنشر
الاسلام والثقافة ، ولمجارية سكان تلك البلاد في حياتهم المتحضرة ، ولما
كان العمران من مستلزمات الحضارة والتحضر فقد أقام العرب بعد فتح
الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب مدنا كان الهدف الاول منها عسكريا
اي لتكون قواعد حربية ومعسكرات للجند . فكانت أولى هذه المدن التي
أنشأها العرب المسلمون أمام عمرو بن العاص سنة ٢١هـ بأمر من الخليفة
ثم أنشئت مدينة الفسطاط في مصر على يد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ بأمر
الخليفة عمر بن الخطاب أيضا وفي سنة ٥٠هـ أسس عقبة بن نافع الفهري مدينة
القيروان . وبذلك يكون هذا القرن قد تميز بانشاء المدن الاسلامية في البلاد
المفتوحة باستثناء الشام التي لم ينشأ فيها الا مدينة الرملة على يد
الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ .

وفي العهود التالية اتبع المسلمون سياسة بناء المدن لتمكين نفوذهم
في البلاد المفتوحة مثل تونس التي أقامها حسان بن النعمان الغساني سنة
٨٤هـ . ومدينة العسكر في مصر شمال الفسطاط سنة ١٣٣هـ والقطائع في مصر
سنة ٢٥٦هـ والمهدية في تونس سنة ٣٠٣هـ .

- (١) انظر عبدالعزيز سالم : الحضارة الاسلامية : ص ١٥ وما بعدها .
- (٢) بنيت البصرة على يد عتبة بن غزوان سنة ١٥هـ بأمر من عمر بن الخطاب
وأنشئت الكوفة سنة ١٧هـ على يد سعد بن أبي وقاص بأمر من الخليفة
عمر بن الخطاب .

وقد حرص العرب في القرن الاول الهجري على أن تكون مدنها فسي داخل البلاد البعيدة عن السواحل حماية لها من الغزو الذي يأتي من البحر كما أخذوا بعين الاعتبار ماكان يتناسب مع حياتهم البدوية من مراعي الإبل ومايصلح لها مثل الكوفة والقيروان^(١) . ومانفور العرب من المناطق الساحلية الا بسبب بداوتهم وقلة خبرتهم بالشؤون البحرية : وقد أشار ابن خلدون إلى الشروط المعتبرة والواجبة في تأسيس المدن بما يلي :-

- أ - ان تكون في مناطق زاخرة بالمرافق كالمياه والمراعي .
- ب - ان تقع في موقع استراتيجي حمين : كأن تكون في استدارة بحر (خليج) أو على هضبة متوعدة أو على انحناءة نهر لا يصلها العدو الا بعد العبور على جسر فيصعب السيطرة عليها وتظل منيعة .
- ج - ان تؤسس في مكان طيب الهواء لتجنب أهلها الأوبئة .

وأما بالنسبة للمدن الساحلية فكان لابد أن تتوفر فيها شرط هام هو أن تكون على أعلى جبل حتى لايسهل غزوها ووقوعها بيد الأعداء ، وماتعرض الاسكندر يه لحملة الروم سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م الا مثالا على ذلك .

وتشترك المدن الاسلامية جميعا سواء كانت في المشرق أو في المغرب أو كانت مدنا مفتوحة أم قديمة في مظهرها العمراني العام . ويقصد به طريقة تخطيطها ، وتوزيع مراكزها العمرانية ، وضيق شوارعها والتوائها وتشعب طرقاتها ، كما انها تشترك في نماذج بنائها ماعدا تفاصيل الزخرفة اما التمسته بتأثير المناخ أو الموقع أو طبيعة المكان .

ويمكن تفسير هذه الظاهرة : بأن المسجد الجامع والذي لا يختلف فسي نظام بنائه كثيرا في أنحاء العالم الاسلامي - كان يعتبر أساسا للتنظيم العمراني

(١) انظر ابن خلدون : المقدمة .

للمدينة والمركز الديني الذي تحيط به بقية مراكزها العمرانية ، وكان بناء المساجد في الاسلام أساس العمران في المدن الاسلامية أو المدن المفتوحة التي كان يراد طبعها بالطابع الاسلامي .

وكان المسجد الأساس في جميع المنشآت الاسلامية كالمدارس والخوانق والدور والاربطة والقصور ودور الصناعة والفنادق . وجميعها اشتقت عناصرها من نفس نظام المسجد الذي وضع النبي (ص) خطوطه الاساسية . وكان المسجد في المدينة الاسلامية يتكون من عنصرين هامين : بيت للصلاة مسقوف وصحن مكشوف .

ويلي المسجد في أهميته العمرانية في المدينة الاسلامية المركز المناعني الاقتصادي : فقد كانت الحركة التجارية ومازالت على أشدها فيما يحيط بالجامع لان عددا كبيرا من المخازن والمحلات التجارية كانت تؤلف مجموعة قيسارية " أي سوق " . وكانت الشوارع المحيطة بالجامع تتسمى بنوع ما يباع أو يصنع فيها مثل : درب الخياطين والصباغين والحطابيين والفخاريين والنحاسيين والوراقين والبزازيين وغير ذلك .

واستمرت بعض هذه الأسماء تطلق على أحياء بأكملها في المدن الاسلامية مثل : حي العطارين في الاسكندرية والصفارين بفاس والنحاسيين فسي القاهرة والبزورية في دمشق والكتيبة في مراكش .

وكانت الحوانيت الاسلامية في العصور الوسطى عبارة عن أماكن ضيقة قليلة الارتفاع وأبوابها تغلق بالأواح متحركة تربطها مزاليج محكمة . وكان يعلوها مظلة مائلة من الخشب أو الحصير وقاية من الشمس أو المطر .

وكانت الفنادق والخانات من الأبنية الاقتصادية الهامة في المدينة الاسلامية فكان يأوي اليها التجار الغرباء وبخاناتها يخزنون سلعهم قبيل توزيعها وكان الفندق في غالب الأحيان بناء متواضعا للغاية يشتمل على غرف

خالية من الأثاث ، بحيث لم يكن المسافر ليجد أكثر من غطاء وحصير . أما الدواب فكانت تربط في ساحة الفندق أو الخان . ولاتزال في المدن الإسلامية آثار لذلك . ففي القاهرة يوجد أثر جليل لخان الزراكشة الذي يعود تاريخه الى القرن ١٦ وهو غرب الجامع الأزهر . وفي طرابلس آثار لخانات إسلامية مثل خان المصريين والخياطيين وخان الصابون . وفي صيدا خان الاقرنج وكانت هذه تكثر في المناطق القريبة من المساجد بسبب كثرة المسافرين والرحالة وكانت دور الصناعة من أركان المركز الاقتصادي بالمدينة الإسلامية في مدن السواحل وهي أبنية كانت تصنع فيها السفن والشواني والحراريق والأسلحة والآلات والمعدات الحربية البرية والبحرية ، ولها أسماء كثيرة مثل دور صناعة الإنشاء ، ودور صناعة القطائع ودور صناعة الأسطول . ومن مراكز الصناعة هذه برشلونة وبلنسية ، المرية ، طرطوشة ، مالطة ، أشبيلية ، قادس . ومن كثرة هذه المدن يتبين ان شهرة المغرب والاندلس فاقت شهرة المشرق الإسلامي في هذا المجال . اذ وجد في المغرب مراكز لها في المهدية والمنصورية وقلعة بني حماد وبجاية وسبتة وطنجة .

كما اشتهرت مصر بوجود دور لصناعة السفن في جزيرة الروضة والقلمزم والمقس ودمياط وظلت دار صناعة الاسكندرية قائمة الى الآن .

وأما المراكز العمرانية الاجتماعية : فكانت دعامة الحياة العمرانية في المدينة الإسلامية . اذ كان يحتوى على منازل للسكن ومؤسسات عامة مثل الحمامات والقناطر والقنوات وشبكات المياه والشوارع والطرق .

وكانت معظم شوارع المدينة ضيقة ومتعرجة ، تتشعب منها السدروب والأزقة الضيقة التي لا تدخلها الشمس لكثرة انحناءاتها وتقارب صفي الدور على جانبي الطريق . أما المدن التي فتحها المسلمون فكانت تصبغ بالطابع الإسلامي

بسرعة • فتتشعب من شوارعها المعتدلة أزقة ودروب ملتوية وزنقات • وفي هذه الشبكة من الطرق والازقة كانت تظهر بين فترة وأخرى ساحة واسعة تساعد على كشف مظهر العظمة والجمال اللذين يكمنان في أبنيتها • وكانت الدار أهم أبنية المركز العمراني الاجتماعي في المدينة ، وتكثر الدور كلما اقتربنا من وسط المدينة حيث المسجد ودار الامارة ، وكان المظهر الخارجي للدار بسيطاً يخلو من النواقد ويختلف عن المظهر الداخلي ، حيث في الداخل تتراكم الزخارف • فكان الاهتمام منصبا على داخل الدور تزيين جدرانها وتكسي بالتربيعات الجميلة وتزرع الاشجار في فناءها • وكان لكل دار عليه يشرف منها على المارين ، كما كانت أبواب الدور الواقعة في شارع واحد غير متقابلة منعاً للمشارفة على دور بعضهم بعضا •

ومن المؤسسات الهامة في المدينة الاسلامية : الحمام • فكانت تكثر الحمامات في هذه المدن حتى اعتبرت مظهرا بارزا في المجتمع الاسلامي • فكان الحمام مركزا للاجتماعات المرحية ومجالس الانس واللهو يجتمع فيه الشعراء المساجلات الشعرية وتجذ فيه النساء وفرصة للتسرية عنهن • وكانت الحمامات في المدن الاسلامية تكثر بالقرب من المساجد الجامعة • وكان الحمام في مدن الاندلس يحوى عدة غرف بعضها لخلع الملابس واستبدالها وبعضها الآخر يتفاوت بدرجة حرارة مياهه •

وكان للمدن الاسلامية أسوار تحيط بها وتمنع عنها القارات ففي المشرق الاسلامي كانت الأسوار تتبع النظام الروماني أو الفارسي من حيث القوة والانتظام والاستقامة بينما كانت متعرجة في المغرب والاندلس • حيث التعرج يساعد على قوتها •

وكانت أسوار المدن القديمة التي فتحها العرب مستطيلة الشكل لها أربعة أبواب في جوانبها مثل الاسكندرية وسرقسطة في اسبانيا • وفي العدم

الاسلامي زاد عدد هذه الابواب لتسهيل الاتصال بين المدينة وأرباضها وسميت
الابواب التي كانت تفتح باسم الوظيفة التي تؤديها مثل باب السر أو بسباب
الغدر وباب الخوجة أو باسم الموضع المجاور للباب مثل باب البحر وبسباب
العطارين وباب القنطرة .

أو أنها كانت تسمى باسم بعض الاشخاص : مثل باب عبدالجبار فسي
قرطبة أو باب ادريس ويعقوب في سور بيروت . كما كانت تسمى باسم القبيلة
التي تسكن المنطقة مثل : باب زويلة في القاهرة . أو باسم المدينة التي تفتح
تجاهها مثل : باب البصرة وباب الكوفة في سور بغداد الى غير ذلك من الوظائف
والمسميات .

وكانت كل مدينة تشتمل على خطط أو حارات تسمى كل منها باسم
أكبر القبائل أو الاسر فيها أو باسم أحد أبنيتها المشهورة مثل : حارة مسجد
الكهف في قرطبة أو باسم السوق فيها مثل حي العطارين أو غير ذلك .
وبالنسبة للأحياء الخارجة عن نطاق المدينة الاسلامية . فكانت تسمى
بظاهر المدينة أو خارجها . وكانت تدخل أحيانا في نطاق المدينة بعد اتساعها
وتصبح أحياء تحوطها أسوار خارجية .

وبالنسبة للمنتزهات فكانت عادة في ظاهر المدن . أما المقابر فكانت
أيضا خارج بوابات المدينة ليسهل على الناس زيارتها . وعندما كانت المدن
تتسع لتمتدح المقابر في داخلها كانت المقابر تنقل الى خارج السور الجديد
وتحول المقابر القديمة الى أماكن عامة .

الباب السابع
المظهر الاقتصادي

بيت المال :

الزكاة

الضرائب

الأراضي

بيت المال :

هو الاصطلاح الذى أطلق على المؤسسه التي قامت بالاشراف على مايرد من الأموال ومايخرج منها في أوجه النفقات المختلفة .

وقد أطلق على الخزانة لفظة (بيت المال) وهي التسمية العامة التي نجدها في جميع المصادر ، كما سميت أيضا (بيت مال المسلمين) .

كانت الأموال في عهد الرسول (ص) في بيته وفي بيوت أصحابه ، وفي الغالب كان الفيء يقسم من يومه . فقد كان إيراد الدولة قليلا ، وكان لكل شيء يحفظ في بيت الرسول (ص) أو أصحابه (١) .

واتخذ أبوبكر بيت مال بالسنج (٢) في ضواحي المدينة المنورة ثم سُم انتقل الى المدينة المنورة وكان يصرف جميع مافيه على المسلمين . وكان إيراد الدولة لايزيد عما كان عليه زمن الرسول (ص) ، وسار أبوبكر على سنة الرسول (ص) في انفاق كل مال في مصرفه .

وكان وزير مالية أبوعبيدة عامر بن الجراح قال له أنا أكفيك المال (٣) ويذكر القلقشندي : ان عمر بن الخطاب كان على بيت المال من قبل أبي بكر وبهذا يكون قد سبق عمر في ترتيب بيت المال (٤) .

وفي عهد عمر بن الخطاب ازدادت واردات الدولة وتعددت المصالح كما تعددت بيوت المال . وكان بجانب بيت المال العام بيوت مال في كل ولاية من ولايات الدولة . وكان مايرد من الموارد في كل ولاية يصرف منه ما يحتاج

(١) شوقي اسماعيل شجاته : بيت المال نشأته وتطوره ، ص ١٢ / بحث قدم في ندوة مالية ، الدولة في صدر الاسلام .

(٢) السنج : احدى محال المدينة . كان بها ينزل أبوبكر الصديق وهي في طرف المدينة (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٦٥)

(٣) المرجع نفسه : ص ١٣

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى : ج ١ ، ص ٤١٣ .

اليه مصارفها وما بقي منها يرسل الى حاذرة الخلافة ليدصرف في الشؤون العامة بعد أن يدخر منه شيء للطوارئ في كل ولاية ، وكان عمر بن الخطاب أحياناً يختار للولاية وزيراً لماليتها غير واليها العام . فقد عين عبدالله بن مسعود على العراق : وقال لأهلها " وقد جعلت على ماليتكم عبدالله بن مسعود وآثرتكم به على نفسي " وقد جمع عمرو بن العاص بين الولاية العامة وولاية المال (١) .

ومن دراسة الظروف التي أدت الى تدوين الدواوين في زمن عمر بن الخطاب وكيف تم ذلك يظهر ان فكرة تأسيس بيت لحفظ الأموال قد نضجت في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وأصبح للمسلمين بيت تحفظ فيه أموالهم .

ويذكر ابن الجوزي ان عمر بن الخطاب كان يكسح بيت المال مرة في السنة عذراً الى الله تعالى (٢) وأصبح لبيت المال أهمية سياسية ، حيث كانت تعقد فيه اجتماعات على غاية من الأهمية ، فعندما دفن عمر بن الخطاب اجتمع أصحاب الشورى في بيت المال للمناظرة في اختيار الخليفة الجديد (٣) وفي عهد عثمان بن عفان حدث تطور مهم بالنسبة للنظرة الى المال اذ أخذ على الخليفة عثمان أنه كان يعطي من بيت المال بشكل لاسم يألفه المسلمون في عهد الرسول (ص) وخليفته فجرت بين الخليفة والمعارضين معانبات ومناورات كانت بداية ظهور فتنة عظيمة أدت الى مقتله ، وان ما حصل بين أبي ذر الغفاري من جهه وعثمان ومعاوية من جهة أخرى خير دليل على ذلك (٤) .

(١) المرجع نفسه : ص ١٣ .

(٢) ابن الجوزي : تاريخ عمر بن الخطاب : ص ١٠٦ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف : ج ٥ ، ص ٢١ .

(٤) أنساب الأشراف : ج ٥ ، ص ٥٢ ، ٥٣ - الطبري ج ١ ، ص ٢٨٣ ، ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

وقد حاول علي ابن أبي طالب تجاوز الاحداث والسير بالمسلمين سيرة الرسول (ص) والشيخين أبوبكر وعمر . وأعاد المساواة بالعطاء ، كما كان يكنس بيت المال ويعمل فيه ^(١) ويذكر الاصطخري ^(٢) أنه كان له بيت مال بالرقه أيام صفين ^(٣) وكانت الخزانة العامة في عهد أبي بكر وعلي ملسك للشعب ^(٤) .

وفي عهد الامويين بقيت العراق والشام نتيجة لفتح أراضٍ شاسعة بدون مالك وهي الصوافي ، وقد صرف واردها في مصالح المسلمين عامة ، فلما جاء معاوية بن أبي سفيان قام بفعل الصوافي عن بيت المال وجعلها للخليفة وكذلك فعل بالشام والجزيرة واليمن . اذ استصفى لنفسه الضياع واقطعها أهل بيته ^(٥) .

وفي عهد عبدالملك بن مروان اتخذت التدابير الجديدة قصد بهـا زيادة الضرائب أو تعديلها بسبب اسلام الكثير من أهل الذمة وتوسُّع المسلمين في شراء الأراضى وانتشار الاقطاع وتوسُّعه حيث أ كثر الخلفاء الامويون من اقطاع الاراضى لأنفسهم والمقربين اليهم ^(٦) .

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٠ - خوله الدجيلي : بيت المال : ص ٣٩ .

(٢) الاصطخري : المالك والممالك : ص ٥٤

(٣) موضع بالقرب من الرقة على الفرات من الغرب - معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٤١٤

(٤) أبو علي : مختصر تاريخ العرب : ص ١٦١ .

(٥) انظر : ديبنيث : الجزية : ص ٦٥ - أدب الكاتب ، ص ٢١٩ - العقوبي : تاريخ ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

(٦) الدوري : النظم الإسلامية : ص ١٤٥ .

وفي ولاية الحجاج في العراق وضع سياسة تهدف الى انقاذ الخزينة
اذا أعاد فرض الخراج على العرب الذين اقتنوا أراضي خراجية وفرض الجزية
على الاعاجم الذين أسلموا وظلوا في قراهم (١) ، وعندما تولى عمر بن
عبد العزيز الخلافة أمر عماله برفع الجزية عن أسلم (٢) بينما اعتبر الخراج
إيجاراً للأراضي يدفعه كل من امتلك أرضاً مسلماً كان أم ذمياً . وبعد عمر
ابن عبد العزيز عادة خلفاؤه الى سيرة الحجاج (٣) .

ويبدو أن بيت المال أصبح تحت طائلة بني أمية والمقربين اليهم
فتحولت الخلافة الى ملك موروث وعمد الحكام الى كسب الأعوان والاندثار بطريق
بذل العطاء واغداق الاموال دون رقيب أو حسيب وذلك في سبيل تثبيت دعائهم
دولتهم (٤) .

ولما آلت الخلافة الى العباسيين حدث تطور مهم في بيت المال فقصد
وجهوا عنايتهم بشكل خاص الى السواد وفي عهد المنصور نبذ نظام المساحنة
واتبعت المقاسمة في جباية الخراج بسبب انخفاض الاسعار . وقد حدد المهدي
حصة بيت المال من المقاسمة فجعلها النصف ان سقي سبعا وفي الدوالي بالباقي
الثلث وفي الدواليب على الربع (٥) .

وفرض المنصور على الحيوانات خراجاً وأمر باخراج الاسواق من مدينته
الى جهة الكرخ ووضع عليها الخريبة (٦) .

(١) الطبري : ج٢ ، ص ٣٨١

(٢) الطبري : ج٦ ، ص ٥٥٩ - ٥٦٩ - ابن الاثير : ج٥ ، ص ٦١ - المستدرر : ج١
الخطوط : ج١ ، ص ١٢٥ .

(٣) ابن الاثير : ج٧ ١٤٨ - ١٤٩ - الجعفي : ج٢ ، ص ٤٨ .

(٤) فتاوى علي : ص ٢٩٧

(٥) السامري : ص ١٧٦ .

(٦) الطبري : ج٧ ، ص ٦٥٣ .

وفي عام ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م أوجد المهدي دواوين الأئمة للإشراف على
الدواوين المختلفة واستمر بجباية أسواق بغداد (١) .

وعندما سيطر الأتراك على الحكم وصار الخليفة العويبة بأيديهم
أطلقت أيديهم في بيوت الأموال (٢) ومنذ سنة ٣٣١ هـ تحولت السيطرة
المالية في حقبة السنوات التسع إلى أمير الأمراء . ثم كان دخول البويهيين
بغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م قد أدى إلى سيطرة الأمراء البويهيين على الأمور ولم
يبق للخلفاء أية سلطة وصار الأمراء البويهيين يجبون الضرائب والجزية مما
أدى إلى خراب الأراضي الزراعية (٣) .

وكان يشرف على ما يرد إلى بيت المال من أموال وما يخرج منه من النفقات
والإطلاقات ديوان بيت المال ويعتبر من أهم الدواوين في الدولة (٤) .

ولما كان الخليفة هو مصدر جميع السلطات وعنه تصدر جميع
الأوامر الخاصة بشؤون الدولة (٥) . فقد كان له حق التصرف المطلق بأنواع
الدخل . ويظهر هذا واضحاً في أنواع الأسراف المفرط غير المقيّد وفسي
الهبّات التي تثير العجب (٦) . فقد منح أحد خلفاء بني أمية عبد الله بن
جعفر حين وفد عليه خمسة ملايين درهم فقيل له : " فرقت يا أمير المؤمنين
بيت مال المسلمين على رجل واحد ، قال : أنا فرقته على أهل المدينة " (٧) .

- (١) اليعقوبي : تاريخ : ج٣ ، ص ١١١ .
- (٢) الطبري : ج٩ ، ص ٢٦٣ - القلقشندي : مآثر الأئمة : ج١ ، ص ٢٤١ .
- (٣) انظر بن الأثير : ج٨ ، ص ٤٥٦ .
- (٤) منتز : تاريخ الحضارة الإسلامية : ج١ ، ص ١٣١ .
- (٥) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب : ص ٣٤٩ .
- (٦) سيديو : تاريخ العالم : ص ٢٢٣ .
- (٧) ابن حبة الحموي : تقي الدين ثمرات الأوراق : ص ٣١٥ .

ومع ان هذا المبلغ مبالغ به وغير معقول الا انه يوضح المدى الذي وصلت اليه حرية الخليفة في التصرف بالاموال .

وقد أصبح اديوان بيت المال في العصور العباسية المتأخرة جهاز اداري يشرف عليه ويدير شؤونه ويسجل الاموال الواردة اليه والخارجة منه في أوجه النفقات المختلفة . وقد شمل هذا الجهاز عدة وظائف كل منها تكون مسؤولة عن أمر من الامور ذات العلاقة وهي :

- ١ - صاحب بيت المال ٢ - مباشر بيت المال ٣ - الناظر
- ٤ - متولي الديوان ٥ - المستوفي ٦ - الناسخ
- ٧ - المعين ٨ - المشارف ٩ - العامل
- ١٠ - الكتاب ١١ - الجهيد ١٢ - الشاهد
- ١٣ - النايب .

١٤ - الأمين

ويورد قدامة جعفر أغراض ديوان بيت المال فيقول ^(١) : " هذا الديوان ينبغي ان يعرف غرضه فان علم ذلك دليل على الحال فيه والغرض فيه انما هو محاسبة صاحب بيت المال على ما يرد عليه من الأموال ويخرج مسن ذلك في وجود النفقات والاطلاقات . اذا كان ما يرفع من الختمات مشتملا على ما يرفع الى دواوين الخراج والضياغ من الحمول وساير الورود وما يرفع الى ديوان النفقات مما يطلق في وجوه النفقات فاذا أخرج صاحب دواوين الاصول وأصحاب دواوين النفقات ما يخرجونه من ختمات بيت المال المدفوعة الى دواوينهم من الخلاف سبيل الوزير أن يخرج وذلك الى صاحب هذا الديوان ليصفحه ويخرج ما عنده فيه ومما يحتاج الى تقوية هذا الديوان به ليصح أعماله وينتظم أحواله

(١) قدامة بن جعفر : الخراج وصفة الكتابة ، ص ٢٠٤ - ٢٠٨ .

ويستقيم ما يخرج منه ان يخرج كتب الحمول من جميع النواحي قبيل
اخراجها الى دواوينها اليه ليثبت فيه وكذلك ساير الكتب النافذة الى
ماحب بيت المال من جميع الدواوين بما يؤمر بالمطالبة به من الأموال ويكون
لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والصقال والاطلاقات يتفقدوها الوزير
وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها اذا لم يجدوها لئلا يخطئ أصحابها
والمديرون هذا الديوان فيختل أمره ولا يتكامل العمل فيه . فان هذا الديوان
اذا استوفيت أعماله كان مال الاستخراج بالحضرة والحمول من النواحي "

ويذكر الماوردي أغراض ديوان بيت المال فيحدد بها ما يلي :

- ١ - حفظ القوانين على الرسوم العادلة من غير زيادة أو نقصان حتى لا تتضرر
الرعية أو ينقص حق الدولة .
- ٢ - استيفاء الحقوق من العاملين أو استيفائها من القابضين لها من العمال .
اي قيام العمال بتحميل الإيرادات وقبضها ، وتنظيم كيفية التصرف في هذه
الإيرادات التي قبضها العمال إما توريدها الى بيت المال أو صرفها في وجوهها
الى مستحقيها .
- ٣ - اثبات الرفوع وهي : نوع مساحة وعمل ورفوع قبض واستيفاء ورفوع خرج
ونفقة . فأما رفوع المساحة والعمل : فان كانت أصولها مقدرة في الديوان
اعتبر صحة الرفع بمقابلة الاصل وأثبت في الديوان . ان وافقها والمقصود نـوع
المساحة ومقدارها وأما رفوع القبض والاستيفاء - أي مقدارها - فيعمل فـسـي
اثباتها على مجرد قول رافعها لانه على نفسه لا لها .
وأما رفوع الخرج والنفقة - أي مقدارها - فرافعها مدع لها فلا تقبل دعوات
الا بالحجج البالغة .

٤ - محاسبة العمال على صحة ما رفعوه من أموال الخراج .

٥ - تدفح الظلمات

وهذه الأغراض تدور بمجملها حول ضبط الدخل وضبط الخرج وحفظ المال ومراقبة تحصيل الإيرادات ومراقبة الصرف وحفظ حقوق بيت المال وحقوق الرعية .

الزكاة :

هي أحد أركان الإسلام وفريضة أساسية من فرائضه أمر بها الله تعالى في كتابه الكريم واعتبرها بمثابة تطهير لذنوب المسلمين وزكاة لأعمالهم^(١) . وهي واجبة على كل مسلم سواء كان صبيا أو معتوها أو امرأة^(٢) " إذا ملك نصابا تاما وحال عليه الحال " فهي تنعقد بالحوال والنصاب^(٣) .

والزكاة لا تعتبر موردا ماليا للدولة بالمعنى الصحيح وإنما هي مال يؤخذ من الغني ويعطى للفقير ولاتنفق الدولة منه على إصلاح مرافقها فهي بذلك ضريبة لإصلاح المجتمع فقط في حدود معينة^(٤) . وهي من الضرائب التي تؤخذ من المكلفين في مكان وتنفق على المستحقين من أهل ذلك المكان^(٥)

وقد قبل عمر بن الخطاب أن يدفع بنو تغلب النصارى الصدقة المضاعفة

بدل الجزية لأنه أراه أن يتألفهم ويبقيهم في ديارهم بالجزيرة وذلك بعد أن

(١) الماوردي : ص ١٢٠ .

(٢) خوله الرجيلي : بيت المال ، ص ١٠٢ .

(٣) ابن سماتي : قوانين الدواوين : ص ٣٠٩ .

(٤) سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق : ص ١٠٢ .

(٥) فؤاد علي : ص ٣٣ - ٣٤ .

شهدوا بترك الاسلام أن فرض عليهم الجزية باعتبارها اذلالاً لهم (١) .
ومن تطورات الزكاة أيضاً من ان والي الصدقة كان يأخذ زكاة الأموال
الباطنة في عهد الرسول (ص) وخليفته . فلما كان عهد عثمان فوض أداءها
الى أصحابها فكان ذلك بمثابة التوكيل لمالك المال بأداء الزكاة (٢) .
ومن ذلك نرى أنه من عهد عثمان لم تعد الحكومة تجني بنفسها
زكاة الأموال الباطنة وإنما تركتها لأصحابها يخرجونها عنها . وربما أدى
هذا الى المماطلة في اخراجها أو الامتناع عنها نهائياً .
والصدقة زكاة والزكاة صدقة ولا يس على المسلم حق غيرها فقد روى
عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " ليس في المال حق سوى الزكاة " (٣) .
والزكاة تجب في الأموال المرصدة للنماء . والأموال التي تجب فيها
الزكاة نوعان :

ظاهرة وباطنة .

فالأموال الظاهرة ما لا يمكن اخفاؤها كالزراع والثمار والمواشي .
والباطنة ما يمكن اخفاؤها مثل الذهب والفضة وعروض التجارة . ولا يحق
لوالي الصدقات أخذ زكاة الأموال الباطنة وأصحابها أحق باخراجها الا ان
يبذلونها طواعية فتقبل منهم ، وعمله مقتصر على جباية زكاة الاموال الظاهرة حيث
يأمر أصحابها بدفعها اليه (٤) . وتأخذ الزكاة من أربعة موارد :-
- المواشي : وهي الابل والبقر والغنم . وتجب زكاتها بشرطين : أحدهما
أن تكون سائمة ترعى الكلاء والثاني أن يحول عليها الحول .

(١) فتوح البلدان : ص ٢١٦ - ٢١٨ - أبو عبيد : الأموال : ص ٧٢٢ - ٧٢٣ .

(٢) خيرة الرجيلي : بيت المال ، ص ١٠٣ .

(٣) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ١١٣ .

(٤) الماوردي : ص ١١٣ - أبويعللي : ص ٩٩ .

- زكاة ثمار النحل والشجر : وزكاتها تجب بشرطين : أحدهما صلاحها واستطابة أكلها والثاني ان تبلغ خمسة أوسق (١) .

- زكاة الزروع : وتجب فيه بعد قوته واشتداده ودياسه وتصفيته اذ بلغ النصف فيه خمسة أوسق (١) .

- زكاة الذهب والفضة : وهما من الاموال الباطنة : وزكاتها ربع العشر ونصاب الفضة مائتي درهم ولا زكاة فيها اذا نقصت عن مائتين .

أما الذهب فنصابه عشرون مثقالا (٢) . أما الركاز فهو كل مال وجد مدفونا من ضرب الجاهلية ويكون فيه الخمس (٣) .

وتقسم الزكاة على مستحقيها بحسب الآية الكريمة : " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم . قال تعالى :
" انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها " . (٤)

فالراجب ان تقسم صدقات المواشي وأعشار الزروع والثمار وزكاة الاموال والمعادن وخمس الركاز على هذه الاصناف الثمانية . ولما كان القرآن قد سوى بين مستحقي الزكاة فيجب على عاملها بعد تكاملها ووجود جميع الاصناف المستحقة لها ان يقسمها على ثمانية أسهم متساوية (٥) وفي حالة عدم توفر بعض هذه الطوائف الثمان فان الزكاة تقسم على من وجد منهم ولو كان صنفا واحدا " ولا ينقل سهم من عدم منهم في جيران المال الا اسهم سبيل الله في الغزاة فانه ينقل اليهم لانهم يسكنون الثغور في الاغلب " (٦)

وكان الرسول يقسم الزكاة حسب رأيه واجتهاده فتكلم في ذلك بعض المنافقين وطعنوا على الرسول فنزلت على اثر ذلك الآية الكريمة المحسنة

(١) الوسق : يساوي ستين صاعا ويقدر بـ ٢٥٢٣٤٥٦ لترا .

(٢) الماوردي : ص ١١٤ - ١١٩ ، أبولبلى : ص ١٠٠ - ١٠٩ .

(٣) الماوردي : ص ١٢٠ . أبويعلبي : ص ١١٢

(٤) سورة التوبة : آيه ٦١

(٥) الماوردي : ص ١٢٢

(٦) الماوردي : ص ١٢٤ .

لمعرفة الزكاة قد أوجب أن يكون عامل الصدقة رجلا عفيفا أميناً ثقة (١)
عالمًا بما أوجبه تعالى على الناس في أموالهم من الزكاة . ومتى يؤخذ
ومقدار نصاب كل صنف من الأصناف (٢)

ولا يجوز اسناد ولاية الصدقة الى عمال الخراج لان مال الصدقة لا يجمع
الى مال الخراج لان الخراج في جميع المسلمين . بينما الصدقة محددة بمن
سماهم الله تعالى في القرآن الكريم (٣) .

ويجوز لعامل الصدقات ان يقسم ما جباه بغير اذن مالم ينه عنه لان
مصرف الصدقة بنص القرآن (٤) .

وقد أوجب الاسلام الصدقة مرة في كل عام ولا تجبى كل شهر وشهرين
لما قد يلحق أصحاب الاموال من ضرر من جرائها (٥) . وكان الجباه يرسلون
قبل بدء السنة الجديدة ويفضل أن يجبوها في المحرم (٦) . ولا يحق لعامل
الزكاة أن يأخذ منها شيئاً الا ما فرضه الله له . فقد استعمل النبي رجلاً على
الصدقات . ولما قدم قال : هذا وهذا أهدي اليّ . فقام النبي على المنبر
وقال : ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول : هذا لكم وهذا لي ؟ فهلا
جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهم يهدي اليه أم لا . فوالذي الذي نفسي
بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة ان كان
بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تهر (٧) وقد أصبح للصدقات فيما بعد

(١) أبو يوسف : الخراج : ص ٨٠

(٢) الحسن بن عبد الله : تاريخ الاول في ترتيب الدول : ص ٧٣

(٣) أبو يوسف : الخراج : ص ٨٠

(٤) أبو يعلى : ص ١٢٤

(٥) عبد اللطيف بدوي : الميزانية الاولى في الاسلام : ص ١٢

(٦) السنافي : الأم : ج ٢ ، ص ١٧ .

(٧) أبو عبيد : الاموال : ص ٣٧ ، السنافي : الامم . ج ٢ ، ص ٨٨

بيت مال خاص بها تحفظ فيه الاموال وتصرف لمستحقيها . وفي بعض الأحوال تشح فيه لكثرة مصروفاته . فقد ذكر أحد الاشخاص لـ خليفة المأمون أن الغارمين قد كثروا وليس في " بيت مال الصدقات درهم " (١) . ثم صار للصدقة ديوان ينظم شؤونها ويشرف على أوجه الصرف فيها سمي بديوان الصدقات والبر (٢) وكان موقعه في الرحبة التي هي مقابل باب الكوفة (٣) وكانت مهمة هذا الديوان ادارة ضياع الاقاف الخاصة ويتولاه شخص يسمى (صاحب الصدقات) ، شروطه ان يكون مسلما عالما عادلا ملما بأحكام الزكاة ان كان من عمال التفويض وان كان من عمال التنفيذ جاز أن يكون من أهل العلم بها (٤) . وكان بعض الخلفاء قد سيطروا على الصدقات ومنحوها لمن أرادوا . فقد ذكر ان الخليفة المأمون منح لمتولي الصدقة نصف صدقات البصرة طعمة له سبع سنوات (٥) .

(١) التوحيدى : أبوحيان : أخلاق الوزيرين : ص ٤٤٨ .

(٢) مسكوية : تجارب الامم : ج ١ ، ص ١٥٢

(٣) اليعقوبي : البلدان : ص ٢٤٣

الزبيدي : العراق في العصر البويهي : ص ١٠٥

(٤) الماوردى : ص ١٢٣

(٥) حولة الرجيلي : بيت المال : ص ١٠٧ .

الضرائب :-

وضع نظام الضرائب الاول في عهد عمر بن الخطاب ، وبسبب اختلاف التراث المحلي والساساني والبيزنطي فقد اتخذت لكل ولاية تدابير ضريبية خاصة . وقد أفاد عمر من السوابق الاسلامية . مثلاً : تدابير الرسول في الزكاة وفي الجزية وفي اعتبار الاراضي العربية عشيرة وفي جعل الحمسى لأفراض الدولة وإباحة الماء والكلاء والنار . والتزم عمر بالمبادئ الاسلامية مثل عدم تقسيم الاراضي واعتبارها فيئاً للمسلمين واعتبار العقيدة أساساً لفرض الجزية أو الفائها (١) .

والفي الامتيازات الضريبية المحلية . ومع ان عمر أبقي على الاطر العام للتنظيمات المحلية الا ان هذه طوّرت فصارت الضرائب تدفع الى الادارة مباشرة الى أشخاص محليين مثل رؤساء الفلاحين من العجم في القرى الشرقية وعمد القرى ورؤسائها في مصر . ومنذ عهد عمر بن الخطاب فرضت في الولايات ضريبتان الاولى على الرؤوس والثانية على الاراضي (جزية وخراج) .

وفي العصر الاموي اتجه الحكم نحو تكوين نظام ضريبي منسق في الولايات . وفي خلافة عبدالملك واجهت الدولة أزمة مالية فحاول اعادة النظر بالجزية ، وأعيد فرض الخراج على بعض الاراضي الخراجية التي امتلكها عرب وجعلوها عشيرة . وعرب الدواوين المالية مما جعل في المقدور فيما بعد ايجاد نظام عربي ضريبي موحد (٢) .

وجاء عمر بن عبدالعزیز فأعفى من يدخل الاسلام من الجزية واستمر

(١) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي : ص ١٧٥

(٢) المرجع نفسه : ص ١٧٦ .

ففي وضع الخراج على الأرض الخراجية (١) ، وذلك بمنع بيع هذه الأرض للعرب
كما ألغى الرسوم الإضافية وحاول تحسين أساليب الجباية (٢) .

وحاول العباسيون في العصر الأول إعادة النظر في بعض الضرائب وفي
أساليب الجباية . ووضعت للخلفاء العباسيين كتب في الخراج أولها على
يد أبي عبد الله بن معاوية ابن عبيد الله الكاتب وزير المهدي والثاني
على يد أبي يوسف للخليفة هارون الرشيد . وذلك لوضع أسس ومبادئ
سليمة (٣) . ورغم المحاولات للتخفيف من الخراج ومحاولة إصلاح أساليب
الجبائية فقد استمرت الأساليب القديمة وحصلت تطورات في الضرائب
وفرضت رسوم وضرائب جديدة فيما بعد :

وكانت الدولة الإسلامية تستقي مواردها المالية في عصورها المختلفة

من المصادر التالية :-

١ - الزكاة أو المدقة :

وقد فرضها الله في القرآن الكريم على ذوى اليسار مجملة بقوله
تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (٤)

وجبى في الأحوال المرصدة للنماء أما بنفسها وأما بالعمل فيها وقصد

تولى الرسول (ص) بيان مقاديرها بقوله وفعله . كما عين القرآن مصارفها

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ

وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ (٥)

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز : ص ٩٩ - طبقات ابن سعيد، ج ٥، ص ٢٧٧

(٢) البيهقي : تاريخ البيهقي : ج ٢، ص ٢١٦ - ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن
عبد العزيز ، ص ٢٢٧ .

(٣) انظر الدورى : النظم الإسلامية - ضياء الدين الرئيس : الخراج - منز الحضارة

(٤) سورة التوبة : آيه ١٠٣

(٥) سورة التوبة : آيه ٦٠

وأوضحت كتب الفقه تفاصيل مقاديرها وحددت نصابها خاصة تجبى على
أساسه بشروط خاصة . وكيفية صرفها في مصارفها .
ويقوم عمال الحكومة بجباية زكاة الاموال الظاهرة كالمواشي
كالمنتجات الزراعية أما زكاة الاموال الباطنة كالذهب والفضة فتترك
الى الفرد (١) .

وتصنف الاموال التي تجب فيها الزكاة الى مايلي :-

المواشي : وهي الابل والغنم والبقر وتأخذ زكاتها متى وصلت النصاب .

وكانت في ملكية صاحبها سنة واحدة على الاقل وتكون الزكاة فيها

كما يلي :

في الابل : من ٥ - ٩ شاه جذعة (سنها ٦ أشهر) أو ثنية من المعز (سنتان)

١٠ - ١٤ شاتان

١٥ - ١٩ ثلاث شياه .

في البقر والجاموس :

من ٢٠ - ٣٩ وفيها تبيع (عمره ستة أشهر) ذكر .

من ٤٠ - ٥٠ وفيها مسنة (عمرها سنة) أنثى .

من ٦٠ - وفيها تبيعان ٠٠٠ الشخ

ومن الغنم : من ٤٠ - ١٢٠ جذعه أو ثنية من المعز

من ١٢١ - ١٩٩ شاتان

من ٢٠٠ - ٣٩٩ ثلاث شياه الشخ (٢) .

(١) الماوردي : ص ١٠٩ - أبويعلبي : ص ٩٩ .

(٢) الماوردي : ص ١١٠ - ١١١ - أبويعلبي : ص ١٠١ - ١٠٢ - أبويوسف :

الخارج ، ص ١١٢ .

ب - الزرع والثمار :

وتختلف انواع الثمار التي يزكيها الفقهاء بين الثمر والعنب فقط كما يرى الشافعي وبين كل أنواع الثمر كما يرى أبو حنيفة ويجعل بعضهم الزكاة من الخضر والبقول وأنواع الحبوب ، في حين يجعلها آخرون على " ما يكال ويدخر " . ويشترط بعضهم حصول نصاب قدرة خمسة اوسق (الوسق في صدر الاسلام ٣ ر ١٩٤ كغم قمح) بينما لا يرى آخرون حاجة للنصاب (١) .

وتقدر هذه ب $\frac{1}{2}$ على ما يسقى بصورة طبيعية من المطر او القنوات وب $\frac{1}{2}$ ان كان يسقى اصطناعيا بآلة . وتحسب القيمة بعد وزن الحاصل ويجوز بعضهم كالشافعي وابن حنبل تقديرها على الفواكه وعلى الاشجار (٢) .

ج - الذهب والفضة :

ويبلغ نصابها مائتا درهم شرعي وزن كل درهم منه ستة دوانيق (٣) وكل عشرة منها سبعة مثاقيل وعشرون مثقالا من الذهب ومقدار الضريبة $\frac{1}{2}$ (٤) .

-
- (١) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي : ص ١٨١ .
(٢) يحيى بن آدم : ص ٨١ ، ص ٨٤ - الماوردي ، ص ١١٢ وما بعدها - ابو يعلى ص ١٠٣ ، وما بعدها .
(٣) الدانق : كلمة فارسية الاصل معناها حبة : والدانق $\frac{2}{8}$ حبة من الشعير . وقيل الدانق سدس الدرهم . والدانق قبرطان - والدانق عند المسلمين $\frac{1}{3}$ حبة (المعجم الاقتصادي : ص ١٤٩ ، احمد الشرباصي) .
(٤) الماوردي : ص ١١٥ ، الصولي : ادب الكاتب ، ص ١٩٩ ، ابو يعلى : ص ١٠٨ وما بعدها

د - أموال التجارة :

وتوضع الزكاة على بضاعة التجار المسلمين بما فيها الدقيق $\frac{1}{4}$ من ثمنها (١) وفيما يتعلق بتعديل المصارف فقد أسقط عمر بن الخطاب أسهم المؤلفين قلوبهم لضعف قوة الاسلام وعدم الحاجة الى ممانعة الناس، وكان عمر قد ادخل تعدد على الانواع التي تؤخذ عليها الزكاة اذ انه لما وجد ان تجارة الخيل غدت تجارة رائجة فقد فرض الزكاة على الخيل أسوة بما كان يفرض على اصحاب الابل والغنم وغيرها تبعاً لتغير الاحوال (٢) .

٢ - الغنيمة :

وهي كل ما يحصل عليه الجيش الاسلامي في ميدان الحرب من أموال ودواب وسلاح وأسرى من المحاربين . والسبي من النساء والاطفال . وبالجملة كل ما يغنمه الجيش من مال حقيقي او مقوم . وقد خص من الغنيمة $\frac{4}{5}$ للمقاتلين والخمس الباقي يصرف بموجب الآية الكريمة : قال تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِ السَّبِيلِ ﴾ (٣)

وفي توزيع اربعة اخماس من الغنيمة لا بد من المفاضلة بين الفارس والرجل .

(١) يحيى بن آدم : ص ١٢٦ ، الصولي : ادب الكاتب ص ١٩٩ - ابو عبيد : الاموال ص ٤٦٣ وما بعدها .

(٢) عبد الفتاح شحاتة : نظم الحكم في الاسلام : ص ١٠٤ .

(٣) سورة الانفال : آية ٤١ .

فيعطي الفارس ثلاثة اسهم منها سهمان لفروسه وسهم له والراجل سهمًا واحدًا .
او يعطي الفارس على الاقل سهمين بينما يعطي الراجل سهمًا واحدًا ^(١) . ولا يجوز
قتل السبي من النساء والاطفال ولا سيما اذا كانوا من اهل الكتاب . ومن
الممكن قسمتهم كما تقسم الغنيمة . اما الارض المغنومة فتقسم بين
الغانمين الا ان يطيبوا نفسا بتركها فتجعل وقفًا على مصالح المسلمين .
ويدخل في الغنيمة ما يسمى بالسلب ، فيقسم كالغنيمة وربما اصبح ملكًا
لسالبيه عملاً بقول الرسول (ص) : " من قتل قتيلاً فله سلبه " ^(٢) وكان
المراد بذلك تشجيع المجاهدين على البلاء الحسن في القتال .

(١) هذا رأي أبي حنيفة . اما الاول فهو لأبي يوسف (انظر : الخراج : ص ٢١ ، ٢٥ ،
٣٥) . وقال الشافعي : يعطي الفارس ثلاثة اسهم والراجل سهمًا واحدًا اذا حضر
الواقعة بأفراس يسهم الألفرس واحد . وقال ابو حنيفة يسهم لأكبر من
فرس واحد .

(٢) ابو يعلي : الاحكام السلطانية ص ١٣٤ .

٢ - الفبيء :

ويطلق على المال الذي أصابه المسلمون عفوا من غير قتال ولا يجاف
بخيل ولا ركاب . قال تعالى "
(١) ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾
وخمس الفبيء يقسم الى خمسة أسهم متساوية سهم للرسول ينفق
منه على نفسه وبيته . وقد سقط هذا السهم بوفاته عليه السلام
أما أربعة أخماس الخمس : قسم لذوى القربى من الرسول وسهم لليتامى
وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وذلك عملا بقوله تعالى : (٢)
﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾
ويقول الرسول عليه السلام : " مالي مما أفاء الله عليكم الا الخمس
والخمس مردود عليكم " . وكانت أربعة الفبيء الباقية تقسم في صدر
الاسلام بين الجند في الاعمال الحربية لشراء الاسلحة والمعدات . وقد ظلت
الحال على ذلك حتى دون عمر الدواوين وقدر أرزاق الجند (٣) . واعتبر عمر
مافتح من الارضين عنوة فيئا ووقفه على المسلمين ومصالح الدولة وأبقى
الاراضي بأيدي أهلها يدفعون عنها ضريبة الخراج . وبذلك ضمن للدولة
موردا ثابتا للاتفاق منه على الدفاع عنها ولحفظ حقوق الاجيال القادمة
وقد دلل عمر بعمله هذا على عمق ادراكه لمصالح الدولة الاسلامية .

٤ - الجزية :-

وهي مقدار معين يوضع على رؤوس أهل الكتاب أى اليهود والنصارى
ومن الحق بهم من المجوس (٤) الذين عرض عليهم الاسلام ولم يسلّموا ولسم
(١) سورة الحشر : آيه ٦ : الوجيف : سزعه السبر أى لم تجر الركاب لنحصيله .
(٢) سورة الحشر : آيه : ٧
(٣) حسن ابراهيم : النظم الاسلامية : ص ٢٣٦
(٤) الماوردى : ص ١٣٩ - أبوبعلي : ص ١٣٧ - ١٣٨ .

يقاتلوا ورضوا بالجزية • وهي تجبى مرة واحدة في العام • وكان
اليونان قد فرضوها قبل الاسلام على سكان آسيا الصغرى حوالي القرن
الخامس قبل الميلاد مقابل حمايتهم من الفرس وفرضها الرومان والفرس
على الامم التي خضعت لحكمهم الا انها كانت سبعة أضعاف الجزية التي
فرضها المسلمون • وقد فرضت الجزية بنص القرآن • قال تعالى :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١١)

وقد فرض الشرع الاسلامي الجزية على كل الاشخاص الذين يجب عليهم
الجهاد لو كانوا مسلمين لان كلنا الطبقتين تكافأنا في الحقوق وتساويتنا
في الواجبات (٢) • فكان ذلك تحقيقا لمعنى التكافؤ بين المسلم والذمي
وقد الحق الرسول المجوس بأهل الكتاب بقوله : " سنوا بهم سنة أهل الكتاب "
ويكاد يتفق الفقهاء على أخذ الجزية من المشركين من غير العرب الحاقا لهم
بأهل الكتاب على ضوء الحديث عن مجوس هجر • وبالنسبة لفرضها على
العربي غير المسلم : يرى أبو حنيفة ألا تؤخذ من مشركي العرب لأن النبى
منهم والقرآن بلغتهم ولان الرسول (ص) أوصى ألا يبقى دينان في جزيرة العرب
لتتم وحدتها • وخالفه أبو يوسف في ذلك وقال : تؤخذ من العربي كتابيا
أو غير كتابي ويقول الشافعي : ان الآية عامة لم تمنع فروقا بين أهل الكتاب عربا
أو غير عرب ولكنها لا تؤخذ من عبدة الاوثان ومشركي العرب ويرى مالك فرضها
على كل كافر لا يدخل الإسلام الا المرتد • وأما مقاديرها فقد كانت خاضعة لما

(١) سورة التوبة : آية ٢٩ •

(٢) أبو يوسف : الخراج : ص ٦٩ - ٧٣ - حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص ٢٢٩ -

مبهي الصالح : النظم الاسلامية : ص ٣٦٣

يتفق عليه المجاهدون مع من يهزمونهم أيام أبي بكر وعهد عمر ثم ان عمر نظمها وقدرها ضمانا لتحقيق العدالة لأهل ذمة الرسول (ص) فقدرها بحمل من الفرد في الفرد وجعل التحصيل على أقساط فحددها بأربعمائة درهم من الفضة وأربعة دنانير من الذهب سنويا على كل قادر كاسب ثم عدلها فجعلها ثلاث درجات حسب الغنى والفقر : فجعل الدرجة الاولى على ٤٨ درهما في العام والثانية ٢٤ درهما والثالثة ١٢ درهم . وعمم ذلك على ولايات الدولة .

ويقضى الاسلام فيما يتعلق بطريقة أخذ الجزية بالتلطف معهم ولا يضرب أحد من أهل الذمة في استيوائهم الجزية ولكن يحبسوا حتى يؤدوها (١) .

وتختلف الجزية عن الخراج من حيث :

أ - ان الخراج ضريبة على الارض والعقار بينما الجزية على الرؤوس .
ب - ان الخراج قد استنبطت أحكامه بالاجتهاد (٢) بينما الجزية فرضت بنفس شرعي .

ج - ان الخراج لا يسقط بالاسلام بينما الجزية تسقط بالاسلام .
والاصل في فرض الجزية لايجاد التوازن في الدولة عن طريق التكافؤ فالمسلمون والذميون في الاسلام رعية لدولة واحدة ويمتعون بحقوق واحدة وينتفعون بمصالح الدولة العامة بنسبة واحدة . ومن هنا فرضت الجزية على أهل الذمة مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان ولذلك

(١) أبو يوسف : الخراج : ص ١٢٦ ، ١٢٢ - الاموال لابي عبيد : ص ٦٤ .

أوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين وحمايتهم
في الاقاليم الاسلامية التي يقيمون فيها .

- الخراج :-

وهو ضريبة معينة من المال أوالحاصلات تفرض على أرض صالح أهلها
المسلمين على قدر يؤخذ منها . أو على أرض فتحها المسلمون بقوة السلاح
عنوة وقهرا وتركوها لأهلها نظير استغلالهم لهذه الأرض . وهي غير الزكاة
المقدرة في أموال المسلمين وغير أرض المسلمين التي يدفعون عنها زكاة
عشر محصولها أو نصف العشر حسب رأى الفقهاء . وغير الجزية التي فرضت
على رؤوس أهل الذمة وكانت ضريبة الخراج تجبى تارة نوعية وتارة أخرى
نقدية ونوعية (١)

ويترك تقدير الخراج للامام بعد أن تؤخذ قابلية الأرض بعين الاعتبار
ويتوقف مقدار الخراج على خصب التربة ونوع الحاصل ونوع السقي طبيعيا
أو اصطناعيا وقربها أو بعدها عن الاسواق . وكان يراعى في وضع الضريبة
العدل بين أهلها وأهل الفيء من غير زيادة تجحف بأهل الخراج أو نقصان
بضر بأهل الفيء ، ويلزم معاملة أهل الخراج باللطف وارجائهم في حالة
عجزهم عن الدفع (٢) . وكثيرا ماكان الخليفة يتنازل عن كل ضريبة في أيام
قحط أو مجاعة ولهذا كان الخراج غير ثابت القدر ، فطورا يزيد وطور ينقص
وهو حق معلوم على مساحة معلومة .

(١) انظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٧٧ - ٢٧٩ - الماوردي ص ١٤٨ .
(٢) الماوردي : ص ١٤٣ - ١٤٤ - أبويعلبي : ص ١٥١ ، ص ١٥٦ - أبوعبيد :
الاموال .

وهناك ثلاثة أنواع من الاراضي لايفرض عليها الخراج وانما يدفع أصحابها عشر محصولاتها . وتسمى أرضا عشرية : وهي :-

١ - الاراضي التي أسلم أهلها وهم عليها بدون حرب ، فهذه كانت تترك لهم على أن يدفعوا عنها ضريبة العشر كزكاة ولا يجوز ان يوضع عليها خراج .

٢ - الارض التي ملكها المسلمون عنوة اذا قسمها الخليفة على الفاتحين فهي أرض عشرية تدفع عنها الزكاة .

٣ - الارض التي أخذت من المشركين عنوة ، فهذه تعتبر غنيمة تقسم بين الفاتحين بعد اخراج الخمس المقرر منها فيملكونها ويدفعون عنها العشر من غلتها ، وتكون أرض عشر وزكاة لا يوضع عليها خراج (١) .

ولم يكن الخراج معروفا تماما في العصر الراشدي ، واختلف المؤرخون في تقديره ، فقدرة بعضهم على جزية الرؤوس وقصره بعضهم على ضريبة الارض وقال أبو يوسف (٢) : والفبيء عندنا هو الخراج وذكر آيات سورة الحشر .

وكان الخلفاء يعينون عمالا مستقلين عن الولاة والقواد لجباية الخراج فيدفعون منه أرزاق الجند ، وينفقون على ماتحتاج اليه المصلحة العامة وما بقي يرسل الى بيت المال بدار الخلافة ليصرفه الخليفة فيما خصص له .

ويذكر أبو يوسف للخليفة الرشيد الصفات الواجبة في عمال الخراج بقوله (٣) " ورأيت أن تتخذ قوما من أهل الاصلاح والدين والامانة فتولّهم الخراج . ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لأهل الرأي عفيفا لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخاف في الله لومة لائم . وما حفظ من حق وأدى مسن

(١) الماوردي : ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) أبو يوسف : الخراج : ص ٢٣ وما بعدها .

(٣) شحاته : نظم الحكم في الاسلام : ص ١١١ .

أمانة احتسب به الجنة . وما عمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيمسا بعد الموت بجوز شهادته ان شهد ولا يخاف منه جور في حكم ان حكم " وكان الخلفاء يشرفون بأنفسهم على جباية الخراج ويحاسبون السوالة والعمال ، مطبقين في حقهم دون تحيز مبدأ من اين لك هذا ؟ وهذا النظام هو ما أطلق على تسميته بنظام المقاسمة أو المصادرة . وقد كان عمر بن الخطاب اذا أراد ان يولي واليا عمل احصاء دقيقا لثروته ، ثم عند اعتزاله " العمل أو اقالته يدفع نصف الاموال التي جمعها أثناء ولايته اذا تبين ان راتبه لا يسمح له بجمع مثل هذه الثروة . وعلى هذا رد معاوية الى بيت المال نصف الثروة التي كان قد جمعها . كما قاسم عمرا ماله وفعل مثل هذا بغيرهما .

٦ - العشور :

يرجع نظام العشور الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب . فقد فرض ضريبة على التجار الذين يتجرون في أرض المسلم مين أو خارجها . فاذا كان التاجر ذميا معاهدا أخذ منه قيمة نصف عشر تجارته وان كان من رعايا الدولة أو مسلما أخذ منه من كل أربعين درهم واحدا ولا شيء فيما دون المائتين . فاذا بلغت قيمة التجارة مائتي درهم فأكثر دفع صاحبها خمسة دراهم (٢٥٪) . واذا كان التاجر حربيا فانه يؤخذ منه العشر أو قيمته . حيث ان المسلمين كانوا اذا وفدوا بتجارتهم الى دار الحرب الذين ليس بينهم وبين المسلمين عهد يدفعون العشر عن تجارتهم . فعوملوا معاملة المثل على أنه يجوز للامام ان يزيد عن العشر أو ينقص عنه الى نصف العشر ، أو ان يرفع ذلك عنهم اذا رأى مصلحة في ذلك . ولا يزيد على ما يؤخذ على مره من كل قادم في كل سنة . ولتكرر قدومه خلال السنة (١) . وتشبه هذه الضريبة الضرائب

(١) أحكام أهل الذمة : ص ١٦١ .

الجمركية في عصرنا الحاضر .

وباختصار فإن الضرائب التي تفرض على تجار المشركين نوعان :

أ - الضريبة التي تفرض على تجار أهل الذمة وتبلغ ١/٢٠ من قيمة بضائعهم وتجبي مرة في السنة متى تجاوزت قيمة البضائع مائتي درهم (١) .

ب - الضريبة التي تفرض على التجار المشركين القادمين من خارج البلاد الإسلامية وتبلغ عشر قيمة بضائعهم ان زادت القيمة على مائتي درهم (٢) .

٧ - ضريبة الخمس : وتفرض على :

أ - الركاز : وهو كل مال وجد مدفوناً في باطن الأرض (٣) .

ب - المعادن : وقد اختلف الفقهاء في مقدار الضريبة على المعادن وهل تكون الخمس أو العشر ولكن العراقيين الفقهاء اتفقوا على ان تكون الخمس (٤) .

واختلف الفقهاء أيضاً في أنواع المعادن التي تفرض عليها هذه الضريبة ففي المذهب الشافعي " تجب الضريبة في معادن الذهب والفضة خاصة . بينما أوجبها أبو حنيفة في كل ما ينطبع من ذهب وصفر . وأسقطها عما لا ينطبع من مائع وحجر .

ويرى ابن حنبل انها تجب في جميع الخارج منها سواء كان ما ينطبع . . .

أو مما لا ينطبع (٥) .

(١) يحيى بن آدم : ص ١٠ - ١١ - الماوردي : ص ١٢٢ .

(٢) يحيى بن آدم : الخراج : ص ١١ - ١٢٦ .

(٣) أبويعلی : ص ١١١ - ١١٢ - الماوردي : ص ١٢٦ .

(٤) الصولي : أدب الكاتب : ص ١٩٩ .

(٥) أبويعلی : ص ١١١ - الماوردي : ص ١١٦ .

وهناك ضرائب كثيرة نشأت عن حاجات وظروف جديدة ولعبت دورا في السياسة المالية . اذ توقفت الغنائم وتقلصت أراضي الخلافة واقتصر دفع الزكاة على المواشي والزروع تقريبا فحصل نقص في موارد الدولة مع بقاء الانفاق والموظفين كما هي الحال بل وزاد الانفاق وارتفعت الرواتب . فكان من الضروري ايجاد مصادر جديدة ففرضت ضرائب جديدة أهمها :

١ - ضريبة الارث :

وهي من الضرائب غير المشروعة ومهمة . ويبدو انها ظهرت لأول مرة في خلافة المعتمد سنة ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ / ٧٨٠ - ٨٩٢ م^(١) . ثم أصدر عام ٢٨٣ هـ أمرا بالغائها ، والغاء ديوان المواريث وأمر باعطاء الارث الى الاقرباء^(٢) . ثم أعيدت هذه الضريبة واستمرت طيلة القرن الرابع الهجري وكانت موروذا مهما للخزينة .

٢ - ضريبة النقل :

وكانت تجبى على البضائع المنقولة من منطقة الى أخرى برا ونهرا ففي البصرة كانت الضرائب على البضائع المحمولة في السفن والمجلوبة بحرا اليها وتسمى هذه الضرائب بالمكوس وتسمى محلات جبايتها " المراصد"^(٣) وقد بلغت ضرائب السفن القادمة مبلغ ٢٢٥٧٥ دينار^(٤) وبلغ واردها سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م مبلغ ٢٠٠٠٠٠ دينار^(٥) .

(١) الصابي : الوزراء : ص ٢٤٨ .

(٢) ابن الاثير : ج٧ ، ص ٣٣٤ - الذهبي : أول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٤ .

(٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم : ص ٣٩ .

(٤) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٩٥ .

(٥) مسكوية : تجارب الامم : ج٢ ، ص ١٢٩ .

٣ - ضريبة الحوانيت والاسواق :

وكان المهدي أول من فرضها على الاسواق والحوانيت ويذكر أن وارد أسواق الغنم في بغداد وسامراء وواسط والبصرة والكوفة سنة ٣٠٦ هـ ١٦٩٧٥ دينار سنويا (١) . وكان مايقبض من الطواحين في نصيبين والضياح المقبوضة والمشتراه وغللات العقار من الخانات والحمامات والحوانيت والدور ستة عشر ألف دينار وذلك سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م (٢) . مما يدل على ان الحمامات كانت تدفع ضريبة أيضا .

٤ - ضريبة الطواحين :

ففي بغداد كانت الرحى المعروفة برحى المطريق تدر مائة ألف درهم في السنة (٣) . وكان وارد الطواحين في المدينة وغيرها يشكل موردا هاما من موارد بيت المال .

٥ - ضريبة الدور والبنائات :

وكان واردها كثيرا في عهد المقتدر وكانت عبارة عن مستغلات تطلق على الضرائب التي تفرض على الدور والاسواق والطواحين التي بناها الناس على أرض حكومية (٤) . وذكر خرداذبة ان وارد مستغلات بغداد مع دار الضرب بلغ در ١ مليون درهم في سنة ٢٧ هـ / ٨٨٥ م وبلغ وارد مستغلات بغداد حوالي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م (٥) ١٣ ألف دينار في السنه .

-
- (١) الدورى : المرجع السابق : ص ١٩٥ .
 - (٢) ابن حوقل : ص ١٤٣ .
 - (٣) اليعقوبي : البلدان : ص ٢٤٣
 - (٤) الاضطخري : ص ١٥٨ - ابن حوقل : ص ٣٠٣ .
 - (٥) الاضطخري : الممالك والممالك : ص ١٢٥ .

وهناك ضرائب اخرى فرضت على بيع الاغنام والدواب والبقر والخفــسر
والفواكه حتى بلغ الوارد منها في العراق سنة ٣٥٨هـ خمسة آلاف دينار^(١) ، كما فرضت
ضريبة على الخمور ، كما فرضت ضرائب ايضا على بيع الخيول والحمير والجمال
في جميع الاسواق^(٢) .

وفرضت في الدولة الاسلامية ضريبة على المنسوجات الحريرية والقطنية
وفي سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م فرضت ضريبة على الزيت كما فرضت ضريبة كبيرة على
الحنطة^(٣) .

وفي بعض الاحيان كانت تفرض ضريبة على المراعي^(٤) . كما ظهرت فسي
احيان اخرى ضريبة باسم مال الجهبذة . وصفت بأنها بلاء على الناس .

-
- (١) ابن الاثير : ج ٨ ، ص ٥١ .
 - (٢) مسكوية : ج ٢ ، ص ٧٢ .
 - (٣) المصابي : الوزراء : ص ٨٥ .
 - (٤) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم : ص ٧١ - ٧٢ .

الأراضي :-

تعتبر المصدر الرئيسي لحياة الغالبية العظمى للسكان في العصر الراشدي وكانت الضرائب على الأرض وعلى منتوجاتها الزراعية تشكل المورد الأساسي والثابت لخزانة الدولة الإسلامية . ولهذا فإن أى تغيير في طبيعة ملكية الأراضي لابد أن يعطي مع الأيام مردودا يتفق مع هذا التغيير على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي .

وقد انتهج الرسول صلى الله عليه وسلم اتجاهات عامة لمعالجة قضية هذه الأراضي تتلخص فيما يلي :

١ - مصادرة أراضي الأعداء وتقسيمها على المسلمين وذلك لموقفهم من المسلمين المعادي .

٢ - تقسيم الأرض أو غلبتها بين أصحابها وبين المسلمين لأنها فتحت صلحا وبدون قتال .

٣ - إبقاء ملكية الأرض لأصحابها وإقرارهم عليها بعد أن يدفعوا ما عليهم من أموال . وهي التي فتحت عنوة أو صلحا أو بدون قتال .

ولما جاء العهد الراشدي جرى تغيير على الأراضي المفتوحة . فقد تم أول تغيير على يد أبي بكر وذلك عندما وزع صدقات النبي التي اعتبرت فيئاً خالصاً له بين المسلمين . واتخذ الخليفة عمر بن الخطاب عدة إجراءات منها أنه أمر بإجلاء أهل الذمة عن أراضيهم في الجزيرة العربية ومن ثم قسمها بين المسلمين وذلك لأسباب كثيرة^(١) : أما بسبب عبث اليهود وغشهم للمسلمين كما حدث في خيبر حتى قيل إن ابن الخليفة تعرض لأذاهم وقبل بسبب ظهور

(١) انظر فوج البلدان . ص ٤٥ - طبقات ابن سعد ج ٢ ، ص ٢٤٢

الوباء بينهم كما في خيبر (١) ، أو تلبية لوصية الرسول (ص) ان يخرجوا
المشركين من بلاد العرب (٢) أو ان عمر حينما وجد توفر الايدي العاملة
بين المسلمين لم يعد يرى موجبا لبقائهم بين المسلمين مادام المسلمون
قادرون على زراعة الارض واستغلالها بأنفسهم (٣) .

ويختلف نظام الاراضي في صدر الدولة الاسلامية باختلاف حيازة
الاراضي ونوع الضريبة المفروضة عليها وتنقسم هذه الاراضي حسب حيازتها
الى الاقسام التالية :

أ - الاراضي التي فتحت عنوة :

وهي الاراضي التي استولى عليها المسلمون بالقتال وكان دخولها
نتيجة للجهاد المسلح في سبيل الدعوة (٤) .

وأكثر الاراضي التي فتحها المسلمون كانت عنوة : السواد والشام
وبلاد الفرس ومصر وغيرها وهذه الاراضي التي يجبى عنها الخراج وهي الاراضي
التي وضع عليها الخراج عمر (٥) .

-
- (١) فتوح البلدان : ص ٣٧ .
 - (٢) طبقات ابن سعد : ج ٢ ، ص ٢٤٢ - صحيح مسلم ج ١٢٠ ، ص ٦٢ .
 - (٣) الاموال : ص ٥٦ ، ص ٦٨ .
 - (٤) المغني : لابن قدامة : ج ٢ ، ص ٧٠٦ - يوسف القرضاوى : فقه الزكاة ص ٧٠٧
 - (٥) محمد ضياء الرئيس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية
ص ١٢٧ .

ب - الاراضي التي جلى عنها أهلها خوفا :

وتشمل هذه الاراضي جميع الاراضي التي هرب أهلها عنها خوفاً
ابان الفتوحات الاسلامية في صدر الدولة الاسلامية ومنها أراضى كسرى وأهل
بيته وأراضى قياصرة الروم الذين فروا من المعارك . ويكون في حكمها
بقية الصوافي . ومنها أراضى من قتل من المحاربين وأوقاف البريد وغيرها
وقد اصطفاهما عمر بن الخطاب وأصبحت ملكاً للدولة الاسلامية وظلت هكذا
حتى جاء عثمان بن عفان فوزعها على المسلمين (١) .

ج - الاراضي التي استولى عليها المسلمون صلحا :

والمراد بها : الاراضي التي استولى عليها المسلمون بموجب عقد
صلح أى بغير قتال مثل : أرض بني النضير وأرض بني قريظة وفدك ووادي القسرى
وأهل تيماء وتبوك ودومة الجندل ونجران ومجوس هجر وأهل الحيرة (٢) .

د - الاراضي التي أسلم عليها أهلها طوعا :

وهي الاراضي التي استجاب أهلها طوعا لدعوة الاسلام فأمنوا بالله
ربا وبمحمد نبياً ورسولاً وسواء كان ذلك عن طريق دعوة الرسول صلى الله
عليه وسلم ورسله لهؤلاء مباشرة أو عن طريق مقدم هؤلاء الى رسول الله
أو خلفائه مثل المدينة المنورة واليمن والطائف ، جرش ، عمان ، البحرين
اليمامة (٣) . وهذه الاراضي تكون مملوكة لأصحابه وهي أرض عسرية (٤) .

- (١) انظر فتوح البلدان : ص ٢٧٢ - انظر : الزبيدي : الحياة الاجتماعية
والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجرى ، ص ١٤٤ .
- (٢) انظر : فتوح البلدان ص ٤٨، ٧١، ٧٤، ٧٥ محمد الرئيس : الخراج ص ١٠٣ وما بعدها
- (٣) انظر : فتوح البلدان ص ٢١، ٢٢، ٢٩، ٨٧، ٨٨، ٩٧ - انظر محمد الرئيس : الخراج
والنظم المالية ، ص ١٠٠ وما بعدها .
- (٤) الماوردي : ص ١٤٧ - ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ، ج ٢ ، ص ٧٦

هـ - صدقات الرسول صلى الله عليه وسلم : وهي ثمان :

١ - الصدقة الاولى : وهي أول أرض ملكها الرسول وصية مخيريق اليهودي لرسول الله صدقة عليه .

٢ - الصدقة الثانية : أرضه من أموال بني النضير بالمدينة وهي أول أرض أفاءها الله على رسوله .

٣ - الثالثة والرابعة والخامسة : ثلاث حصون من خيبر .

٤ - الصدقة السادسة النصف من فدك ؛ بعد فتح خيبر جاءه أهل فدك فصالحوه على نصف أرضهم ونخلهم .

٥ - الصدقة السابعة : الثلث من أرض وادي القرى لأن ثلثها كان لبني عذرة وثلثها لليهود فصالحهم الرسول على نصفه .

٦ - الصدقة الثامنة : موضع سوق بالمدينة .

و - أرض المسوات :

وهي أرض ليست من مرافق البلد ولا مملوكة لأحد ولاحقا خاصا لسه وكانت خارجة من البلد سواء كانت قريبة منه أو بعيدة (١) وقيل المسوات ما لا ينتفع به من الأراضي لانقطاع الماء عنه أو لقلبه الماء عليه أو ما أشبهه ذلك مما يمنع الزراعة (٢) .

وعند المالكية هي الأرض التي لاعمار فيها ولا يملكها أحد (٣) .

وعند الشافعية : هي كل مال لم يكن عامرا ولا حريما لعامر ، وإن كان

متصلا بعامر (٤) .

(١) محمد حسن يحيى : الأراضي في صدر الاسلام ، ص ٦٩ .

(٢) العبادي : الملكية في الشريعة الإسلامية .

(٣) القوانين الفقهية : ص ٢٢٢ .

(٤) الماوردي : ص ١٧٧ .

وعند الحنابلة : هي أرض الخراب الدارسة تسمى ميته ومواتا وموتانا (١)
ومما سبق يتبين ان هذه التعريفات متشابهة من حيث المعنى واختلف
المبنى والعبرة للمعاني وليس للألفاظ .

ز - الاراضي الموات الواقعة في أرض العنوة أو الصلح أو التي أسلم عليها أهلها
أو من جلوا عنها هربا :

اختلف الفقهاء في نظام هذه الاراضي ، فبعضهم يقول ان هذه الاراضي
تملك بالاجبا وهم فقهاء المسلمين (٢) ودليلهم في ذلك قول الرسول (ص)
" من أحيا أرضا ليست لأحد فهو أحق بها " (٣) .

وفريق آخر يقول : ان الموات في أرض العنوة يكون مملوكا لكافة
المسلمين فلا يملك بالاحياء وهو قول الاوزاعي والثوري (٤) .

ودليلهم في ذلك : ان اناسا جاؤوا بأبكر بعد وفاة الرسول (ص)
وقالوا له : ان بأرضنا رسوما قد كانت ارحاء على عهد أهل عاد . فان أذنبت
لنا حفرنا آبارها وغملناها فأصبنا منها معروفا وانتفع بها الناس فارسل الى عمر
بن الخطاب بعدما كتب لهم كتابا فقال عمر : ان الارض في المسلمين فان رضي
جميع المسلمين بهذا فاعطهم والا فليس أحد أحق بها من أحد وليس لها ————
يأكلوها دونهم (٥) .

وفريق يرى : ان موات الارض اذا قاتل عنه الكفار ولم بحيوه ثم ظهر

-
- (١) محمد حسن يحيى : نظام الاراضي في صدر الاسلام ، ص ٦٩ .
(٢) ابن رجب : الاستخراج ص ٥٩ ، ٦١ - أبو يوسف : الخراج : ص ٥٩ ، ٦٣ .
(٣) أبو عبيد : الاموال : ص ٣٦٣ - وابنص آخر " من عمر أرضا ليست لأحد فهو
أحق بها " - سنن البيهقي ج ٦ ، ص ١٤٢ - ١٤٧ - الشوكاني : نيل الاوطان ج ٥
ص ٣٤٠ .

(٤) ابن رجب : الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ٥٨ ، ٥٩

(٥) المرجع نفسه : ص ٥٩

المسلمون عليه يكون مملوكا للغانميين ولا يجوز تملكه بالاحياء . وهو رأى الشافعية .

ويرى آخرون : ان أرض الصلح اذا صلح أهلها على أن تكون مملوكة لهم وللمسلمين خراجها فلا يملك مواتها بالاحياء وهذا قول الشافعي وأبي يعلى ومن بعده من الحنابلة (١) .

ومما سبق يتبين ان موات الأرض يملك بالاحياء اذا توفرت شروطه وسواء أكانت الأرض عنوة أم أرضا جلى عنها أهلها ، وسواء أكانت أرض صلح أم أرضا أسلم عليها أهلها . وذلك لما استدل به أصحاب هذا القول من أدلة تدل بعمومها على ان موات الأرض يملك بالاحياء دون تفرقة بين أرض وأخرى .

نظام حمى الاراضي :

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم قواعد حمى الاراضي في عهده ثم سار عليها الخلفاء من بعده . والحمى موضوعه أرض السموات . وحمى السموات : هو المنع من احيائه آملاكاً ليكون مستقبلي الاباحه للبت الكلاً ورعي المواشي (٢) .

والحمى ثلاثة أنواع :

١- حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو جائز لنفسه ولصالح المسلمين ولم يحرم الرسول لنفسه وانما حمى للمسلمين ، وحمى النقيع ودليل ذلك ان عمر بن الخطاب قال : حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقيع وهو موضع معروف بالمدينة لخييل المسلمين (٣) .

(١) ابن رجب : ص ٦١ - الشافعي : الام ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٢) الماوردي : ص ١٨٥ - أبويعلی : ص ٢٢٢ .

(٣) أبوعبيد : الاموال : ص ٣٧٦ . وفي رواية النقيع : الماوردي : ص ١٨٥ .

٢ - حمى الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد حمى أبوبكر الصديق بالربذة لأهل الصدقة واستعمل عليه مولاة أبا سلامة . وكذلك فعل عمر بن الخطاب فقد حمى من السرف مثل مناحمه أبوبكر بالربذة ، كما حمى عثمان واشتهر في ذلك الصحابة ولم ينكر عليهم منكر (١) .

٣ - حمى الواحد من أعوام المسلمين : لا يجوز هذا النوع من الحمى وإذا فعل ذلك فحماه مباح للمسلمين لأنه إذا حمى لنفسه فقد تحكم وتعدي ، وإذا حمى للمسلمين فليس هو من أهل الولاية عليهم ولا ممن يؤثر اجتهداهم (٢) . فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة : " لاتمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلاء " (٣) .

و لمسام" لايباح فضل الماء لبيع به الكلاء " (٤) . وللبخاري :
" لاتمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلاء " (٥) .

(١) ابن قدامة : المغني : ج٥ : ص ٥٨١ - محمد حسن يحيى : نظام الاراضي

في صدر الاسلام الدولة الاسلامية ، ص ٨٣ .

(٢) محمد حسن : نظام الاراضي في صدر الدولة الاسلامية : ص ٨٥

(٣) الشوكاني : نيل الاوطان : ج٥ ، ص ٣٤١ .

(٤) الشوكاني : نيل الاوطان : ج٥ ، ص ٣٤١ .

(٥) المصدر نفسه : ج٥ ، ص ٣٤٣ .

نظام الاراضي المسترفق بها :

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم نظام الاراضي المسترفق بها ثم سار عليه الخلفاء من بعده .

والمراد بالارفاق : ارتفاق الناس بمقاعد الاسواق وأفنية الشوارع وحريم الامصار ومنازل الاسفار (١) .
ويقسم الى ثلاثة أقسام :

١ - ما يختص بالصحارى والفلوات . مثل منازل الانصار وحلول المياة .
وحكمه ان لانظر للسلطان له فيه لبعده عنه وضرورة السابلة اليه قال الماوردى " والذي يختص السلطان له من ذلك اصلاح عورته وحفظ مياحه والتخلية بين الناس وبين نزوله " (٢) .
وكذلك يكون السابق الى المنزل أحق بحلولة فيه من المسبوق حتى يرتحل عنه لقول النبي " منى مناخ لمن سبقه " (٣) .

٢ - ما يختص بأفنية الدور والاملاك :
وحكمها ان كان مضرأ بأربابها منع المرتفق منها الا ان يأذنوا بدخول الضرر عليهم فيمكنوا .

٣ - ما اختص بأفنية الشوارع والطرقات :
وحكمه أنه موقوف على نظر السلطان . فهو اما ان يكون نظره مقصور على منعهم من التعدى ومن الاضرار ثم الاصلاح بينهم وليس له ان يجلس واحدا ويمنع آخر والسابق الى المكان أحق به من المسبوق . وأما ان يكون نظره مجتهد

(١) الماوردى : ص ١٨٧ - أبويعلی : ص ٢٢٤ .

(٢) الماوردى : ص ١٨٧

(٣) المناوى : فيض القدير : ج ٦ ، ص ٢٢٤ .

فيما يراه صلاحا في اجلاس من يجلسه ومنع من يمنعه وتقديم من يقدمه
كما يجتهد في أموال بيت المال واقطاع الموات .

الاقطاع :

الاقطاع لغة : مشتقة من أقطع يقطع أى أعطى قطعة ، وأقطعة
قطيعة أى طائفة من أرض الخراج (١) .

والاقطاع اصطلاحا : هو ما يخص به الامام بعض الرعية من الارض
الموات ، فيختص به ويصير أولى باحيائه ممن لم يسبق الى احيائه .

والاقطاع : تسويغ الامام من مال الله شيئا لمن يراه أهلا لذلك
وأكثر ما يستعمل في الارض وهو ان يخرج منها لمن يراه ما يحوزه اما بأن
يملكه اياه فيعمره واما بأن يجعل له غلته مده (٢) .

والاقطاع في الدين الاسلامي شرع للمصلحة تعود على الامة الاسلامية
عموما وعلى الاسلام ذاته بالخير . وذلك بأن يكون المقطع أهلا للاقطاع ، أما
لما يقدم للاسلام من خدمة أو ما يدفع عنه من ضرر فيكون للمؤلفة قلوبهم
ليثبت قلوبهم أو لدفع شرهم أو لمن يقوم بعمل مجيد للاسلام من انفاق في
اصلاح أو تقديم خدمة جماعية (٣) .

لقد حدث الاقطاع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم في عهد

الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من الخلفاء المهديين .

(١) مختار الصحاح : ص ٥٤٣ .

(٢) فتح الباري مع صحيح البخارى : ج ٥ ، ص ٤٧ .

(٣) محمد بن على السمعاني : ملكة الارض في الشريعة الاسلامية : ص ١٦٢ .

ففي المدينة المنورة وضع الرسول (ص) قواعد الاقطاع ثم سار على هذه السنة الخلفاء الراشدون ومن سار على سنتهم .

فقد روى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ان الرسول أقطع الزبير بن العوام بخيبر أرضاً من أموال بني النضير .

وروى ان عمر بن الخطاب أقطع العقيق أجمع للناس حتى جازت قطيعة أرض الزبير فقال أين المستقطعون منذ اليوم فان يكن فيهم خير فتحت قدمي قال خوات ابن جبير اقطعنيه فاقطعه اياه (١) .

واقطع عثمان بن عفان رضي الله عنه لعبدالله بن مسعود في النهريين ولعمار بن ياسر استينا (قرية بالكوفة) واقطع خباباً صفاء ، واقطع سعد ابن مالك قرية هرمزان قال : فكل جار قال : فكان عبدالله بن مسعود وسعد ابن مالك يعطيان أرضهما بالثلث والربع (٢) .

كما أقطع عثمان بن عفان واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان من الأرض التي للمسلمين بعد الفتوح الاسلامية ثم أقطع عبدالملك بن مروان أرض الخراج التي باد أهلها .

واقطع الوليد بن عبدالملك جند انطاكية أرض سلوقية على الساحل وأقطع مسلمة بن عبدالملك قوماً من ربيعة قطائع في انطاكية (٣) .

واقطع مروان بن الحكم قرية زملكا في غوطة دمشق الى حفص بن عمر

الازدي وكتب له كتاباً (٤) ١٠

(١) أبويوسف : الخراج : ص ٦١

(٢) أبويوسف : الخراج : ص ٦٢

(٣) محمد صالح : النظم الاقتصادية في مصر والشام في صدر الاسلام : ص ١٣١

فتوح البلدان : ص ١٥٤ .

(٤) النظم الاقتصادية : ص ١٣٢ .

وفي مصر أقطع عمر بن الخطاب ابن سندر منية الاصبغ ، فحاز منها
لنفسه ألفي فدان ثم اشتراها الاصبغ من عبدالعزيز بن مروان .
وأقطع معاوية بن أبي سفيان عقبة بن عامر قطعة أرض مساحتها
ألف ذراع في ألف ذراع ليسترقق بها عند قرية بمصر (١)
وأقطع عثمان بن عفان في الكوفة مجموعة من الصحابة التابعين وبعض
قادة قريش تقديرا منه لخدماتهم الكبيرة وجهادهم في الاسلام ورغبة منه في
اسكانهم منطقة الكوفة وبذلك يكون عثمان قد خالف القاعدة التي وضعها
عمر بن الخطاب بجعل سواد العراق ملكا لكافة المسلمين .

وينقسم الاقطاع الى ثلاثة أنواع هم :

١ - اقطاع تمليك : وهو أن يعطي الامام من يراه أهلا مواتا يحييه ويتصرف
فيه تصرف المالكين .

٢ - اقطاع الاستغلال : وهو أن يعطي الامام من يراه أهلا مواتا أو عامرا من
الخراج أو من غيره ليستغله وينتفع به بزرع أو غرس أو سكن أو جازاة
ويبقى الأصل للمسلمين سواء أ جعل الامام على المقطع عوض من النتاج
أو كان اقطاع استغلال بلا عون وللامام أن يستروه اذا رأى المصلحة فسي
ذلك أيضا .

ولا يجوز للامام أن يقطع أحدا الا مالم يتعلق به حق ل أحد ومالم يوقع
شحناء بين المسلمين وحكمه جائز لفعل النبي صلى الله عليه وسلم .
وروى أن النبي (ص) أقطع رجلا من الانصار يقال له سليط . وكان يذكر من فضله
أرضا قال فكان يخرج من أرضه تلك فيقيم بها الامام ثم يرجع فيقال له . عند

(١) النظم الاقتصادية : ص ١٣١ - ١٣٢ .

نزل بعدك من القرآن كذا وكذا وقضى الرسول في كذا وكذا قال : " فانطلق
الى رسول الله فقال : يا رسول الله : ان هذه الارض التي اقطعتها قد شملتني
عني فاقبلها مني فلاحاجة لي في شيء قد يشغلني عنك فقبلها النبي منه
فقال الزبير يا رسول الله اقطعها . قال : فأقطعها ايها . (١)
فكان رسول الله قد اقطعه للمصلحة وقبل ردها ايضا للمصلحة .

٣ - اقطاع الارفاق :

ويسمى اقطاع امتاع وانتفاع : وهو ان يقطع الخليفة أو من يقوم
مقامه مكانا يرتفق به دون ان يملك رقبته ويكون أحق به من غيره سواء
نقل صناعته أو لم ينقله . وقد يدخل الارتفاق فيما يسمى الاستغلال لكن
هذا في الغالب يختص بأماكن البيع والشراء في الاسواق وعلى الطرقات
أي انه اقطاع مقاعد السوق والطرق الواسعة ورحاب المساجد التي
للسابق اليها الجلوس .

ويجوز للامام ان يقطعها لمن يجلس فيها لانه في ذلك اجتهادا من
حيث انه لايجوز الجلوس الا من لا يضر بالمادة . فكان الامام يجلس فيها
من لا يرى انه يتضرر بجلوسه ولا يملكها المقطع بذالك بل يكون احق بالجلوس
فيها من غيره بمنزلة السابق اليها من غير اقطاع سواء الا في شيء واحد وهو
أن تقل مناعة عنها فلغيره الجلوس فيها لان استحقاقه لها يسبقه اليها
ومقامه فيها فاذا انتقل عنها زال استحقاقه (٢) .

(١) أبوعبيد : الاموال : ص ٣٨٦ .

(٢) محمد حسن أبويحيى : نظام الاراضي في صدر الاسلام (ندوة مالية الدولة
في صدر الاسلام) .

وأما اقطاع المعادن : فتتمثل في المعادن الظاهرة والباطنة (١)
فأما المعادن الظاهرة : فهي ما كان جواهرها المستودع فيها بـسارزا
كمعادن الملح والقار والنفط . وهذه المعادن لايجوز اقطاعها والناس فيها
سواء . يأخذها من حصل عليها . ووجه ذلك ما أخرجه أبو عبيد عن عمر
ابن يحيى ابن قيس المازني عن أبيه حدثه عن أبيض بن جمال المازني : أنه
استقطع رسول الله الملح الذي بمأرب فقطعه له فلما ولى قيل يا رسول الله
أتدري ما قطعت له ؟ انما اقطعت الماء العذ قال : فرجته منه (٢) .
أي ان الرسول (ص) ارتجعه منه لان الماء شركه بين الناس فلايجوز
اقطاعه .

وأما المعادن الباطنة : فهي ما كان جواهرها مستكنة فيها لا يوصل
اليه الا بالعمل كمعادن الفضة والذهب والحديد والصفير . فالحنا بلـة
لايجيزون اقطاعها كالمعادن الظاهرة وكل الناس فيها شرع (٣) .
وأما الشافعية فان أحد أقوالها تجيز فيه اقطاعها أسوة بما فعله
الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أقطع بلال بن الحارث معادن القبليـة
جلسيها وغوريها (٤) وحيث يصلح الزرع من قدس (٥) ولم يقطعه حتى مسلم (٦)

(١) الماوردي : ص ١٩٧ - ١٩٨ - أبو يعلى : ص ٢٣٥ - ٢٣٦

(٢) الاحكام السلطانية لابي يعلى : ص ٢٢٥ / الهامش .

(٣) هامش الاموال لابي عبيد : ص ٣٥٨ .

(٤) الجلوسي والغوري تأويلان : أحدهما انه أعلاها وأسفلها والثاني ان الجلوسي

بلاد نجد والغوري بلادتها به (الاحكام السلطانية للماوردي ص ١٩٨) .

(٥) قدس : جبل في نجد : هامش الاموال لابي عبيد ص ٣٤٨ (

(٦) هامش الاموال لابي عبيد : ص ٣٤٨ .

وبناء على هذا يقول الماوردي : فعلي ان يكون المقطع أحق بها ولسه
منع الناس منها . وفي حكمه قولان : الاول : انه اقطاع تمليك يصير بسسه
المقطع مالكا برقبته المعدن كسائر أمواله في حالة عمله . وبعد قطعه
يجوز له بيعه في حياته وينتقل الى دور ورثته بعد موته .

والقول الثاني : انه اقطاع ارفاق لا يملك به رقبة المعدن ويملك به
الارتفاق بالعمل مدة مقامه عليه . ونفس الاحداث ينازعه فيه ما أقام على
العمل . فاذا تركه زال حكم الاقطاع عنه وعاد الى حال الاباحه . فاذا أحيا
مواتا باقطاع أو غير اقطاع وظهر فيه معدن ظاهر أو باطن ملكه المحيي

وهناك ضياع الخليفة والاحباس والصوافي . فضياع الخليفة : هي أرض
خاصة للخليفة . فكان لمعاوية ضيعة بالبلقاء ورثها عن أبيه وسليمسان
ابن عبدالملك مزرعة تعرف بالسليمانية . كما كان لهشام بن عبدالملك ضيعة
تعرف بالهنني والمرى نسبة لنهرين حفرهما في الرصافة التي سميت باسمه
وكذلك كانت له ضياع في الاردن (١) .

وأما الاراضي الاحباس : فهي الاراضي المحبوسة لمنفعة طائفة معينة
من المسلمين كالفقراء مثلا . ففي مصر كانت الاحباس في أيدي أهلها
وأحبائهم فوضعت الدولة يدها عليها حفاظا لحق الفقراء وأنشأت ديوانسا
للاحباس وفي الشام : حبس معاوية من أراضي الصوافي التي كانت في يده

(١) محمد صالح : النظم الاقتصادية في مصر والشام في صدر الاسلام : ص ١٣٣ .

على الفقراء . وفي انطاكية وقف مسلمة بن عبد الملك أرضا له بفراس في سبيل الخير وكذلك كان الخليفة عثمان قد وقف سلوان وهي بحلة فسي ربح مدينة القدس على ضعفاء البلاد (١) .

والصوافي : هي الاراضي التي اصطفاه بعض الخلفاء من الاراضي التي قتل أهلها أو هربوا أو من أراض كسرى أو عائلته أو قادته كما سبقنا الإشارة عند الحديث عن الاراضي التي هرب أهلها خوفا من القتل . وكانت في يد معاوية أرض الصوافي التي كان ينفق منها ويخرج عطاياها . وقد اتخذ له عامله على فلسطين من كورة عسقلان بعد ان أمره الخليفة باقامة الضياع له (٢) .

واتخذت القطائع أشكالا مختلفة أهمها :

- خدمة النفع العام : فقد اقطع عمر أقواما يقدمون خدمات عامه للدولة .
- احياء الارض واستصلاحها .
- لمن كان له غناء في الاسلام : وهذه قليلة ولم ترد الا إشارة واحدة لهذا الشكل من القطائع .
- تألف البعض رؤساء القبائل : فقد اقطع عمر قوما من اشراف دمشق كابن يحدل .

- وكشرت القطائع في عهد عمر لغايات السكن فقد اقطع الناس دورا فسي الكوفة والبصرة والمدائن والموصل والحدثية ومدن الشام والفسطاط (٣)

(١) البلاذري فتوح البلدان : ص ٢٧١ - أبو عبيد : الاموال ص ٦١٦ - النظم الاقتصادية في مصر والشام ص ١٣١ .

(٢) النظم الاقتصادية : ص ١٣٣
(٣) فتوح البلدان : ص ١٣٧ ، ٢٧٤ ، ٣٤٧ . الطبري ج ١ ص ٤٥، ٢١، ٢٠ .

وهناك شروط للقطائع استمدتها الفقهاء من خلال الممارسات العملية
في عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين وصاغوها بمعايير فقهية
تمثلت بما يلي :-

- لايجوز للامام ان يقطع ما كان تابعا لبعض القرى كالمراعي والمحتطاب
حيث اعتبرت من حق أهل القرية . والحد الفاصل ان يسمع صوت
الرجل من أدنى الارض المعلوكة له مما لم يسمع صوته فيه فهي
ليست تابعة لقريتهم (١)
- ان الاقطاع لا يكون الا فيما ليس له مالك . ومن عفو البلاد التي لا ملك
لاحد عليها ولاعمارة توجب ملكا لاحد سواء كان ذلك من المسلمين
أو المعاهدين (٢) .
- ان يكون المقطع اليه مسلما : اذ لا يحق احياء الكافر الذي في دار الاسلام لانه
نوع تمليك ينافيه الحربي . فنافاه السلمي كارت من المسلم ولكن
يجوز الاختطاب والاحتشاش (٣) .
- لايجوز اقطاع المال الظاهر العين الحاضر النفع كالشجر والنخيل ويجوز
في الارض البيضاء .
- لايجوز اقطاع ارض الخراج لان رقابها وقف وخراجها أجره . فتمليك الوقف
لايصح باقطاع ولاهبه ولابيع (٤) .
- يرى البعض ان الارض بمنزلة المال فيحق للامام ان يجيز في بيت المال من
(١) القطائع في صدر الاسلام : محمد خربسات : ص ٢٩ / بحث ندوة مالية الدولة
في صدر الاسلام .
- (٢) أبوعبيد : الاموال : ص ٣٩٤ بقدامة بن جعفر : الخراج : ص ٢٠٤
- (٣) الحصني : كفاية الاخبار في حل غاية الاختصار ج ١ ص ٣١٦ / محمد خربسات
ص ١٩٣
- (٤) الماوردي : ص ١٩٣ .

كان له غناء في الاسلام ومن يقوى به على العدو . ويعمل بالذى يرى انه
خير للمسلمين وأصلح لامرهم .
- ان يقوم المقطع اليه بعمارة في الارض فاذا امتنع عن عمارتها كان حكمها
الى الامام .
- تستوفي على القطائع ضرائب كما تستوفي على الارض الاخرى (١)

(١) انظر : أبويوسف : الخراج : ص ١٣ - فتوح البلدان : ص ٨ - الخوارزمي
مناجح العلوم : ص ٣٩ .

الباب الثامن

مميزات الحضارة العربية الاسلامية

مميزات الحضارة العربية الاسلامية ومكانتها

بين الحضارات

الحضارة العربية الاسلامية هي ذلك التراث العربي الضخم للامة العربية والذي أنتجته خلال العصر الذهبي للامة العربية (الاموي + العباسي) ، والذي أصبح عنوان مجدها ، ورمز مدنيّتها ودليلا صادقا على مبادئها الاسلامية التي أمدتها بكل مقومات الحياة الحرة الكريمة .
وأهم ميزات الحضارة العربية الاسلامية :-

أولا : الاصاله :

لغة من أصل وهي أخذ الشيء بأصله . لذا فالاصالة ممتدة في حضارتنا ، وأول دعائها في حضارتنا العربية الاسلامية الفهم الصحيح لعقيدتنا الحقّة ومبادئنا السامية ، وقيمنا الخالدة ، لنحرره من أخلط الثقافات المسمومة ورواسب الغزو الفكري الدخيل ، وحتى يكون عطاؤه حقا خالما ، وعلمنا نافعا ، وابداعا حضاريا في ركب الحق والعدالة والحرية .
وتبدأ الاصاله " التأصيل " لحضارتنا ، بالفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، والاحاطة الشاملة بالاسلام عقيدة وعبادة وتشريعاً وخلقاً . (١)

ولا كتمال الاصاله في حياتنا يجب التفريق في علاقاتنا مع الغرب بين الاشياء والافكار ، والتميز بين المظاهر والحقائق ، ووعي الغايات من خلال الوسائل والحذر من السقوط في أحضان الحضارة الغربية . فهذا مما يفقد الامة العربية أصالتها في الميدان الحضارى .

(١) عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الاسلامية ، ص ١١١ ، ١١٢ .

وتبدو الأصالة العربية واضحة المعالم فيما يلي :

١ - الانتاج العلمي للفكر العربي خلال العصور :

ايجاد نظريات جديدة في الرياضيات : الهندسة ، الجبر ، والمثلثات
والفلك .

وتصحيح وابتكار في الطب : وبخاصة في الادوية ، وطرق العلاج ، وبناء
المستشفيات ، وكليات الطب ، وتدوين المعاجم الطبية ، وكذلك الأمر
بالنسبة للكيمياء والصيدلة والبيطرة والجراحة .

٢ - العلوم الانسانية :

ابتكر العرب المسلمون علوما لم يقتبسوها من غيرهم أمثلتها
علومهم الشرعية كالفقه والحديث ، وعلوم القرآن وعلوم الكلام ، والتاريخ
والجغرافيا ، فقد كان الاسلام السبب الأول في ايجادها .
أما العلوم اللسانية من أدب ونحو وصرف وبلاغة وتاريخ أدب وسير
للشعراء والكتاب ، فقد ولد بالجزيرة ونما مع الاسلام ، فهذه علوم من خصائص
العرب في الجاهلية والاسلام ، يضاف اليهم من نبغ فيهم ومن تحول العربية
الذين دخلوا في الاسلام ودونوا بالعربية .

٣ - الفن العربي في العمارة ، وبناء المدن :

فقد تم بناء العديد من بناء المدن (الكوفة ، البصرة ، الفسطاط
والقيروان ... الخ) والمساجد ، والقصور والجامعات ، مما يدل على
مكانة عالية في فن العمارة والهندسة ، فالقصور المحرورية في الاردن ،
(المشتى ، هشام ، عمره) لا يزال ينطق بعظمة وعراقة فنهم .

٤ - وضع النظم الاسلامية لدولتهم مدة حكمهم :

وهي تؤلف جوانب حضارية مهمة أهمها :

أ - النظم الدينية : وتهدف الى دعم فكرة التوحيد بالعبادة ، والدفاع عن

العقيدة بالجهاد ، وتأسيس المساجد والمدارس ، ونشر القرآن وعلومه
والسنه .

ب - النظم المالية والاقتصادية : وترمي الى ايجاد موارد ثابتة للدولة للانفاق

باستمرار على المشروعات الاجتماعية والعلمية والدينية والمصالح العامة
كالضمان والمرض والجهل ، والجهاد في سبيل الله .

ج - النظم الثقافية : وتهدف الى نشر العلم ، وبث الفضيلة والاخلاق وانشاء

دور العلم والمعاهد والمساجد، والعناية بأهل العلم بصرف النظر عن
أديانهم ومذاهبهم .

د - النظم العسكرية : والغرض منها توفير السلام ودفع أذى الحرب بايجاد

قواعد للسلم والحرب واحترام الاسلام والمعاهدات والمواثيق .

هـ - النظم الادارية : والهدف منها ادارة الدولة العربية والبلاد الاسلامية

بواسطة الولاة والدواوين ، والمؤسسات الادارية المختلفة ، كالبريد
والحسبة والشرطة .

و - النظم القضائية : ويراد بها البحث في أحوال القضاء واستقلالهم عن

الولاة ، واستحداث منصب قاضي القضاة في الدولة .

ز - النظم السياسية : وهي قواعد الحكم في البلاد الاسلامية ، وتشمل نظام

الخلافة ، وطريقة الانتخاب ، والوراثة ، والوزارة ، والحجابه ، والعلاقات
الدبلوماسية بين العرب في حالة السلم والحرب مع غيرهم .

ج - النظم الاجتماعية : وتظهر فيها القواعد العامة التي وضعها الاسلام للمحافظة على الافراد، ورفع مستواهم في المأكل والمشرب ، والعناية بهم صحيا وخلقيا وثقافيا .

٤ - تكريم الاسلام للانسانية بانقاذه البشرية من الرق والعبودية والضلال وغرس الفضيلة والكرامة والعزة والكرامة في النفوس ، وبث الحرية والعدالة الاجتماعية والاخاء والمساواة بين الناس :

قال تعالى : " ونزعنا ما في قلوبهم من غل اخوانا على سبيل متقابلين " (١) .
وقوله تعالى : " ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم " (٢)
٥ - التوازن في النظرة الشاملة الى الدنيا والدين : ان من مقومات الحضارة العربية نظرية الاصولية الشمولية المتوازنة بين الدين والدنيا ، فقد نظر الاسلام الى المادة والروح أو العلم والدين على أنهما أمران متلازمان لا يفترقان ، فجمع بين مطالب الدنيا والآخرة ، فدعا الانسان الى ان يعمل في الحياة الدنيا ويستفيد من طيباتها وخيراتها ، وأن يتزود فيها للآخرة من التقوى والعمل الصالح . (٣) قال تعالى : " وتزودوا ، فان خير الزاد التقوى " (٤) .

وقال : " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا " (٥) .

(١) سورة الحجر : آيه ٤٧ .

(٢) سورة الحشر : آيه ١٠ .

(٣) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية : ص ١٦٢ - ١٦٧ .

(٤) سورة القصص : آيه ٧٧ .

(٥) سورة البقرة : آيه ١٩٧ .

ثانيا : الشمول :

وهو من طبيعة الحضارة العربية الاسلامية ومميزاتها ، وقد يكون هذا (أي الشمول) من مدنية العرب قبل الاسلام ، ومن جوهر عقيدة الاسلام ، ومن مقتبسات المسلمين من حضارات الأمم الأخرى ، وقد قام العرب بافراغ هذا المزيج في قالب خاص تمثلت فيه النزعة العلمية والميل الي البحث والاستقصاء ، وتمثل فيما بعد في الابتكار والابداع والتجديد لا التقليد والجمود . (١)

ولاشك أن الاسلام قد أوجد العلوم الشرعية كعلوم القرآن ، والحديث والفقه ، وعلم الخلاف ، وهو الفقه المقارن ، وهذه العلوم لم تسبقهم اليها أمة من قبل . فهم ابتدعوا الكثير في المجالات العلمية الأخرى : الطبيعية ، والطبية ، والرياضية ، والفلكية ، والكيميائية ، والفنون والآداب ، وأنتجوا بحوثا في العلوم الانسانية واللسانية تمتاز بطابعهم الخاص وعقليتهم الفذة ، وذهنيتهم الوقادة ، وكلها حضارة أصيلة ، وتم توجيهها لخدمة البشرية واسعادها ، وقد فاقت الحضارة العربية جميع الحضارات التي سبقتها ، وأثرت في الشرق والغرب ، وأثرت في أوروبا علما ومعرفة وثقافة .

وقد عنيت الحضارة العربية بالانسان ، واعتبرته كائنا محترماً ، بل انه سيد الكائنات جميعها ، وأغلاها وأعظمها ، وأن مافي الكون من أجزاء وتفصيلات ومركبات مسخر أصلا للانسان لينتفع به وبمحتوياته فيما يحقق له الخير والراحة والسعادة . قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَابِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ

(١) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص ١٧٤ .

(١)

بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

لقد رعت الحضارة العربية الانسان من المهد الى اللحد ، فوضعت القواعد لتربيته وتنشئة وتوجيهه ليكون عنصرا نافعا في الحياة ، وعنى بتثقيفه وتعليمه مكارم الأخلاق في الكتاب والمسجد والمدرسة والجامعة ، وأشرفت على تأديبه وعلى تصرفاته في المجتمع حتى في المخاطبة ، والجلوس وأثناء تناول الطعام والشراب والملبس والمسكن .

والدولة ترعى وتتكفل المواطن ذكرا أم أنثى بحمايته ورعايته والمحافضة على روحه وماله وعرضه وحرية : وبذلك شملت الرعاية النواحي الدينية والسلوكية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية الجنائية والمدنية والعسكرية والعلاقات الدولية والأنظمة المالية الى العناية بالروح والجسد والعقل والدفاع عن النفس والعقيدة الى ازالة الأذى عن الطريق والتوفيق بين الدنيا والآخرة .

وقد وفق فلاسفة المسلمين بين الدين والأخلاق من جهة والعلم من جهة أخرى ، وأعتبروا الدين والدولة متلازمان لا ينفصلان عن بعضهما ، وبذلك بلغت الحضارة العربية أعلى المراتب بتوحيدها بين الدين والدولة ، وتلك هي رسالة الاسلام ، وأول من فعل ذلك رسول الله (ص) .

ومن شمولية الحضارة العربية عنايتها وتهذيبها للعقل، فهي تنظر للعقل الإنساني أساس التفكير وعماد الحياة ومركز الكون ، فالفكر العربي في الحضارة العربية يمثل جميع من كتب ودون باللغة العربية وتكلمهم بها دون النظر الى لونه أو أصله، فالعربية كما يقول الرسول (ص) " ليست بأب ولا أم انما العربية اللسان " (٢) .

(١) سورة ابراهيم ، آية ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص ١٧٦ .

وشمولية الحضارة هي شمولية الاسلام الذي يتناول بتشريعاته وقوانينه الحياة بما فيها من عبادة ، وجهاد ، وأعمال بر لخدمة الانسانية ، وطلب علم وحث على العمل وسعي في طلب الرزق وما الى ذلك دون كلل ولا ملل .

ثالثا : - التسامح : -

التسامح في اللغة مصدر سامح اذا أبدى السماحة ، فهي صيغة التفاعل ، والمراد بها المبالغة في الفعل ، وأصل السماحة السهولة فهي المخالطة والمعاشرة وهي لين في الطبع^(١) . قال رسول الله (ص) : رحم الله رجلا سمحا اذا باع ، سمحا اذا اشترى ، سمحا اذا اقتضى " .

والتسامح من أهم مميزات الحضارة العربية أنها تهدف الى احترام الانسان في العالم ، لان رسالة الاسلام التي بشر بها الرسول (ص) وحملها العرب الى العالم كافة تتمثل فيها النزعة الانسانية القائمة على التسامح ، وهي ثابتة بوضوح في الكتاب والسنة وأعمال الصحابة والخلفاء وأولى الأمر من المسلمين .

والتسامح وما يرافقه من النزعة الانسانية ، لم يكن دخيلا على الحرب والمسلمين وانما هو نزعة أصيلة في العرب ، ورسالة خاصة أوصاها اليهم القرآن الكريم ، وسنة الرسول (ص) ، وتمثل بها المسلمون الأوائل فأصبحت جزءا من مكوناتهم ، وبشروا بها في كل مكان ، وتأثرت بها الأمم ونهلت منها الشعوب الأخرى .

واذا تفحصنا القرآن الكريم سنجد كلمات كثيرة وألفاظ عديدة لا تخص العرب والمسلمين وحدهم بل هي عامة : بني آدم ، الناس ، العالمين الإنسان

العبار ، .
(١) محمد الطاهر عاشور : أصول النظام الاجتماعي في الاسلام ، ص ٢٢٦

فالا سلام يساوى في المخاطبة : قال تعالى (﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لُبَاسًا

يُؤَرِّى سَوَاءً تِكُمْ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ (٢)

وقد جاء ذكر الانسان ومشتقاته في ٧٣ آيه ، وذكر الأنس في ١٨ آيه ،
وذكر العالمين في ٧٣ آيه والخلق والعبادات في أكثر من ١٠٠ آية، وكلمة الناس
٢٤١ مره وهذا يوضح عن نظرة الاسلام الى الانسان دون النظر الى دينه أو لونه
أو ثروته أو جنسه .

ويتجلى التسامح في حضارة الاسلام في تحديد الاسلام عقوبة الاعدام
للانسان بجريمة واحدة هي جريمة القتل العمد ، وقد جعل القرآن لولي
المقتول حق التسامح أو عدمه ، ولكن على ألا يسرف في القتل .

ويظهر سمو الحضارة العربية وعنايتها في التشريعات الرائعة
: فيسمح الاسلام للمسلم زيارة قبر حمية المشرك (٣) ، والصلاة على ما وجد
من المسلم ولو انه ظفر أو شعر ، ويغسل ويكفن ، وان وجد عضوا آخر ، غسل
وكفن ودفن ثانية . (٤)

وتسامح الاسلام بالصلاة على كل مسلم برا أو فاجرا ، مقتول في حـد
أو في بغى ، وحتى على المبتدع ما لم يبلغ الكفر ، وعلى من قتل نفسه ،
أو غيره ، فطالما يقول " لا اله الا الله ، فهو في أشد الحاجة الى الصلاة

(١) الاعراف : آيه : ٢٦

(٢) سورة الاعراف : آيه : ٣١

(٣) ابن حزم : المحلى ، ج ، ص ١٥٩ - ١٦٠

(٤) ابن حزم : المحلى ، ج ، باب الجنائز

والدعاء (١)

وهل هناك أكثر تسامحا وحنانا ورحمة وحباً من قول النبي (ص) " الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم اليه ، أنفعهم لعياله " .
ومن أقوال النبي (ص) : " أفضل الصدقة اصلاح ذات البين " ورأس العقل بعد الدين ، التودد الى الناس ، واصطناع المعروف الى كل بار وفاجس " و : " أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك " و " بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم ، والحج والعمرة والجهاد في سبيل " .

و " بر أمك وأباك واختاك وأخاك ثم أدناك فأدناك " وقال رجل من بني سلمة : " يا رسول الله هل بقي عليّ من برّ أبوي شيء أبرهما بعد وفاتهما قال : " نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وأنفاذ عهدهما ، واكـرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما " . (٢)

فهل هناك تسامح أكثر مما قدّمته الحضارة العربية الاسلامية الى الشعوب كافة ومما أوجدته من مبادئ وقيم سلوكية عامة ، فقد رسخت نزعة التسامح وأقامتها على أسس ثابتة من الايمان الصحيح والاستقامة ، مما جعلت الأمم التي خضعت لحكمهم ، تندمج في حضارتهم ، وترضى به ، على الرغم مما حاوله الشعوبيون من تجريدهم من كل فضل على البشرية ، وبسبب المبادئ العربية والافكار الهدامة التي تهدم أسس هذه الحضارة العربية ، وتعمل على التفريق بين العرب وغيرهم من المسلمين كما تعمل على افساد التعاليم الاسلامية وتجريدها من قيمها الروحية والأخلاقية .

(١) المصدر نفسه : ص ١٦٩ - ١٧١ .

(٢) راجع الغزالي : احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ .

رابعاً : الوجدانية : الاسلام ، العروبة

عزة العروبة بالاسلام ، وعزة الاسلام بالعرب

بعد أن أسلم العرب ، اعتز العرب باسلامهم ، فأصبح الاسلام المبدأ الشامل للعرب والرسالة العظمى لهم التي نشرها بلسان عربي مبين ، وقد مكّن الاسلام العرب من فرض احترامهم على العالم ، وغدا الاسلام هو الحرية والاخاء والمساواة والمثل السامية ، التي بشر بها العرب المسلمون ، لانقاذ البشرية من الضلال والعبودية ، وتطهير الانسان من ادران عبادة الاشخاص والاجرام السماوية ومظاهر الطبيعة . . ورفعته الى الدرجة التي تليق بالانسان أن يتبوأها كإنسان عاقل مفكر .

والعرب والاسلام توأمان ، لذلك لا غرابة اذا وجدنا عدم التفريق بينهما ، لان الدور الأساسي في الحضارة العربية كان للعرب ، أما الشعوب الاسلامية التي دخلت في الاسلام فلم يكن لأكثرها حضارة ، والبعض الآخر انهارت حضارتها أمام حضارة العرب كالحضارة الفرعونية والعراقية والفارسية ، والاغريقية وغيرها ، وغدت حضارتها أطلالاً دارسة لا يعنى بها سوى علماء الآثار والمنقبين ، وأصبحت أديانها ولغاتها وفنونها ذكريات تاريخية ، بينما الأمة العربية لا تزال حية ، ولها مكانتها على الرغم من تفرقها في الاقطار العربية .

والحضارة العربية لا تزال قائمة لأنها تعتمد على الاسلام ، وتستند الى لغة القرآن ، اللغة العربية ، التي اليها يرجع الفضل الأكبر في وحدة الأقطار العربية كافة ، والعرب أنفسهم ، ووحدة ثقافتهم .

والحضارة العربية تعتمد على العرب الذين أخذوا يسعون لاسترداد أمجاد الاسلام القديمة ، ومكانته بين الأمم ، واذا أضفنا وحدة الدين والدينا

في الحضارة العربية ، وصبغ وكسا التشريعات الدنيوية ثوبا دينيا من اقتصاد وثقافة وفنون وتربية ، نجد ان الأمة العربية تأخذ طريقها نحو المجد .

وعاش العربي في عزة ومنعة بين قبيلته وفي مجتمعه قبل الاسلام ولما جاء الاسلام أعز اتباعه ، وجعل للمسلم حرمة وكرامة لم تكن لهم من قبل ، فقد غير الله ما شاء من أحوالهم ورفع من شاء منهم بعد الذل التي أصابتهم على أيدي الساسانيين والفرس والبيزنطيين في فترات سبقت الاسلام . وأعز الله العرب المسلمين فقلب الموازين ، فجعلهم سادة في الفرس وبيزنطة .

وقد عرف الرسول (ص) عزّة العرب وأنفتهم ، فكان لا يؤلّي - بوجه عام - اماما على قبيلة عربية الا منها لنفور طباع العرب من يتقدم على القبيلة أحد من غير أهلها . وسار على هذا النهج الخلفاء والولاة بعد الرسول (ص) ، في المحافظة على كرامة العربي المسلم وحرمة ، لان عزّة الفرد من عزّة الأمة .

فالحضارة العربية في الاسلام تمثل عزّة السلطان ، وعزّة العقيـدة وعزّة الأمة ولعل من صور العزة :

ماكتبه أبو بكر الى الأمراء الأجناد الذين أرسلهم لمحاربة المرتدين : ان يرفقوا بهم في السير والمنزل ويتفقدوهم ، ويستوصوا بهم في حسن الصحبة ولين القول .

وقد بذل عمر بن الخطاب جهده لتكون للعرب حرمة وكرامة، فكان يخاطب الناس : أيها الناس ، اني لم أبعث عمالي عليكم لتصيبوا من أبشاركم (١) (١) الابشار : البشرة : وهي ظاهرة جلد الانسان .

ولا من أموالكم ، وانما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم ، فمن فعل به غير ذلك فليقم " ثم يعود فيؤدب الرجال لئلا يداخلهم غرور فيذلوا الأمة • وكان يقول لعماله : " انما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل ، ولا تجلدوا العرب فتذلوهم ، ولا تجمروها ^(١) فتفتنوها • وكتب عمر الى أبي موسى الأشعري : " عد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح لهم بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل مثلهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا • وقد وعى الولاة توجيهات الخلفاء ، فاعتنوا باخوانهم من العرب واعتزوا بهم ، وكانوا لا يفرطون في أحد منهم •

خامسا : التفاعل الحضارى بين التراث العربى والتراث الانسانى وبين

النزعة العلمية والعقلية : -

ويتم ذلك باستيعاب الحضارات مع حضارة الأمة الأصيلة وتقديم الحضارة الجديدة بثوب جديد فيه الأصالة المتفاعلة مع الحضارات السابقة •

ويتم ذلك على مراحل : -

- ١ - وعي الحضارة الأصيلة بعمق •
- ٢ - نقل وترجمة حضارات الأمم الأخرى •
- ٣ - قبول ما يتناسب مع الحضارة الأصيلة
- ٤ - شرح وتعليق على الحضارات السابقة •
- ٥ - مزج الحضارات والخروج بحضارة واحدة جديدة •

عرف العرب قبل الاسلام شيئا ، من النقل ، فقد كانت وفود العرب

تفد الى بلاد فارس والى بلاد الشام ، فتنتقل مما نرى ولو شفوى على الأقل •

(١) تجمروها : تؤخروها في دار الحرب •

وقد اجتاحت الأسكندر بلادنا (٣٣٣ - ٣٢٣ ق.م) انتشرت الثقافة الهيلينية في بلاد الشام ومصر والعراق وفارس ، ونشأت المدارس الفلسفية في فارس ؛ في جنديسابور للطب حيث تعلم فيها الحارث بن كلدة ، وابنه النضر . واهتم السريان بالمنطق وعلم النفس وعلم ما وراء الطبيعة ، فنقلوا كتب أرسطو ، ونقل الشروح عليها . والغالب أن نقول السريان لم تكن سوى ملخصات لكتب فلاسفة اليونان والشروح لتلك الكتب في الأكثر ، كما أن النقل لم يكن يخلو من الأخطاء ، والحذف والتبديل في المعاني^(١) .

ولعل بواعث النقل للغة العربية كثيرة أهمها :

١ - احتكاك العرب بغيرهم من الأمم ، فقد أدرك العرب أهمية ثقافة الأمم وضرورة الاقتادة منها .

٢ - حاجة العرب الى علوم ليست عندهم ، فقد جاء الاسلام بفرائض الصيام والصلاة والحج وهذه تحتاج الى حساب وتقويم مما دعا المسلمين الى نقل كتب الرياضيات والفلك خاصة ، ثم احتاجوا الى الطب في أول أمرهم ، لان الطب العربي كان مبنيا على الاختبار وحده العلم والاختبار معا ، وكان يصيب أحيانا ، الا ان المعالجة به لم تكن دائما ذات نتائج سريعة .

٣ - حث القرآن الكريم على التفكير : فهناك العديد من الآيات التي تحث على التفكير في خلق السموات والأرض وفي تركيب جسم الانسان ، هذا بالاضافة الى رغبة الانسان الطبيعية في البحث عن المجهول .

ان حث القرآن للمسلمين على التفكير كان باعذا قويا على طلب

العلم ، وأحد أساليبها هو النقل .

(١) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١١١ - ١١٢

٤ - العلم من توابع ازدهار المدنية ، فعندما تزدهر البلاد سياسيا واقتصاديا ويكثر فيها الترف تتجه النفوس الى البحث العلمي والى التفكير ، ولم يشذ العرب عن الأمم ، فعندما اتسعت دولتهم واستقرت ، شعروا بحاجتهم الى ما عند الأمم من العلوم ، فنقلت كتب الفلسفة الى اللغة العربية .

وقد بدأ النقل منذ العصر الأموي، فهم يذكرون أن خالد بن يزيد بن معاوية (المتوفي سنة ٨ هـ / ٧٠٤ م) ، لما يئس من الخلافة انقلب الى العلم ودرس الكيمياء على يد راهب اسكندراني اسمه مريانوس^(١) وترجم عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ - ٧٢٩ م) كتاب السلوك من الفارسية الى العربية في عهد أبي جعفر المنصور . ومنذ هذا العهد أصبح النقل في رعاية الدولة ، وعلى ذلك سار هارون الرشيد وولده المأمون فاتسعت حركة النقل^(٢) .

نقل العرب كتاب بطليموس الفلكي المعروف باسم المجسطي ، ثم حققوه ونفذوه ، وترجموا كتاب اقليدس الهندسي " الأصول " ونال عناية العرب تحقيقا وتحريرا ونقدا ، وحلالمسائله وتماريناته ، وكذلك كتاب جالينوس في الطب الذي كان مرجعا للعلماء العرب ينهلون منه^(٣) .

هكذا نقل العرب أسس علمهم عن الشعوب التي سبقتهم ، فنقلوا التراث الاغريقي الى اللغة العربية ثم أضافوا اليه وزادوا عليه ، وتميزت كتابتهم بالسهولة والوضوح والاحاطة والشمول الى جانب ابتكاراتهم العلمية

(١) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص ، ٢٧١

(٢) المرجع نفسه ، ص ، ٢٧٢

(٣) عبد الحلیم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في مقدمة ١١

لقد امتزج علم التأصيل عند العرب مع العلوم الحديثة التسيي
ترجمها العرب ، وبفضل العقلية التي تميز بهم العرب فقد قدّموا تراثا
كبييرا في سجل الحضارة الانسانية .

فقد نقل العرب نظام الترقيم الى أوروبا والخوارزمي أول من استعمل
الأرقام الهندية في مؤلفاته ، وهو أول من ألف في علم الجبر وهو واضح هذا
العلم الى جانب علم الحساب ، وقد توصل العرب الى حل معادلات من الدرجة
الثالثة ووضعوا أسس الهندسة التحليلية ومهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات
والتفاضل والتكامل وعرفوا المتواليات العددية والهندسية ولهم بحوث في
النسبة العددية والهندسية والتأليفية (١) .

والعرب بفضل التفاعل العلمي توصلوا ووضعوا أزياجا وعملوا أرصادا
وأقاموا المراصد وسجلوا أرصادات ، وعرفوا محيط الأرض ، وقدروا أبعاد
النجوم ، والكواكب ، وقالوا باستدارة الأرض وحسبوا طول السنة الشمسية
ورصدوا الاعتدالين وكتبوا عن البقع الشمسية وعن الكسوف والخسوف ، ووضعوا
أسماء كثير من الكواكب والكوكبات .

وأضاف علماء العرب في الطب والتشريح والكيمياء والمعادن والحيوان
المثبات من الآراء النظرية :

فقد قالوا بالتطور قبل دارون ، وفي الجاذبية قبل نيوتن ، وفي انكسار
الضوء (الحسن بن الهيثم) قبل ديكرات ، وفي الدورة الدموية (ابن النفيس)
قبل هارفي .

وقال العرب بمنهج البحث العلمي القائم على التجربة ثم المشاهدة
ثم الاختبار ثم النتيجة وهذا ما قال به بيكون (٢) .

(١) انظر قدرى طوقان : تراث العرب العلمي (في الرياضيات)

(٢) عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، ص ١٥ - ١٧ .

وهكذا مهد التفاعل الطريق الى التقدم الحضارى العربى بحيث
أصبحت الحضارة العربية المثال والملاذ الذى يحتذى به ، وكانت اللغة
العربية هي لغة العلم في العصور الوسطى .

سادسا : الحيوية : -

والحضارة العربية قوية حيويتها ، عربية في بيئتها ولغتها ودينها
وعقليتها وطرز تفكيرها وفي كثير من عناصرها ومبتكراتها ، والدور
الرئيسي كان للعرب باعتبارهم أبدعوا في العلوم والآداب ، وابتكروا ألوانا
من المكتشفات العلمية القيمة في العلوم الرياضية والطبيعية ، وضروبا من
النظم الاقتصادية والمالية والسياسية .

وتناولت حيوية الحضارة العربية البحث حتى الأمور النفسية
والجنسية منها ، والفرض من ذلك ، التسامي بالانسان والارتفاع به الى أعلى
درجات التقدم والرقى ، وان هذه الحضارة قد أثرت بالتالي في المدنية
العالمية ، وفي نقل تراث الأمم القديمة ، وكان لها أثر فاعل في الشرق
العربي ، كما كانت من عوامل النهضة الأوروبية الحديثة ، فالنهضة الأوربية
مدينة الى العرب كما يقول غوستاف لوبون .

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم ، أعطت الاسلام صفة الحيوية
المستمرة . قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلِنَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ
مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

(١) سورة آل عمران آية ٢٩ .

(٢) سورة لقمان ، آية ٢٧ .

ويستنكر الله جل جلاله في القرآن الكريم خلود الانسان الى الحياة الدنيا والاطمئنان اليها ونسوا الحياة الآخرة، فلهم النار : قال تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَيْنَا غَافِلُونَ ﴾
(١) أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿

ويرى البعض في عقيد القضاء والقدر أنها تمثل الكسل والتواكل باعتبار أن المسلم يتطلع دوما لما يأتي به الغيب ، والمراد بما في القرآن أن كل شيء يجري بحسبان وعلى سنن ونواميس كونية معلومة ، وأنظمة محكمة ، وهي في غاية الحيوية لأنها تحت الناس على معرفتها لان الناس غير مجبرين على اتباع طريق بعينه كما يتبين ذلك من الآيات الآتية :
﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ ﴾
(٢) وقال تعالى :

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ۚ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾
(٣) وقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾
(٤)

وبعد أن بانست السبل للناس بعد توضيحها من قبل الرسل ، فالانسان هو صاحب الخيار في الاختيار أحد الطريقين ، وبخار أحد السبيلين ، فهو يعمل بمشيئته واختياره وارادته ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا نَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾
(٥)

(١) سورة يونس : آيه ٧ ، ٨

(٢) المؤمنون : آيد ١٨

(٣) سورة الرعد : آيه ٨

(٤) سورة الفرقان آيه ٢

(٥) سورة الانسان آيه ٣

وقال تعالى ، ﴿ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ يَوْمَئِذٍ أَثَارٌ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمَلِ ﴾ (٢)

وبناءً على ما تقدم ، فالقدر في الاسلام يدل على الحيوية التي تنبض
بها الحضارة العربية الاسلامية ، فهو يخلق في الانسان الشجاعة وعدم الخوف
من الموت أو المرض أو الفقر ويدفع بالانسان ليعمل بقوة وشجاعة وينظر
الى الحياة نظرة المتفائل المطمئن (٣)

(١) سورة الشورى : آيه ٢٠

(٢) سورة فصلت : آيه ، ٤٦

(٣) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص ، ١٦٨ - ١٧٣ .

الباب التاسع

أثر الحضارة العربية الإسلامية على
حضارة الغرب

- مراكز انتقال الحضارة

- مقلبه

الأندلس

التجارة

البعثات العلمية

مراكز انتقال الحضارة العربية الاسلامية الى الغرب

انتقلت الحضارة العربية الاسلامية الى الغرب بأساليب وطرق كثيرة ، لكن هناك مراكز اشعاع حضارية تفاعلت فيها الحضارة ومنها انتقلت الى أوروبا حيث كانت صاحبة دور فاعل في تقبل وتأسيس حضارة غربية وأهم هذه المراكز :

أولا : صقلية :-

نزل حبيب بن أبي عبيدة ، حفيد عقبة فاتح افريقية سنة ١٢٢ هـ أرض صقلية ومعه أبنة عبد الرحمن وفي نيته فتح الجزيرة كلها ، غير أن قيام ميسرة السقاء بثورة في أفريقية اضطرة الى العودة وأحبط سعيه فحوّلت جيودهم عن صقلية ، مما أدى الى تنبيه الروم لمكانة الجزيرة وجعلها قاعدة حصينة . (١)

واستعان أحد أهالي صقلية وأسمه فيمي ببني الأغلب ، وكان قد ناز على قسطنطين بطريق صقلية ، ولكن كيف لوالي افريقيا زيادة الله أن ينقض الملح مع الجزيرة ؟ فجمع وجوه أهل القيروان وفيهم أسد بن الفرات وسحنون الفقيه ولم يجد مخرجا الا عندما علم بأن لديهم أسرى من المسلمين وهذا مخالف للملح ، فجهز اسطولا قوامه مائة مركب بقيادة أسد بن الفرات وأقلع من سوسة في شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ ، وتتفق المصادر بأن الجيش كان مكونا من أشرف العرب والجنود وأهل العلم والبصائر (٢) ، ولم يرتح أسد لاشتراك قبمي وأصحابه معه في القتال فأمرهم أن يعتزلوا المسلمين (٣) . وتمكنوا الحملة من الاستيلاء على عدة حصون ، لكن الوساى نفسى بين المسلمين

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ، ص ٨٩ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب في تاريخ أخبار الاندلس والمغرب . ص ٣٥٥
(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ، ص ١٣٧

ولما رأى المسلمون شدة الوباء . رحلوا الى بلادهم .

ان فتح صقلية كان عنادا مستمدا من القوة النفسية التي خرج معها أسد فاتحا أكثر من كونه سعيًا وراء غنيمة أو كسب (١) ، ولما أصبح في مقدور زيادة الله أن يمددهم بالجند فتحوا بلرم سنة ٢١٦هـ ، وقد فتحت الجزيرة وبقيت المنطقة الشرقية غير معترفة تماما لسلطان المسلمين الى آخر أيامهم (سنة ٣٥١هـ) في الجزيرة ووجهوا همهم الى الفتح في جنوب ايطاليا والى صد الروم عن النجاح محاولتهم للاستيلاء على الجزيرة .

وعندما فتحت صقلية الاسلامية عين أسد بن الفرات واليا وقاضيا ، ثم أصبح الوالي والقاضي شخصيتين متميزتين ، والمعتقد أن الصبغة الادارية في الجماعة كانت تزاوُل مهمتها ، فكثيرا ما كان الجيش ينتخب الوالي دون ان ينتظر مجيء وال جديد من افريقيا . (٢)

وكانت الوظائف الحكومية ينهض بها أصحابها ، فللقضاء كتبة ودار خاصة في بلرم منذ عهد مبكر ، وهناك الدواوين المتعددة ، (ديوان الخمس والصناعة ، والخاصة ، والانشاء) .

وأهل هذه الدواوين ديوان الانشاء الذي كان لا يتولاه الا أجل الكتاب ملائمة وعلاقته بالوالي متينة ومن أصحابه في صقلية : ابن الطوبي ، وابن الوداني وغيرهما . (٣)

والفتح العربي خط قوى عميق يكاد يفصل بين صقلية في كل ما عرفت من حضارات وبين صقلية الاسلامية ، لانه الحركة الخارجية التي استطاعت ان تقر النظم الاجتماعية وتبسط على الجزيرة قيما جديدة ودينا جديدا ، وكان لهذا أثره في الهيئة الاجتماعية الاصلية في الثقافة وفي الحياة العمرانية . (٤)

(١) احسان عباس : العرب في صقلية ، ص ٣٥

(٢) المرجع نفسه : ص ٥٠

(٣) المقرئزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٤) احسان عباس : العرب في صقلية : ص ٦١ .

وقد قام علماء صقلية فانتجوا انتاجا متنوعا بالفقه والحديث واللغة والطب والهندسة والنجوم قد تأخر الى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ووجدنا النبات العلمي قد نما في صقلية وأثمر في الخارج .

ومن أهم الشخصيات العلمية في صقلية في زمن ابن حوقل (٣٦٥-٣٩٥هـ) ابن أبي خرسان في النحو والقراءات ، وعلي بن حمزة في اللغة والشعر ، والبرادعي في الفقه المالكي ، ومحمد بن الحسين المروزي (٢٩٣هـ) (وفي القرن الرابع أبو عبد الله محمد عيسى بن مطر والسمنطاري (١) .

وفي العهد النورماني مضت صقلية تستورد الكتب من الخارج فاستحضرت الكتب الجغرافية المؤلفة بالعربية أو المترجمة مثل كتاب العجائب للمسعودي وكتاب الجيهاني وابن خرداذبة ، والعذري واليعقوبي ، وابن المنجم وغيرهم وترجمت هذه الكتب في عهد الملك غليالم الاول .

ويعود الفضل في هذه النهضة العلمية الى التشجيع الذي كان يقوم به الملك ورجاله نحو العلماء ، فكانوا يقدقون الاموال ويكتنفونهم بالاحترام ويرفعون مراكزهم الاجتماعية في الوظائف واللقاب لاغرائهم بالتقدم الى صقلية ويرى الصفدي أن الملك روجر كان محبا لاهل العلوم الفلسفية (٢) وان الادريسي كان يجيئ اليه راكبا بغله فاذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيجلسان معا . (٣) وكذلك كان ابنه غليالم الاول وابنه غليالم الثاني فقد وصفه ابن جبير - " وله اطباء والمنجمون وهو كثير الاعتناء بهم ، شديد الحرص عليهم ، حتى أنه متى ذكر ان طبيبا أو منجما اجتاز ببلده ، أمر بامساكه ، وأدر لـه أرزاق معيشتة حتى يسلبه وطنه " (٤) .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب : ص ٢٦٤

ابن حوقل : صورة الارض : ج ١ ، ص ١٢٧

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات : ج ٤ ، ص ٦٥٧

(٣) المصدر نفسه : ص ٦٥٨

(٤) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٣٢٥ .

وفي عهد غلبا لم الثاني ازدهرت حركة الترجمة الى اللغة اللاتينية من العربية واليونانية ، وقد ترجم الامير يوحنا بن البرمكي من العربية فترجم كليلة ودمنة ، مما يدل على سعة اطلاعه .

وقد كان نصيب العلماء والمسلمين في الحركة العلمية كبيرا ، فقد ساهم الشريف الادريسي كرئيس للدائرة الجغرافية في بلرم ، وقام برسم صورة الارض في دائرة من الفضة ووضع أقسام الاقاليم عليها ، وألف كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " .

والملك اعياض الاول ألف كتابا آخر سماه " روض الانس ونزهة النفس ^(١) " وشارك الشريف في علوم أخرى كعلم النبات وله كتاب " الجامع لاشتهات النبات " . ومن العلماء المسلمين الذين اشتهروا في صقلية : محمد بن عيسى بن عبد المنعم من أصحاب العلم بعلمي الهندسة والنجوم ، وهو مذكور ومشهور ويعتبر من الحكماء في هذين العلمين . ^(٢)

وتناولت الحركة العلمية ظاهرتين :

١ - قيام الحركة العلمية على التجربة والملاحظة في بعض الاحيان كما هو الحال في الجغرافية التي قامت على الملاحظة والمعاينة فزاروا البلاد وقاموا بالتقصي والاستيعاب وأثبت ذلك الادريسي .

٢ - الظاهرة الثانية :

الاستفادة من الحركة العلمية في الحياة العلمية كما هو الحال في الهندسة المعمارية وعمل الآلات ، وبخاصة في صنع آلات الحصار كالمجانيق وآلات الرصد ، وساعة تعرف بها أوقات ساعات النهار عن طريق رسمي بنساق

(١) القفطي : أخبار الحكماء ، ص ١٨٩ .

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ، ص ١٨٩ .

على الصناج . (١)

هذه الحركة العلمية سواء في التشجيع عليها ، والتهيئة لاسبابها أدت القيام على الترجمة من ناحية أو المشاهدة أدت الى قيام حركة نهضة علمية . ولا يزال أثر العرب موجودا في صقلية واللغة الايطالية ، فقد بقيت الكثير من عاداتهم حتى اليوم ، وتركوا ألفاظا كثيرة تحمل أسماء عربية ولا سيما أسماء القلاع والمراسي والشوارع ، وتبدأ أسماء القلاع (فلتن) أى قلعة ، ومنها ما أصبح أسماء مدن مثل قلعة النساء ، قلعة الحسن ، وقلعة البلوط وكذلك كلمة مرسى ، ورأس

وكان تأثير العرب واضحا في جزيرة صقلية بعلمهم أكثر من مبانيهم فهناك كلمات عربية تفوق الحصر دخلت اللغة الايطالية في مظاهر الحياة المختلفة وبخاصة في لغة العلم حتى اضطرت جنوة سنة ١٢٠٧ أن تؤسس مدرسة لتعليم اللغة العربية . (٢)

وكانت صقلية أزهر الممالك الاوروبية في الزمن الذى كان يرعى فيه جانب العربي والرومي ، ويؤخذ بأيديهما ، وقد بقيت اللغة العربية شائعة في الجزيرة الى أواخر القرن التاسع للهجرة ، حتى ان نصارهم استخدموها لغة التخاطب والكتابة بعد خروج العرب بمدة طويلة ، وأرخوا بالتاريخ الهجرى . (٣) فلاعجب اذا وجدنا أن سياسة روجر الثاني (١٠٣٠-١١٥٤ م) -

سياسة سلمية نحو المسلمين ، بدليل تبادل الخطابات مع الخليفة الحافظ الفاطمي (٥٢٤ . ٥٤٤ هـ) (١١٣٠ - ١١٤٩ م) ، فقد كان النورمان يتذوقون الحضارة الاسلامية ، ويتوجون أنفسهم بعبارة : لا اله الا الله ، ويتخذون علامة

(١) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٧٣ .

(٢) محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٣) محمد كرد علي : المرجع نفسه ، ص ٢٩١ .

ملوك الاسلام " الحمد لله حق حمده " ويلبسون العماثم مثل العسرب ، ويسلكون في قصورهم طريق ملوك المسلمين^(١) ، وكان بلاطهم يعج بالعلماء المسلمين ومن هنا تم نقل علوم ومعارف المسلمين الى الايطالية الدارجة التي كانت قد بدأت في الظهور^(٢) ، مما كان له أعظم الأثر في نقل الحضارة العربية وبذلك تكون صقلية تمثل مصيرا حضاريا ذو أهمية بالغة وفعاله في نقل تراث المسلمين الى دول غرب أوروبا^(٣) .

• ثانيا : الاندلس

فتح العرب المسلمون أسبانيا (٩٢ هـ / ٧١١ م) ، ولم يكذبوا فتحها حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة فيها فاستطاعوا أن يحيوا الأرض المبيسة ويعمروا خراب المدن ، ويقيموا أفخم المياني ، ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بين الأمم ، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب ، ويترجمون كتب اليونان واللاتين وينشئون الجامعات التي ظلت رمنا طويلا مركز الاشعاع الثقافي في أوروبا .

وقد بدأت حضارة الاسلام في الاندلس تنهض مع عبدالرحمن الداخل الذي أعلن الخلافة في الاندلس سنة ٧٥٦ م . فعدت قرطبة في عهده أرقى مدن أوروبا ولمدة ثلاثة قرون .

وما أن استقر في الاندلس حتى أخذ يسعى لجعل أسبانيا وطننا حقيقيا له وللعرب ، فأنشأ جامع قرطبة الذي يعتبر من عجائب الدنيا ، وأخذ بنفق من بيت المال ويصلح البلاد ويتفنن في توطيد الأمن ونشر الاسلام ، ووقف

(١) ابن جبير : رحلته ، ص ٢١٥

(٢) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية . ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٠٣ .

العدوان ، وسار خلفاؤه من بعده على سنته .

وقامت الحضارة العربية الاسلامية في بادىء الامر في توجه العرب الى الفنون والآداب والعلوم ، مما دعاهم لانشاء المدارس والمكتبات والمختبرات وثم انتقلوا لمرحلة الترجمة ، فأخذوا يترجمون كتب اليونان ، فدرسوا العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيمائية والطبية . (١)

ونشط العرب في الاندلس في الصناعة والتجارة ، فصنعوا الاسلحة والمنسوجات والجلود ، واستخرجوا المعادن ، وصدروها الى أوروبا وأفريقيا وزرع العرب قصب السكر والتوت والارز ، والقطن والموز ، وأصبحت أسبانيا جنة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية وبراعتهم في أعمال السرى وأكثروا من انشاء الطرق والجسور والفنادق والمشافي والمساجد في كل مكان . وأصبحت عاصمة الخلافة دارا للعلوم والفنون والمناعة والتجارة وكانت مكانة الحياة الثقافية والاجتماعية مستمدة من قوة الدولة التي أنشأت المحاكم للمحافظة على الأمن وحقوق الرعية ، والجيش للمحافظة على الثغور من هجوم الأعداء .

وبذلك تمكن العرب المسلمون من تحويل أسبانيا ماديا وثقافيا وان يجعلوها على رأس أوروبا ، فقد قدموا لأوروبا الى جانب ماتقدم التسامح والحلم ، وهل هناك أكثر من أن يسمحوا للاساقفة بعقد المؤتمرات الدينية كمؤتمر أشبيلية النصراني الذي عقد سنة ٧٨٢م ومؤتمر قرطبة .

ومن صفات العرب الفروسية ، وكان الفارس العربي يرحم الضعيف ويترفق بالمغلوب ، ويساعد المحتاج ، وهذه من جوهر الدين الاسلامي وكانت تؤثر في نفوس الناس تأثيرا عميقا (٢)

(١) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ١٥٣ .

(٢) المرجع نفسه : ص ١٥٥ .

وقد تشبع سكان الاندلس بالحضارة العربية ، بحيث أنهم هجروا لغتهم ليتكلموا اللغة العربية ، وأخذوا لغة العرب وملابسهم واندرجوا في غمارهم بدور هام في نقل الحضارة الإسلامية عن طريق الترجمة أو الانتقال الى بلاطات النصارى الأوروبيين كما كان النابيهون من الأوروبيين بأثون السى مراكز الحضارة الإسلامية في الاندلس ، للدراسة ونقل علوم المسلمين السى الإسبانية . (١)

وهكذا ينبغي لنا أن الاسبان عرفوا ما للمسلمين من نظم سياسية ودينية وثقافية ، فتعلموا في الجامعات العربية ، وتعلموا في المكتبات الغنية بكافة أنواع المعرفة ، ولما تم التهجير والتهجير القسري لمسلمي الاندلس بدأت مظاهر الترجمة تظهر في أسبانيا ، فقد ظهرت في طليطلة مدرسة المترجمين (٢) التي قامت بنقل العلوم الاغريقية بالإضافة الى الشروح وتعليقات العرب .

وأهم الترجمات كانت مؤلفات ابن سبنا (النفس) و (الطبيعى) وآثار الفزالي (مقاصد الفلسفة) وكتب الخوارزمي ، ومن أشهر المترجمين الاسقف دومينيكيوس غوند الطليطلي وقام غيره بترجمة فلسفة الكندى وابن رشيد . وقد بلغ الاهتمام بنقل آثار العرب (٣) وفي عهد الفونسو العاشر، أنهم ترجموا كتب الحكم والافكار وذاعت بينهم ترجمات في الحكمة والقصص مثل السندباد وألف ليلة وليلة (٤) .

فمنها ما تم تقديم خلاصة الفكر الاسلامي في العلوم والفنون والآداب والفلسفة ، فضلا عن تعريفهم بالكثير من ثرات الاغريق ، فأخذت نسل

- (١) عبدالمنعم ماجيد : تاريخ الحضارة الإسلامية : ص ٢٧٩ .
- (٢) يوسف لوبون : حضارة العرب ، ص ٥٦٧ .
- (٣) شحاته الناطور ورسياد : تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٣٩ .
- (٤) محمد عبدالرحمن مرجع : المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٥٧١ .

منه حتى النهضة الأوروبية . (١)

فمن الاندلس تسربت الاشعة الفكرية الى أوروبا فأنارت الطريق نحو الحضارة الغربية .

ثالثا التجارة :

لم تكن علاقة العرب المسلمين علاقة حربية مع أوروبا ، فالاسلام مشتق من السلام ، لذلك وجدت علاقات سلام ، فقد وجدت بين شارلمان ٦٧٨ - ٨١٤ والرشيد علاقة صداقة وتبادل الهدايا ، فأرسل الرشيد السى شارلمان فيلا وساعة دقاقة وخيمة مطرزة بالقصب ومفاتيح كنيسة القيامة^(٢) زهي تدل على الحرية الدينية في فلسطين من ناحية وتسهيل التجارة بين الشرق وأوروبا .

وكذلك قامت علاقات سياسية بين عبدالرحمن الناصر مع ملوك شمال أسبانيا وامبراطور الدولة البيزنطية قسطنطين السابع (٩٠٥ - ٩٥٩ م) وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة أوتو الكبير^(٣) (٩٣٦ - ٩٧٣ م) وهي انما تدل على مكانة الناصر من نشاط في حوض البحر المتوسط الى درجة جعلت كسلا من امبراطور بيزنطة وامبراطور الدول الغربية يتوسط لدى خليفة قرطبة أن يتم بين بلديهما التعاون ، ولاشك أن هذا التعاون يشمل نواحي عدة يبدأ سياسيا ثم اقتصاديا ، ثم ثقافيا ، ولما كانت الاندلس متقدمة فكريا وحضاريا ، فلا بد أن تتجه اليها أنظار الطلاب من كافة أنحاء أوروبا وهكذا لم يقف نشاط العرب

(١) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٠٤

(٢) عبدالعزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، ج٣ ، ص ٧١ .

(٣) أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢١٦ .

عند حد معين ، فمنذ تم اجتياز جبال الألب الشمالية ودخلوا سويسرا وامتد نفوذهم من شواطئ بحيرة كنستانس شمالا الى جنوة ومرسيليا ونيس جنوبا (١) وعمل العرب بجانب نشر تجارتهم نشر ثقافتهم الاسلامية وفي مقدمتها اللغة العربية التي كانت اللغة العالمية ولغة العلم في العصور الوسطى وحتى أننا لانزال نرى اسم الحي العربي في أحد أحياء مدينة نيس . (٢)

والعلاقة الاقتصادية بين مسلمي الاندلس وأوروبا كانت طيبة وأخذت عدة مظاهر وفي مقدمتها : طرق النقل التجارية ، والتبادل التجاري ، ثم وسائل المعاملات المالية وفيما يتعلق الطرق ، فقد عرفت ثلاث طرق :

الطريق البري الذي يعبر جبال البرانس الى بلاد الفرنج ، فكل الطرق البرية لابد أن تعبر هذه الطريق فمن الجزيرة الخضراء الى أشبيلية الى بلاد الفرنج أو من مرسية الى بلنسية الى المرية الى غرناطة أو من مالقة الى قرطبة (٣) فكل هذه الطرق البرية تسلكها القوافل التجارية لابد أن تمر من ممرات جبال البرانس لتلتقي بموانئ جنوب فرنسا الشهيرة بحي بروفانس وسبتانيا (٤) .

وهناك الطرق البحرية ، فكانت السفن التجارية تفرغ حمولتها في مرسيليا أو ناربون ، حيث كانت أهم المراكز الرئيسية للتجارة ، ثم تنقل عبر الطرق النهرية في فرنسا ، كالراين والدانوب والسين والرون أي الى جميع أنحاء أوروبا (٥) ، ولم تكن هذه الطرق البحرية الوحيدة ، فهناك الطريق البحري عبر

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج٣ ، ص ٢٤٢ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٤) أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٨٨ .

(٥) منى حسن محمود : المسلمون في الاندلس ، ص ٢٢٥ .

ساحل أسبانيا الغربي المطل على المحيط الاطلسي ، وقد استعمل هذا الطريق منذ عهد عبدالرحمن الاوسط (١) ، أما الطريق البحري الاخير فيمر عبر الساحل الشرقي المطل على البحر المتوسط من الجزيرة الخضراء الى مالقة ثم المرية ثم الى قرطاجنة ثم دانييه ثم بلنسية الى طوكونة الى برشلونة الى أريونة (٢) الى البحر المتوسط ثم عن طريق الممرات عبر منافذ جبال البرانس عن طريق الموانئ الجنوبية لفرنسا .

أما من ناحية التبادل التجاري فقد لعب أهل بلاد الشام بالنصيب الأكبر من عبء التجارة في البحر المتوسط ، فكانت لهم جاليات متاجرة في كل موانئ البحر (٣) ، وأقامت هذه الجاليات في ثغور بريطانيا وغالسه (فرنسا) وأسبانيا مع الثغور النهرية على الدانوب (٤) ، وكان أكبر مركز رئيسي لهم في مرسيليا وانتشروا في حوض الرون وشمال باريس وكليرمونت وتور وبورج أرل. وقد نشطت حركة التبادل التجاري بين أسبانيا وفرنسا مع بلاد الشام ومصر ، وظلت فرنسا تستورد البردي والتوابل وغيرها من منتجات الشرق ، واحتفظت مرسيليا كميناء هام وكان يرد اليها زيت الزيتون الذي كان يستعمل للطبخ والانارة فكان يستورد بكميات كبيرة من بلاد المغرب خاصة (٥) ، وكانت السفن تعود محملة بالدقيق والفراء من روسيا ، والرقيق الذي كان يجلبه التجار اليهود لمسلمي الاندلس ، وكان المسلمون يعاملونهم أحسن معاملة ، كما كانوا يمثلون حلقة الوصل الاقتصادية بين المسلمين

(١) أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٥١ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) أرشيبالد لويس : القوى البحرية في البحر المتوسط ، ص ١٢٠ .

(٤) P. Christin Frester : Merovingian Royalty, P.156.

(٥) أرشيبالد لويس . القوى البحرية ، ص ١٣٠ - حسب مؤنس . المسلمون في

حوض البحر المتوسط ، ص ٥٣ .

والعالم المسيحي (١) .

وقد التصق اسم اليهود بالتجارة خلال القرن التاسع الميلادي فكانوا يركزون في تجارتهم على ماخف وزنه وغلا ثمنه من السلع والمصنوعات فنقلوا المنسوجات الحريرية الدقيقة الاندلسية المنع ، ويحضرون البخور للكنائس والتوابل وبخاصة الفلفل ، وقد سماهم المسلمون التجار اليهود باسم الرادانيون (٢) .

وكان من عوامل نشاط التجارة وجود عملة يتبادل التجار السلع على أساسها ، وقد سكيت العملة الاندلسية تحت ضغط الحاجة الملحة لاستخدامها في التجارة التي اتسعت آفاقها في كل الحكم الاسلامي . ويرجع تاريخ سك النقود الاسلامية في الاندلس الى موسى بن نصير في سنة ٧١٣ م . وصار يتعامل بها الى جانب النقود الرومانية القديمة فسك موسى بعد دخوله طليطلة نقودا عليها نقوش لاتينية تحمل عبارة التوحيد . (٣) ، كما سكيت عملات على هيئة العملة المستخدمة في الشرق الاسلامي (٤) فكان لعبدالرحمن بن معاوية عملة خاصة باسمه ، وكانت له دار لضرب العملة في قرطبة ، ولم تختلف هذه العملة عن بلاد الشام ، فكانت تشبهها من حيث الشكل والوزن والنقوش وكانت تصنع من الذهب الخالص . (٥)

وكانت العملة المتداولة في بلاد الفرنج هي العملة الذهبية الميروفنجية التي كانت واسعة الانتشار (٦) ، وفي عهد شارلمان بسط سلطته

(1) Pirenne : Mohmmmed and Charlemagnc, P. 174

(٢) حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر المتوسط ج٢ ، ص ١٤٨ .

(٣) منى حسن محمود : المسلمون في الاندلس ، ص ٢٣٣ .

(٤) عبدالحميد الشرقاوي : الحالة الاقتصادية في الاندلس في القرن الرابع الهجري

ص ١٣٥ . ارشيبلد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٦١ .

(٥) عبدالرحمن فهمي محمد : دراسة لبعض التحف الاسلامية ، ص ١٩٩

(٦) ارشيبلد لومي : القوى البحرية ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

على دار السكة ، فكان لايسمح بالسك الا تحت اشرافه .

وبفضل العلاقات التجارية ، وواقع الوجود السياسي للمسلمين فسي
أسبانيا وصقلية ، تسربت الى أوروبا الغربية ، تدريجيا الحضارة العربية
اليها . التي تتلخص في عدد من التحسينات على القاعدة المادية وفي اضاء
مظاهر الرقة والاناقة عليها . كما أفادوا من الحياة الجميلة عند العرب
والأدب الذي رافقها مما حفز الخيال الاوروبي .

ولعبت التجارة دورا مهما أثناء الحروب الصليبية التي استمرت (١٩٦)
سنة (١٠٩٥ - ١٢٩١م) ، فقد قام الاوروبيون بنقل كثير من النباتات والعقاقير
والاصياغ والتوابل الشرقية ، كما كثر استعمال الاقمشة التي تصنع في البلدان
الشرقية كالموسلين (نسبة الى الموصل) والدماس (نسبة الى دمشق) ، هذا الى
جانب اقتباس بناء القلاع واستخدام الدروع للفرسان والخيول وتقاليد المأكسل
وآداب الحكم .^(١) فانتشرت التجارة وتبادل البحارة بين الشرق والغرب لم
يتوقف ففي العهد الفاطمي كان المشرق مركز سياسيا وتجاريا وثقافيا مهما ،
بل من الدرجة الاولى بعد سقوط الخلافة في بغداد على أيدي المغول ، فقد
أصبحت مصر والشام كعبة الحضارة العربية في عهد المماليك، فبرزت فيهم
العلوم والفنون بسبب رحيل العلماء والادباء والفنانين طلبا للسلامة ، ويرى
ابن خلدون أن مصر هي أم العالم في ذلك الوقت ، وايوان الاسلام ، ونبوع العلم
والصنائع^(٢) ، وقد ساعد على نقل الحضارة من المشرق الى أوروبا نشاط الحركة
التجارية بين مدن أوروبا وقتذاك مثل : بيزا ، وجنوا ، والبندقية ، ونابولسي
وفلورنسا ، وقد نشطت هذه المدن وأقامت علاقات تجارية مع مصر والمشرق

(١) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة في أوروبا ، ص ٢٠٢ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٤ .

والمدن المذكورة هي التي ظهرت فيها حركة النهضة الأوروبية والتي مهدت للحضارة الأوروبية الحديثة في أوروبا . (١)

ويكفي أن التجارة قد كسرت حاجز الخوف عند الأوروبيون ، وجعلتهم يظلمون على بلاد جديدة ، مما جعلتهم يتعرفون على غرائب الكائنات والموجودات ، ومع التجارة كثرت قصص التجارة والرحالة وهي التي قادت أوروبا إلى الاستكشافات الجغرافية التي قادتهم إلى الأمريكتين (٢) .

رابعاً :

البعثات العلمية ودورها في انتقال الحضارة العربية إلى الغرب :

لقد حفلت بلاد الأندلس بعدد كبير من المدارس والجامعات لمختلف العلوم والآداب والفنون ، وكان في جميع المدارس والجامعات دور للكتب ولم تخل واحدة من مكتبة قط ، أما خزائن الكتب فقد زخرت بالمؤلفات المصنعة أو المنقولة باعتبارها أحد ضرورات الدراسة .

ونافست قرطبة في عظمتها العلمية القيروان وبغداد والقاهرة وبخارى ودمشق وأصبحت قبلة الشعراء والكتاب والفنانين والعلماء ، وكانت قرطبة أشبه ماتكون بالعاصمة الكبرى لإسبانيا ، يفد إليها الملوك والسفراء وطلاب العلم يقدمون فروض الطاعة والولاء للدولة ويستجيرون بها ويستظلون بسلطانها . وفي عهد عبدالرحمن الثالث (٩١٢ - ٩٦١) ، تم اجتذاب العلماء للبحث والدرس والتأليف ، فأصبحت الأندلس موطناً للعلوم وأصبح فيها عدد ضخم من المستشفيات والأطباء والصيادلة والكيميائيين وعلماء النباتات والرياضيين والفلك والفلسفة .

(١) عبدالمنعم : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص ٢٨٢ .

(٢) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٢٨٩ .

وكانت حاجة قرطبة تحمل مشعل العلم والمعرفة في غرب أوروبا لمركز للعلوم والبحث والترجمة من اليونانية والهندية الى اللغة العربية وقد بلغت عدد الكتب في مكتبة جامعة قرطبة في عهد الحكم الثالث (ابيسن عبدالرحمن الثالث) نصف مليون كتاب وكلها مفهسة لطلاب العلم والمعرفة وقلد أمراء المقاطعات الاندلسية العاصمة قرطبة فكانت هناك جامعات في غرناطة وطليلة وأشبيلية ، وشرقوسة ومدريد وكان يدرس في كل جامعة علوم الطب والصيدلة والكيمياء .

وأقسم عهد عبدالرحمن الداخل ، وعبدالرحمن الثالث ، والحكم بالمحبة والسلام والسكينة والاستقرار والعلم ، وهي كانت جديرة بخلق بيئة ثقافية وعلمية متقدمة (١) .

وقد لعب التسامح العربي الذي لم يسمع بمثله في العصور الوسطى (٢) ذورا مهما في اكتساب الاوروبيين العلوم العربية الاسلامية في الجامعات العربية .

والتسامح نزع أصيلة عند العرب المسلمين ورسالة أصيلة أوصى بها القرآن الكريم ودعت اليها السنة النبوية ، وهو يفصح بمراحة الى عدم التمييز في احترام الانسان وتقديره واتاحة الفرص العلمية أمام الجميع دون النظر الى لونه أو دينه أو ثروته أو جنسه ، ومن هنا نجد أن الامم والشعوب الاوروبية التي خضعت للمسلمين اندمجت في المجتمعات الاسلامية ونهلت من علوم جامعاتها بحيث أصبح هؤلاء العلماء هم بواة الفكر في بلادهم .

(١) أحمد علي الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية ، ص ١٣٠

(٢) منتز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ١ ، ص ٢٨٤ (ترجمه

د . محمد أسوزيد)

ان تعايش الناس ذوو العقائد المختلفة والاجناس المتباينة متجاورين
يسودهم الامن والسلام ، فان تجاور المسجد والكنيسة والمعبد في كل قطر
بل في كل مدينة كان تقليدا زمانا طويلا ينمو روح الاخاء والتسامح ، فقد
ربوا النفوس التي تؤمن بهذا التعايش والامتزاج، ووجدت المساجد الاسلامية
التي يدرس فيها الرهبان واليهود جنبا الى جنب مع المسلمين ، فعندما
أغلقت جامعة أفلاطون في أثينا سنة ٥٢٩م قامت مساجد أسبانيا وصقلية
بفضل العرب وعملهم بحمل مشعل العلم والفقه والفلسفة ، وظل العرب
قرونا متطاولة يحملون رسالة العلماء والخبراء والصناع على الارض الاندلسية
وجنوب ايطالية وصقلية .

لقد استمر العرب زهاء ثمانية قرون (٩٢هـ / ٨٩٧هـ - ٧١١ - ٤٩٢ م)
يقدمون للعالم العلم والنور والحضارة ، واستمر ذلك حتى بعد اجتياح
الاندلس من قبل الاسبان ، فقد بقي فيها من المسلمين (الموريسكيين) حتى
القرن السابع عشر في شبه الجزيرة الاسبانية ، يقدمون الحضارة العربية الى
أوروبا . (١)

ويعود فضل العرب في أسبانيا في دورين بارزين : أحدهما الى القارة
الاوروبية وهي فتح أبواب الجامعات ثم ترجمة آداب وعلوم العرب الى اللغات
الأوروبية .

أما الناحية الثانية فهو الى القارة الامريكية ، فيعود الفضل في رحلة
كولمبوس ماكتبة الرحالة العرب ، وإيمانه بكروية الارض ، وعرف الكثير عن
رحلات العرب شرقا وغربا ، فكسرت في نفسه حاجز الخوف مما شجعه على
القيام برحلته .

(١) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٢٨٢

وهكذا يتضح لنا دور البعثات العلمية يقوم على نهل العلم بالدراسة
في الجامعات العربية ، ثم بترجمتها الى اللغات الاوروبية ، ولعل هذا عائد
الى الروح العلمية التي تمنع بها العرب والقائمة على التسامح .

الباب العاشر

أثر الحضارة العربية الإسلامية

في الغرب في الحركة العلمية وانتبعات النهضة الأوروبية

أثر الحضارة العربية الإسلامية في الغرب ودورها في حركة انبعاث النهضة الأوروبية

للحضرة العربية أثر واضح في حركة انبعاث النهضة الأوروبية
لا ينكره الاكل جاحد ، فالحضارة الغربية قامت على الفلسفة الإسلامية ، التي
جمعت بين قوة الايمان والترغيب في العلم ، وآمنت بروح العدل والانصاف
لكل مواطني الدولة الإسلامية ، فالتسامح والحرية التامة والاخاء والمودة
عناصر ساعدت كل طالب علم على نهله ، وبذلك كانت الحضارة العربية
الإسلامية حضارة عالمية كمبادئ الاسلام للناس كافة ، بدأت باحترام التراث
البشري القديمة اليونانية ، والمصرية والفارسية فرعته واعتنت به ، فقامت
بترجمته بادية الأمر ، لينتهوا الى الابداع في شتى العلوم والآداب والفنون
فوصلت حضارتهم مستوى لا ينافسهم فيه أحد ، وأصبحت بلادهم مراكز الاشعاع
الفكري في العالم ^(١) ، فتوجه طالبوا العلم والمعرفة للمعاهد والجامعات
العربية ، ينهلون من علوم العرب ، دراسة وترجمة ، ونقلوا علوم العرب
من مراكز فكرية من بلاد الشام ومن الاندلس وصقلية بجانب العلاقات
السياسية والاقتصادية ، ويتضح أكثر الحضارة العربية الإسلامية في حركة
انبعاث النهضة في الأمور التالية : المنهجية العلمية والدراسة في المعاهد
الإسلامية ، ونقل علوم ومعارف العرب .

أولا : المنهجية الإسلامية في الفكر والبحث العلمي : (٢)

يتردد في الغرب أن منهج البحث العلمي قد وضع أصوله الاغريق وأكملته

- (١) شهادة الناطور : وزميله ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٣٨ .
- (٢) شهادة الناطور : بحث أعد لندوة واشنطن ، دى سي آي ١٩٨٦ .

فرنسيس بيكون في العصور الحديثة ، وهم بذلك يقفزون من عصور ما قبل التاريخ الى العصور الحديثة ، دون الاشارة الى منهج البحث العلمي عند المسلمين .

والسؤال الذي يطرح : هل عرف المسلمون منهج البحث العلمي ؟ ومن أين استمدوا أصوله وأركانه ؟ والى أي مدى نجح العلماء المسلمون تطبيق هذا المنهج ؟ وهل كان لمنهج العرب المسلمين في الامم اللاحقة ؟ ان العرب والمسلمين يؤمنون بقدسية القرآن ، لأنه كتاب الله المقدس فمنه استمدوا منهجهم العلمي ، فهو الذي مهد لكل ثورة فكرية ، وأخى بين العلم والدين ، وجعل العلم سبيلا لكمال الدين ، وبذلك نفى الصراع بينهما ، فالاسلام رفع العلم مالم يفعلته دين آخر ، فقد جعله عبادة وسبيلا الى معرفة الله .

ويقوم منهج التفكير في الاسلام على الاركان التالية :

١ - الدعوة الى التعليم :

فهناك العشرات من الآيات المقدسة التي تدعو الى التعليم دون التمييز في اللون والجنس والعنصر ، وأول آية أنزلت في القرآن قوله تعالى:

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ (٤) ﴾ (١)

فالتعليم قوة دافعة للانسان الى المعرفة ، وكلما زاد المرء معرفة تعمقت نظرته نحو البحث ، فالاسلام دعا الى العلم والتعلم وكرم المتعلمين

ورفع درجاتهم بقدر علمهم : قال تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ (٢) ﴾

(١) سورة العلق : آية ١ - ٣

(٢) سورة الزمر : آية ٩ .

وطالما ان الله رعى أهل العلم ، فعلينا أن نحيطهم بالحب والتقدير
والرعاية والتكريم لهم حتى يخلصوا في عملهم ويتقدموا في انتاجهم .

٢ - طلب العلم فريضة في الاسلام :

والفريضة في الاسلام ، ما فرضها الله ، ويعاقب تاركها ، وقد قرن
الاسلام طلب العلم بعبادة الله ، والعلم في نظر الاسلام هو التأمل في آيات
الله العديدة واكتشافها والاستفادة منها ، ولا تكون الا خالصة لوجه الله،
قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١)
قال النبي (ص) " طلب
العلم فريضة على كل مسلم " (٢)

٣ - العلم في الاسلام لا يكون الا لوجه الله " أى العلم للعلم " :

فالعالم المسلم هدفه تقصي الحقيقة والوصول اليها بكل تجرد ونزاهة
فلا يصدر حكما الا بالعدل والقسطاس ، أى ما يعرف بالحياد المطلق . قال تعالى :
﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ (٣)
وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ (٤)

٤ - التعليق المستمر :

وهذا المبدأ مهم في أصول البحث العلمي ، حتى لا يصاب العالم بالغرور
لما وصل اليه من فن ومعرفة وعلم ، فالاسلام ثبت في نفوس المسلمين أنه مهما

(١) سورة طه : آيه ١١٤ .

(٢) رواه البيهقي وابن عبد البر .

(٣) سورة الشعراء : آيه ١٨٢ .

(٤) سورة الاعراف : آيه ٢٩ .

وصل من علم فهناك الكثير مما يجهله وعليه العمل الدؤوب للوصول الى
المستجدات بشكل دائم . وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢)

٥ - العلم في الاسلام ماسطر بالعلم :

وهو كتاب الكون المفتوح المملوء بآيات الله وبذلك ربط التفكير
بظواهر الكون ، والعالم الباحث يتدبر ويبحث ويفسر هذه الآيات والظواهر
فحدد هدف البحث العلمي ونفى عنصر العبث والتفكير أو العمل واستبعد
الترف الفكري . قال تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٣)
وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ ﴿٥﴾ (٤)

وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (٥)

٦ - يقوم البحث العلمي في الاسلام على البرهان " أى الدليل "

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦)
وقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ (٧)

-
- (١) سورة البقرة : آية ٣٢
(٢) سورة الاسراء : آية ٨٥
(٣) سورة الحج : آية ٥٤
(٤) سورة الجاثية : آية ٤
(٥) سورة يوسف : آية ١٠٥
(٦) سورة البقرة : آية ١١١
(٧) سورة النساء : آية ١٧٤

ونهي الاسلام أتباعه الخوف فيما لا يعلمون ، أي العلم الذي يقوم على

الظن . قال تعالى " **وَالظُّنَّ لَا يَنْفَعِي عَنِ الْحَقِّ شَيْئًا** " (١)

٧ - الاعتماد على العقل والحواس في البينة " الدليل " :

فالمنهج الاسلامي في البحث العلمي يقوم على العقل والسمع والبصر

لان العقل لا يستطيع الاستغناء على الحواس ، فمن فقد حسا فقد عابلا مهما

في أمور البحث العقلي الاستنتاجي . قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُورًا ﴾ (٢)

وشبه الله الغافلين الذسن لا يستعملون عقولهم وحواسهم بقوله تعالى :

﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ

أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٣)

ودعا القرآن الى استعمال العقل واعتبر الاحساس والملاحظة محسوس

العملية العقلية ، فبدون الحواس لا يحصل الادراك أو الفكر السليم فتتعطّل

الحواس سبب لغياب العقل .

وهكذا ومن خلال المعطيات السابقة . نجد أن الاسلام قد حدد أسس

البحث العلمي بدعوته الى نهل العلم وتشجيعه ، بحيث اعتبره واجبا مقدسا

على كل مؤمن أن يتعلم ، وأن يكون هذا العلم بعيدا عن الأهداف المادية

الذاتية ، ولكن وجه الله أي منفعة الانسانية عامة .

واعتبر الاسلام أن العلم واسع بحيث لا يستطيع الانسان أن يلم به كله

ومهما نال ، فلن يصل الا الى القليل ، لذا فعليه السعي في طلب المزيد ، واسلوبه

(١) سورة الحجرات : آيه ٢٨

(٢) سورة الاسراء : آيه ٣٦

(٣) سورة الاعراف : آيه ١٧٩

في الطلب يعتمد على النزاهة والحياد والتجرد والاستمرار في البحث والتجربة والتفكير وأن تكون النتائج دائما بلامبالغة ولازيادة والا وقع في الائم .

وبعد جابر بن حيان (توفي سنة ٨١٥م) من رواد البحث العلمي ، فقد

نقل علم الكيمياء من طور الاوهام والغموض الى طور العلم التجريبي ، فهو أول من وضع قواعد علمية لعلم الكيمياء ، كما وضع أرسطو علم المنطق .

قام الاساس في البحث عند جابر على المشاهدات التي تجيب بالتجربة

المؤيدة فهو يقول " انا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط بمسند أن

امتحناه وجربناه ، مما صح ماأوردناه ، وما بطل رفضناه ، وما استخرجناه

نحن أيضا ، وقايسناه على أقوال هؤلاء القول " (١) ، وأجاز لنفسه قبول

النتائج العلمية عن غيره ، كما جعل القيام بالتجارب شرطا أساسيا للعالم

الكيمائي . وهو يرى أن العالم المتدرب يحذق وغير المتدرب يعطل ، وتتمثل

خطوات البحث عند جابر فيما يلي :

١ - تحديد الغرض من التجربة

٢ - اعداد الوقت الكافي للتجربة

٣ - اختيار الزمان المناسب للتجربة .

٤ - يستوحي العالم مشاهدته من فرضيات يفرضها لتفسير الظاهرة المرادة .

٥ - استنباط النتائج من الفرضيات .

٦ - لابد من تطبيق النتائج لمعرفة مدى صدقها ، فان صدقت تحولت الى قانون

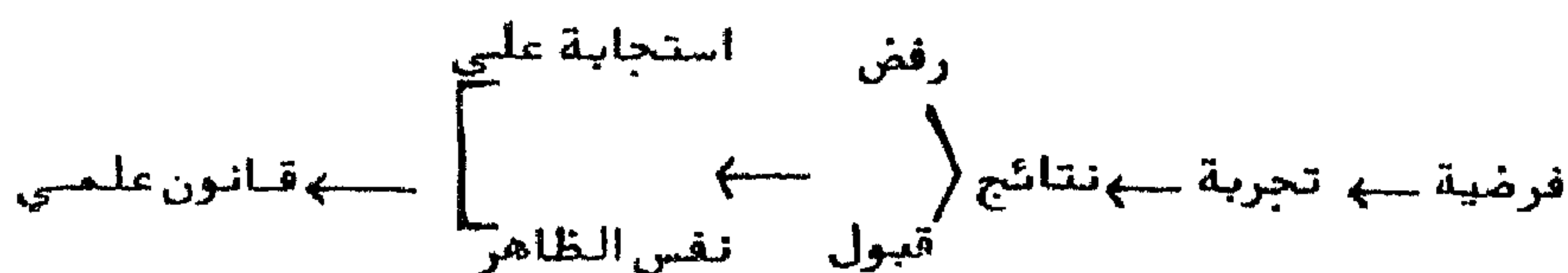
علمي .

٧ - يحذر جابر من الملل ، ويدعو الى التحلي بالصبر والمثابرة من أجل

تحقيق النجاح العلمي . (٢)

(١) كتابة الخواص (مختارات كراوس) ، ص ٢٦٢ .

(٢) عز الدين فراح : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ، ص ٥٩ .



ان هذا الاسلوب العلمي في البحث هو ما اصطلح عليه رجال المنطق بالاستقراء والاستنباط (١)

وكان أبوبكر محمد الرازي (ت ٩٢٤م) مولعا بالبحث العلمي التجريبي ، يبحث بأسلوب علمي رصين ، يجمع بين التجارب العلمية والاستنباطات النظرية الصحيحة ، وقادة أسلوبا لمعرفة طرائق متعددة في العمليات الكيماوية (كالتصعيد ، والنقطير ، والتكليس ، والتلور والتسهر والترشح ، والتنقية وغيرها) لاتزال مستعملة حتى اليوم ، والعرب هم واضعوا أساس علم الكيمياء .

وتدل كتابة الحسن بن الهيثم (توفي ١٠٣٩م) على استقلالة الفكرى الذى قام على أسلوب علمي في البحث يعتمد على المشاهدة والتجربة وكانت نتائجها متفقة مع الواقع الملموس للمشاهدة والاخبار ، وقد أخذ بأساس الاستقراء والقياس ، وقدم الأول على الثاني . وحدد غرضه طلب الحقيقة وهو يرى أن يبدأ بالعلم بالشك حتى يوصله التجربة الى الحقيقة / أى اليقين وقد توصل في كتابة المناظر الى بحوث رفيعة في الضوء وبخاصة في انكسار الضوء وتشریح العين وكيفية تكوين الصور على شبكة العين ، استفاد منها كبار علماء أوروبا مثل : روجر بيكون وكبلر (٢) ونسبوها لأنفسهم .

والبحث العلمي عند علماء المسلمين يقوم على الاسس التالية :

١ - فكرة الشك : وهذه الفكرة تعود الباحث على الابداع ، فالشك يتطلب من

الباحث اليقين ، الحقيقة عن طريق البحث العلمي المنظم كما حصل مع ابن

(١) زكي نجيب محمود : جاسر بن حيان ، ص ٥٩

(٢) عمرو فردخ : عبقريّة العرب في العلم والادب ، ص ٥٩ .

الهيثم .

٢ - كشف أسرار العلم وغوامضه :

فكل علم مملوء بالغوامض والأسرار ومن أسباب ودوافع البحث لسدى الخوارزمي : كشف أسرار وغوامض العلم ليقدّم مايلزم الناس من الحاجة (١) .

٣ - تنزية نفس الباحث عن العوارض :

فالعالم والمباحث الحقيقي لابد أن ينزّية نفسه عن العوارض لايتحامسل ولايتسامح في سبيل غرضه العلمي للوصول الى الحقيقة ، فقد ورد تندر ابن السني السهيم : " تنزية النفس عن العوارض الرديئة الأكثر الخلق ، والأسباب المعتمية لصاحبها عن الحق ، كالعادة المألوفة والتعصب والتظافر واتّباع الهوى والتغالب بالرياسة وأشباه ذلك " (٢) .

٤ - دراسة العلم بالأسلوب والطريقة التي يحتاجها :

" فالعلم اعتقاد الشيء على ما هو ان كان ممسوسا ، فالخس وان كتمان معقولا ، فالبعقل والخس ، والعقل أصل ما ترد اليه العلوم ، فما قضى باثباته ثبت ، وما قضى بنفيه انتهى " (٣) .

٥ - اعتبار العلم والبحث والملاحظات الحسية مكملة لبعضها :

وقد أخذ بذلك كل من جابر بن حيان ، والرازي وابن السهيم والبيروني .

٦ - افتراض فرضيات لتفسير الملاحظات الناتجة من الاستقراء :

التأكد منها بالتجربة وقام بذلك البيروني وابن السهيم ، وجابر .

(١) الخوارزمي : الجبر والمقابلة ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) الخوارزمي : الآثار الباقية ، ص ٤ .

(٣) المقدسي : البدء والتاريخ ، ج ١ ، ص ١٩ .

٧ - استمرار القيام بالتجارب وبصورة دؤوبة متواصلة .

وبناء على المعطيات المتقدمة رأبنا أن منهج البحث الاسلامي يقوم على الاستقرار ، الذي يعتمد على التجربة والممارسة العملية . فالتجربة هي اساس المنهج الاسلامي ، وهي وسيلة كشف الروابط والعلاقات بين الأشياء ، وبذلك حقق العلماء النظرة الموضوعية الى الظواهر الطبيعية والاجسام على السواء .

وقد عرفت أوروبا المنهج الاسلامي في البحث ، بعد فرون من معرفة العرب ، ومن كتابات علماء العرب والمسلمين واعتنقوه فئه من علماءهم سعد أن تعلموه عن المسلمين والعرب .

وقد أعلن روجر بيكون أنه انما يلقى هذا المنهج عن المسلمين ويعد روجر بيكون واضح الفكر الحقيقي للفكر الاوروبي في القرن الثالث عشر ، فهو الذي نادى بمنهج العرب والمسلمين في البحث العلمي الذي يعتمد على التجربة العلمية على نحو ما بدأ باستخدامها مع الاستعانة بالعلوم الرياضية .

لقد بدأ تحرر أوروبا ونهضتها بالتماسهم منهج الاستقرار التجريبي الذي أخذوه عن الفكر العربي الاسلامي . (١)

ثانيا : الدراسة في المعاهد والجامعات الاسلامية :

لاشك أن احتكاك الاوربيين بالعلماء العرب بما لديهم من تقاليد علمية كانت دافعا لهم لتطوير علومهم ونفدهمها . وقد قام عدد من الاوروبيين بالدراسة في الجامعات العربية . فقد عرف

(١) أنور الجندي : أخطاء المنهج الغربي الواعد . ص ٨ .

عن هرهيرت الاوريباكي (الذي أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني ٩٩٩-١٠٠٣ م .
بأنه ارتحل الى كاتالونيا حيث أمضى ثلاث سنوات ، ثم وصل الى قرطبة
لدراسة العلوم على يد أحد المعلمين المسلمين ، واستطاع هذا تجاوز
معاصرة قاطبة بنقل معارفه النظرية الى مجال التطبيق العملي ، كما
استطاع اعداد وسائل مدرسية متنوعة ، واليه يعود الفضل بوضع نظام جديد
لحساب ونظام العد العربي (١) .

ويمكن قسطنطين الافريقي أن يتحول من بائع متجول بين تونس جنوب
إيطاليا الى طالب علم في البلاد الاسلامية حيث أمضى بقية حياته في أحد
الاديرة ، ينقل الى اللاتينية طب العرب وبخاصة كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي
بن العباس (٢) .

ويبرز جبرارد الكرموني (ايطالي) : الذي غادر بلاده الى طليطلة
وعمل هناك سنوات على تعلم اللغة العربية حتى أتقنها وينسب اليه ترجمة
مئة كتاب .

ومن المدارس الطبية الباكورة كانت مدرسة مونبلييه ، فهي تعود الى
عام ١١٣٧ م ، وكان في هذه المدرسة عدد لا يستهان به من المعلمين العرب حتى
أوائل القرن الثالث عشر والذين ارتبطت أسماؤهم بالطب العربي وتعليمه
وتقاليد في جنوب اسبانيا ، وبفضل هذه المدرسة انتقل كثير من الطب العربي
الى أوروبا . (٣)

وأقام العرب صناعة الورق في الاندلس ، ومنها انتقلت الى ايطاليا

(١) مونتغمري واط : أثر الحضارة العربية على أوروبا ، ص ١٢٢ .

(٢) المرجع نفسه : ص ١٢٤

(٣) المرجع نفسه : ص ١٢٤

وألمانيا في القرن الرابع عشر وبعدها ظهرت في فرنسا وبريطانيا (١) ، ولا يخفى على أحد أهمية الورق لنقل العلوم والآداب .

وأدخل العرب في جزيرة صقلية صناعة الحرير والسكر وشجعوا النسيج الحرير والكتان حتى أصبحت صقلية مركز مرموقا لهذه الصناعات وإستمرار إنتاجها حتى بعد زوال الحكم الاسلامي .

أما في أسبانيا فقد قدم الاوروبيون لتعلموا الصناعة على يد الصناعه المسلمين المهرة ، فنقلوا عددا من الصناعات كازجاج والورق والسكر ، الى بلادهم . (٢)

ثالثا : نقل علوم ومعارف العرب والمسلمين :

بدأ اختلاط العرب بالأمم اللاتينية ، اختلاط فتال وحروب حينما ، نم اختلاط تجارة واقتصاد ، وكذلك اختلاط حضارة وثقافته ، ومن هنا بدأ التأثير والتفاعل الحضارى ثم انتقال التراث العربي .

وعرف الأوروبيون مكانة العرب العلمية في العصور الوسطى ، فأدركوا حاجتهم الماسة لعلومهم ومعارفهم ، فتوجهوا نحو تراث العرب العلمي والفكرى ، لنقله الى اللغة اللاتينية ، ومن ثم الى لغاتهم المحلية ، مما كان له أعظم الاثر في نهضة أوروبا فيما بعد .

وكان الطب العربي متقدما ، فقد عرف أساليب الرعاية الصحية واعتمد على التجربة والخبرة ، وأقام العرب أول المستشفيات والصيدليات للعلاج وهم الذين اكتشفوا الدورة الدموية (ابن النفيس) (٣) ، وأول من أقام الامتحانات لممارسة الطب ، وأول من استخدم الابر تحت الجلد للتخدير

(١) عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ، ص ٩٤ .

(٢) فراج : فضل العلماء المسلمين ، ص ١٠١ .

(٣) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب - ص ٢٦٦

وقاموا بربط الشرايين (الزهراوى) (١) (ت ١٠١٣) .

وعرفت طبقات وأهـنـاف من الاطباء ، فهـنـالك الجراحون والفـصـاصون والكـحـالون (أطباء العيون) والاسنان ، والطب النسائي ، والطب النفسى .
وعرفوا العمليات الجراحية ، واكتشفوا البنج ، واستخدموا الكاويات في الجراحة ، وعالجوا خلع الكتف ، والنزيف ، وأشاروا الى تفتيت الحصاة في الكلية (٢) ، ووصفوا الجدارى ، والحمية ، وعلاج استخراج ماء العين (الكتاراكتا) (٣) .

وكتب العرب الموسوعات الطبية فالـحـاوى في الطب للرازى عشرة أجزاء ، والشفاء في ثمانية وعشرين مجلدا لابن سينا ، عدا عن القانون فى الطب والتصريف لمن عجز عن التأليف ثلاثين جزءا للزهراوى .

وهكذا ، وصل العرب قدراً كبيراً من التقدم الطبى ، بحيث لم يكن في العالم المتحضر ما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر علم طبي يعادل ما كان عند العرب والمسلمين وما كان عند غيرهم لم يكن الا منقولا منهم ولم يشك أحد من أهل القرون الوسطى في تفوق العرب الطبى ، وكان تقدمهم بموازاة تقدمهم الفكرى بحيث يسمح لهم باستيعاب كل هذه العلوم (٤) فلاعجب اذا كان الطب في أوروبا تابعا من الناحية العلمية وتبدو جليلة في قوائم الطب المطبوعة ، وفي مقدمتها شروح الجزء التاسع للرازى الذى ترجمه فيرارى دى غرادو من مدينة يافيا ، ونشر كتاب القانون لابن سينا سنة ١٤٧٥ ، الذى ظهرت

(١) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٢٩

(٢) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٦٦ .

(٣) ريسلر : الحضارة العربية ، ص ٢٠٧ .

(٤) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ١٣٥ . اسيديو : تاريخ العرب العظام

ص ٤٤٥ - ٤٤٩ .

منه الطبعة الثانية وطبع حتى عام ١٥٠٠ ست عشر طبعة (١)

وتبين الاحصاءات أن كمية الاشتهادات والاقتباسات من المؤلفات الطبية العربية الى اللغات الاوروبية زاد عددها على الثلاثة آلاف من انس سيناء ومن الرازي وجالينوس ألفاً لكل منهما . فالعلوم الطبية الاوروبية كانت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مجرد تطور بسيط للعلوم الطبية العربية (٢)

لقد كانت حركة الترجمة شاملة ، ولأحسب كتابا ذا قيمة في الطب الا وقد ترجم ، فما بالك بالكتب الشهيرة ، فلاعجب اذا تخصص عدد من المترجمين بترجمة الكتب الطبية أمثال : قسطنطين الاغريقي وجيـرارـد الكرمونسي ، واسطفان البيزاني الانطاكي الذي ترجم خلاصة كتاب علي عباس (٣) وترجم بارافاكي كتاب التيسير للزهراوي سنة ١١٨١ وطبع عده طبعات (٤) .

وبينما كان العرب يمارسون الجراحة حتى الماء الأزرق في العين نجد أن مقررات الجراحة ممنوعة في الغرب لغاية عام ١١٦٣ ، وقد دخلت المناهج بعد أن أصبحت تراجم الكتب الطبية العربية وفيرة بين أيديهم ، وبعد خبرة عملية عن الطب الاسلامي بجانب التدريب العملي في المستشفيات ، فكانت المدارس العربية مراكز يقصدها طلبة العلم من كل أرجاء العالم (٥)

لقد نشطت حركة الترجمة والنقل في صقلية وأسبانيا بادىء الامر بحكم اتصال هذين البلدين بالعرب ، وتمرسهم بثقافتهم وأفكارهم وأخذت هذه

-
- (١) واط : أثر الحضرة العربية ، ص ١٣٥ ، اسيدبو : تاريخ العرب العام ص ٤٤٥-٤٤٩
(٢) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ٩١ - ١٣٥
(٣) المرجع والصفحة ، ص ١٣١
(٤) خودابخش : حضارة الاسلام ، ص ١٤٧
(٥) خودابخش : حضارة الاسلام ، ص ١٤٩ .

الأفكار تتسرب الى أوروبا ، ابتداء من القرن الحادى عشر ، وتسابق الرجال من ذوى العقول النيرة الى بلرم وطليلة لتعلم اللغة العربية ، ودراسة العلوم العربية ، ولم يظهر في أوروبا آنذاك كتاب واحد الا وقد ارتسوت صفحاته بالينابيع العربية ، واستمد منها الوحي والالهام ، وظهرت منه بصمات الفكر العربي واضحة جلية من حيث المعنى والمضمون . (١)

استخدم العرب المنهج التجريبي في الكيمياء الذى يشبه من حيث الجوهر المنهج المعاصر وتقف مجموعة المؤلفات جابر بن حيان (٢) المتوفى ١٩٨هـ / ٣٨١٣ والتي تنقل لنا معلومات كثيرة في مجالات العلوم الكيماوية كعلم قائم على التجربة ، ويستخدم طرقا وأدوات مختلفة في معالجة المواد الكيماوية ،

تصف لنا هذه المجموعة طريقة الحصول على مواد مختلفة ، وطريقة تكريرها وتفكيكها والتي ترمز الى المواد الكيماوية والوانى المخبرية ، وقد انتقلت في مجموعة جابر هذه الى اللغات الاجنبية (٣) .

وقد وصف الفيلسوف باكومه جابر بن حيان ، أول من علم العالم الكيمياء (٤) . وتعد المستشرق زيجريد هونك أن الرازى أحد الاوائل السذين جعلوا من الكيمياء علما حيا (٥) .

وقد توصل البيروني (توفى سنة ١٠٤٨م) الى قياس ومعرفة الوزن النوعي لكثير من المواد بدقه كبيرة . (٦)

- (١) مرحبا : المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٥٧١ .
- (٢) لجابر رسائل جمعها بول كراوس (مختارات) ونشرتها مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٣٥
- (٣) وط : أثر الحضارة العربية ص ٩٣
- (٤) فراج : فضل العلماء المسلمين ، ص ٥٣
- (٥) هونكة : شمس العرب ، ص ٢٥١
- (٦) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ٩٣ .

ولعلم النبات اهتمام كبير عند العلماء العرب ، باعتباره تابعاً لعلوم الطب والميدلة ، فأغلب العقاقير المستعملة في العلاج تؤخذ من النباتات .

وقد وصف ابن سينا في كتابه القانون (الجزء الثاني) دراسة النباتات ، ووصف اربع مائة نبات واعتمد في وصفه للنباتات على الطبيعة (١) ويعتد كتاب ابن البيطار (المتوفى سنة ١٢٤٨م) مساهمة قيمة في علم الادوية والاعذية فقد وضع دراسات طويلة لأكثر من ١٥٠٠ عقار نباتي وحيواني ومعدني ، وكان منها (٢٠٠) عقاراً جديداً ، وقد وضع كتابه " الجامع لمفردات الادوية والاعذية على طريقة المعجم ، وسجل أسماء الادوية به بسائر اللغات بحيث لا يدع لاي تحريف .

وقد ترجم كتابه هذا الى اللاتينية والفرنسية والالمانية ، واعتمد عليه علماء الغرب وأخذوا عنه الكثير . (٢)

واشتهر داوود الايطالي بكتابه الضخم " تذكرة أولي الالباب والجامع العجائب " فذكر مواطن النبات وزمان قطفه ، ووصف مئات النباتات وفائده استعمالها .

وهناك عبداللطيف البغدادي المعاصر لصلاح الدين ، والقزويني صاحب كتاب " عجائب المخلوقات وغرائب الوجودات " الذي وصف النباتات والمحاصيل والخضروات ، وكذلك ابن سيده في كتابه المخصص " والادريسي والديتيسوري والفاقي والصوري ، الذين وصفوا آلاف النباتات ، وفائدتها . وقد ترجمت كتبهم الى أوروبا .

ولابن العوام (أبوزكريا ، يحيى محمد أحمد العوام عاش في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي في أسبيليا) كتاب الفلاحة ، الذي تناول فيه ، اصلاح الاراضي

(١) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٢٤ .
(٢) فراج : فضل العلماء المسلمين ، ص ٦٣ . وط : ثر الحضارة العربية : ص ٩٤ .

وغراسة الاشجار ، والحبوب ، وعلاج الارض ، والاسمدة وأشرها ، والمياه وتجهيز التربة ، ومعالجتها .

ولقد لفت المؤلف المذكور نظر علماء أوروبا ، وترجموا الكتاب في عصر ميكسر ، فنشر سنة ١٨٠٢ (١)

وعرف العرب في الرياضيات الارقام الهندية (١،٢،٣) والارقام العربية (١،٢،٣) وأوجدوا طريقة الاحصاء العشرى ، وتوسعوا في بحوث النسبة العددية والهندسية والتأليفية .

والعرب هم أول من أطلق علم الجبر على العلم المعروف بهذا الاسم وسهم أخذ الاقترنج ، وكان الخوارزمي أول من ألف فيه " الجبر والمقابلة " في عهد المأمون وعرفوا فيه المعادلات الجبرية ، وحلوا من المعادلات من الدرجة الثانية بطرق هندسية ، ووضعوا حلولاً جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها واستعملوا الرموز في المعادلات الرياضية ، فسبقوا بذلك ستيفن وديكسارت وكذلك حلوا المعادلات الدرجة الثالثة ، وجمعوا بين الهندسة والجبر ، فهم واضعوا أسس الهندسة التحليلية ، ومهدوا لنشأة التكامل والتفاضل (٢) .

وعرف العلماء العرب الجذور الصماء ، وأول من استعملها الخوارزمي ومهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات وعرف ابن حمزة ببحوثه في المتواليات العددية والهندسية ، ومهد لاكتشاف اللوغاريتمات ، ويعد علم المثلثات علماً عربياً وكانت كتب العرب معينة لا ينضب للفريبيين أفاد منها كل من جوري وسارتون . وتتجلى مؤلفات العرب الهندسية في التطبيقات العملية في شؤون حياتهم ، والنسبة بين محيط الدائرة الى قطرها المعروفة بالنسبة التقريبية (ط) (٣) .

(١) قراج : فضل علماء المسلمين ، ص ٦٨

(٢) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٤٩

(٣) منتصر : تاريخ العلم ، ص ٩٨

وقد أخذ العالم الايطالي جيرولامو كاردان (عاش في القرن السادس عشر)
عن ثابت بن فره طريقته المبتكرة في حل المعادلات التكعيبية ومعادلات مسن
الدرجة الثالثة (١)

وترجم جيرار الاسباني ماتوصل اليه جابر بن أفلح الاشبيلي المولود
والقرطبي الوفاة (في النصف الثاني من القرن الثاني عشر) ماتوصل اليه فسي
حساب المثلثات من أن جيوب المثلثات مناسبة لجيوب الاضلاع المقابلة لها
ونشر ذلك في نورمبرج سنة ١٥٣٢ م .

وترجم ابيليار الباني الانجليزى الجنسية الفرنسي الثقافة جسد اول
الخوارزمي ومبادئ اقليدس ، مما جعله من أشهر أنصار الروح العلمية (٢) .
ويعود فضل نقل العد العربي الى اللغات الاوروبية الى سنة ١٢٠٢ م
على يد ليوناردو فيبونا تشي البيزى الذى سهل العمليات الحسابية ووسع
امكانية تطبيقها . (٣)

وفي نهاية القرن العاشر قام جربرت (الذى اعتلى كرسي البابوية باسم
سلفستر الثاني بكتابة الارقام العربية للغرب ، فأخذ عن العرب ليفي
ويستفيد ويزيد من معارفه واطلاعه ، وكان لموقفه أكبر الاثر في جذب العديد
من الطلاب اليه لدراسة الرياضيات ، مما أدى الى بداية ربيع علمي مقعم بالحياة
الرياضية . (٤)

لقد برهن العرب على تفوقهم في علم الرياضيات في العصور الوسطى
بسبب استخدامهم العملي على نطاق واسع والسبب جانب الارقام دخلت كلمة

(١) سيديو : تلريخ العرب العام ، ص ٤١٥ .

فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ٧٥

(٢) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ١٢٦

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٩ ، هونكه : شمس العرب ، ص ٨٠ ، ٩٢

(٤) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

الفر ، الذى علموه للغرب بجانب الارقام ، فهم مؤسسو علم الحساب السارج وعلم الجبر والمثلثات ، وصاغوا أسس الهندسة التحليلية .

لقد كان وجود الخوارزمي والبيريوني ، وابن فره وغيرهم ضروريا ، لظهور جاليليو ونيوتن ، فلولاء العلماء العرب لاضطر علماء الغرب أن يبدأوا من حيث بدأ علماء العرب ، ولم يكن العلماء العرب مجرد نقلد ، فقد شرحوا وحققوا وتفتحوا وأضافوا اضافات هامة تدل على الابداع والابتكار (١) .

وعالج ابن سيناء الاحجام اللامتناهية حجما فيرثا ورياضيا . فحقق انتصارات فكرية كبرى ، وهي في الواقع التي أوصلت كلا من نسوس ولاينر في القرن السابع عشر الى وضع الحساب اللامتناهي (٢)

خرجت بحوث العرب الفلكية من النظريات الداعية الى الرصد العلمي ، لذلك قالوا باستدارة الارض ، وعملوا الازياج (الجداول الفلكية) وضبطوا الاسطرلاب (فقد اخترعه أبو اسحق ابراهيم بن حبيب المتوفي سنة ٧٧٧م) ، وحققوا مواقفهم كثيرة من النجوم ، ورصدوا الاعتدالين والكواكب والنجوم والكسوف والخسوف . ان تقدم علم الفلك عند العرب والمسلمون يعود لأمر دينية فأوقفت الصلاة تختلف بحسب الموقع ومعرفة عرض الموقع الجغرافي ، وحركته الشمس في البروج وأحوال الشفق ، وهلال رمضان (٣) .

ورأى العرب في علم الفلك علما رياضيا مبنيا على الرصد والحساب وعلى فروض تفرض لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر . وابتكر العرب أجهزة وآلات وأدوات للرصد وقدموا جداول فلكية ، كما وضعوا أسماء كثيرة من النجوم والكواكب والمصطلحات نقلها عنهم الاقربح .

وبرز في أسبانيا العربية عدد من علماء الفلك مثل : مسلمة المجرىطي

(١) منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٨٨ .

(٢) هونكه : شمس العرب ، ص ١٦٢

(٣) منتصر : فضل علماء المسلمين ، ص ١٠١ .

(ت ١٠٠٧) وابن السامح وابن الصفار ، وقام بترجمة أبحاثهم : ابراهيم خناسي .
من برشلونة ، كما ترجم هوجو السانتاني (في القرن الثاني عشر الميلادي) مؤلفات
العرب في الفلك والارصاد الجوية (١)

وتعرف الملك الفونس العاشر (ملك قشتالة) على الحضارة العربية
الاسلامية ، وعمل على الافساده منها ، فأمر بترجمة كل ما وصلت اليه يديسة
من المخطوطات العربية الى المملكة القشتالية ، وأمر ببناء أكبر مملكة فلكية
عرفها زمانه وحسب الاصول العربية ، واستعان بالعرب على تحقيق مشروعاته وعول
عليهم ، فاسدوا اليه النصيح والارشاد في مجالات العلم ، وبخاصة فيما يتعلق
بأمور السماء ومادار في فلكها من نجوم (٢)

وفي علم الجغرافيا ، تحدث " المسعودي " عن الرياح الموسمية فسي
المحيط الهندي ، ومواعيد هبوبها ، وأثرها على الملاحة ، وعنوا بالجغرافية
الاقتصادية والثروات المعدنية والانتاج الزراعي والمراعي ، والحياة الاجتماعية
ومراكز الاستقرار البشري وعلاقتها بما حولها ، كما أنهم عرفوا محيط الارض
(خط الاستواء) منذ عهد المأمون وقد قام بذلك أولاد موسى بن شاكر (٣) .

وعمل الادريسي لروجر كرة أرضية من الفضة ، كانت أجمل ما ابتدعت
هريجة عربية ، رسم عليها العالم ببحره وبحره وجباله وسهوله وأنهاره وبحيراته
ومدنه وممالكه (٤) .

-
- (١) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ٨٧ .
(٢) هونكه : شمس العرب ، ص ١٣٧ .
(٣) الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٢٦ . هونكه : شمس
العرب ، ص ١١٩ .
(٤) محمد مرحبا : المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٦٧ . سيديو : تاريخ
العرب العام ، ص ٤٣٢ . الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ص ٢٣٤ .

ولم تعرف أوروبا داخل إفريقيا إلا عن طريق الكتابات العربية ، وظلت كتابتهم المرجع الوحيد حتى القرن التاسع عشر ، وقد وضع الحسن بن السوزان الذي عرف باسم ليو الإفريقي كتابا وصف فيه إفريقيا . (١)

واكتشف العرب أمريكا قبل كولمبس بعدة قرون ، والنعود الأندلسية التي وجدت على الشواطئ الأميركية خير شاهد على ذلك (٢) ولو لم يطلع كولمبس على خرائط العرب التي شاعت في أوروبا لما تمكن من القيام برحلته . وأحمد بن ماجد الملاحة هو الذي قاد فاسكوداجاما إلى الهند .

فالعرب هم حلقة الوصل بين القديم والحديث ، فقد خططوا على ما في التراث الجغرافي القديم ، وأضافوا إليه مشاهداتهم ورحلاتهم ما يجمع لديهم من المعرفة الجغرافية عن طريق الرحلات الواسعة كما فعل ابن رسته وابن بطوطة وابن جبير وغيرهم .

واستخدم العرب في عمارتهم العقود الصماء العربية الأصل في زخرفته الأبواب والواجهات والمحاريب .

وكانت العقود الإسلامية أهمها كسرة في عناصر العمارة والزخرفة الأوروبية ، وظهرت آثار هذا التطور في فرنسا . وشمال أسبانيا ، وجنوب إيطاليا وقد اقتبست العمارة الأوروبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر فكره المناسب (١) الغنيمي : الإسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٣٦ .
(٢) ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في أوروبا ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
أحمد الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ص ١٧٤ ، ١٨٦ .

الوترية من الاندلس .

وكان للمآذن الاندلسية أثر بالغ على أبراج الكنائس الاسبانية والاوروبية
سواء من حيث أشكالها المربعة القاعدة الشاهقة الارتفاع .

ولم تلبث الشرفات البارزة فوق السواريات ، أن تنتشر استعمالها فسي
القصور والحصون الفرنسية والانجليزية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر (١)
فالمباني المقتبسة عن جوهر العمارة الاسلامية كثيرة كالجوامع القديمة فسي
انجلترا ، وفرنسا متأثرة بالفن المعماري العربي (٢) .

فالعمارة الاوروبية مدينة للعرب بدين كبير من حيث تأثيرها الواضح
في الاقتباسات التي أخذها الاوروبيون ، فقد أعجبوا بابتكارات العرب وعبقريتهم
في العمارة وتصميمها .

ولا يقل تأثر الاوروبيين بالعمارة عن تأثرهم بالزخرفة فقد أعجب الاوربيون
بالتحف الاسلامية وأساليب صناعتها وزخرفتها ، ولعل أبرز مثال لذلك نابغة
النهضة الاوروبية ليوناردو دافنشي الذي أقبل على دراسة الزخرفة الاسلامية اقبالا
برهن على مدى الاهمية التي كانت الزخرفة تكسبه في ذلك العصر ، وقد أفساد
دافنشي كثيرا من الزخارف الاسلامية (٣) .

(١) الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٤٠ .

(٢) هونكة : شمس العرب تسطع على المغرب ، ص ٤٨٢ . ماجد : تاريخ الحضارة

الاسلامية ، ص ٢٨٧ .

(٣) الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٤١ .

تأملت الفلسفة الاسلامية على أيدي الفلاسفة المسلمين أمثال الكندي ، والفارابي ، وابن سينا والغزالي وابن رشد وغيرهم في الشرق والغرب وقد أشرت فلسفة العرب والمسلمين تأثيرا قويا على رجل الفلسفة الاوروبيين وكانت المدارس الاسلامية مصدر هام من مصادر تكوين العقل الاوروبي .

قدم الفكر الفلسفي العربي للاروبيين مادة جديدة وفتح أمامهم آفاقا رحبة كاملة جديدة من الميترقيزيقا ، فالمؤلفات المترجمة من العربية كانت معروفة لكافة التيارات الفكر الاوروبي ، والتطور اللاحق للفلسفة الاوروبية يدين الى حد كبير للمؤلفين الفلاسفة العرب ، توما الاكويني انما هو مدين لابن رشد (١) .

وقد اهتم فردريك الثاني الهوهنسوني كثيرا بالثقافة والفلسفة فترجم ميثيل سكوت مؤلفات أرسطو العلمية والفلسفية ، وشروح ابن رشد على هذه الكتب وكذلك مؤلفات ابن سينا (٢) .

وجذبت كل من طليطلة وبالرمو في القرنين الثاني عشر والثالث عشر أكبر عدد من المخطوطات ، ونظمت مجموعات من المترجمين والمحققين ، وحصلوا على كتب ابن رشد جميعها وقاموا بترجمتها من العربية ، وتأثرت الجامعات الاوروبية ماكان له تأثير على طريقة التفكير في أوروبا .

(١) وط : أثر الحضارة العربية . ص ١٤١ . هونكه : سلسل العرب ، ص ٤٥٠

(٢) وط : أثر الحضارة العربية . ص ١٢٧ .

ان تأثير الفلاسفة العرب والمسلمين (الكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، وابن طفيل ، وابن رشد) ، قد تجاوز النطاق العربي الاسلامي ليمتد هذا التأثير على أوروبا فيؤدى الى عصر التنوير فالنهضة فيما بعد في ايطاليا وألمانيا وفرنسا ، وبرزت في انحاء أوروبا من خلال كونها متمثلة ومدافعة كثيرا وأولها للفكر الفلسفي الاسلامي وبخاصة الرشدية . (١)

وتأثير الادب العربي واضح في حياة شعراء أوروبا ، نتيجة اتصال الفنانين اتصالا وثيقا بالحضارة العربية الاسلامية ، التي تأثرت به وأخذت عنه الشيء الكثير ، وعملت على ترجمته ، ففي القصة تأثرت تأثيرا قويا في القصة الاوروبية التي ظهرت فيما بعد ، ويعتبر التأثير مباشرا مما يفسر اقبال الاوروبيون على الادب العربية نقلا وترجمة واقتباسا ، فقد ترجمت الى اللغة الايطالية والفرنسية والالمانية والانجليزية الروايات العربية مما تركت أثرها القوى في نفسية الشعوب الاوروبية . (٢)

واذا عدنا الى مظاهر الادب العالمية نجد أن معظمها من أصل عربي اذ ترجمت كتب عديدة أشهرها : كليلة ودمنة ، والف ليلة وليلة ، رسالة الغفران للمعري فقد اعتمد عليها دانتي (١٢٦٥ - ١٣٢٠) في كتابة الكوميديا الالهية واعتمد بوكاشيو الايطالي (١٣١٣ - ١٣٧٥) في كتابه الديكاميرون على ألف ليلة وليلة ، وترفنتس الاساني (١٥٤٧ - ١٦١٦) (الذي قضى جزء من حياته فسي الجزائر) اعتمد على كتابه دون كيشوت على وثائق عربية ، بل انها مملسوءه بتعابير وأمثال عربية كثيرة ، وشكسبير تأثر بحكايات الشرق في روايته روميو وطيب تزني : مشروع رؤية للفكر العربي ، ص ٤٠٦ .

(٢) الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢١٦ ، ٢٧٢ .

وجولييت ، وتشوسر (الشاعر الانجليزى) تأثر في قصصه بكليلا ودمتسة ،
وقولتير مدين لقصة ألف ليلة وليلة ، ولسورة الكهف ، وجوته (الشاعر
الالمانى) متأثر بالاسلام وله رأى في شعر العرب . وقصة روبنسن كروزو
لدانويل ديفو مسروقة عن حي بن يقظان ^(١) . فقد ترجم لأول مرة الى اللاتينية
سنة ١٦٧١ وفي السنة التالية لمعظم اللغات الاوروبية ^(٢)

لقد أجمع الباحثون على أن الحضارة الغربية ، كانت أعظم حضارة شهدتها
العالم طوال العصور الوسطى ، وكان للعرب فضل عظيم في الميدان الحضارى
ومنها الميدان الاوروبى بل على البشرية .

فالحضارة العربية الاسلامية أسهمت بنصيب وافر في تقدم أوروبا خاصة ،
والانسانية عامة ، ولاتزال وآثارها تنطق حتى الآن ^(٣) .

ولم تستيقظ أوروبا من سباتها العميق الا على علوم العرب وآدابهم
وآثارهم ، فحضارة العرب انما شعت في صقلية والاندلس ، ومنها انطلق
الاشعاع الى كل أنحاء أوروبا . ^(٤)

ان كل موجه علم أو معرفة في العصور الوسطى كان مصدرها البلدان
الاسلامية ، وقد أوجد الاسلام في بلدان البحر المتوسط ، وضعاً جديداً أدى الى
(١) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ص ٢٨٤، ٢٨٥
(٢) ريسلر : الحضارة العربية ، ص ٢٢٢ (ترجمة غنيم عبدون)
(٣) ماجد ، ص ٢٨٨ .
(٤) مرحبا : ص ٥٧ .

نقل مركز الثقل في الغرب من البحر المتوسط . ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضة
الا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا واقتصاديا ، واستنبيق الفكر
الاوروبي على التراث العلمي والادبي والفني للعرب والذي دام قرونا ليصبح
أكثر غنى وجمالا وأوفر صحة وسعادة . (١)

وقد ابتكرت عبقرية العرب الفذة الخلاقة آلات جديدة ، فأرست حجر
الاساس في صرح طريقتهم العلمية الصادقة في مراقبة الطبيعة من مرادهم
مما جعلهم يتوصلون الى نتائج مذهلة فاقت نتائج من سبقهم ، أضاف الى ذلك
نبوغهم في الرياضيات وشغفهم بحل المعضلات التي تمكنوا بواسطتها من
ايجاد علوم جديدة وتطويرها (٢) .

ومن فضائل العرب الطبيعية ، فن استعمال التخدير . وهو فن عربي
بحث لم يعرف قبلهم ، وكذلك معالجتهم للأمراض العقلية بالاقيصون
كما هو متبع حاليا (٣) .

ان شوق العرب الى العلم قد حفزهم الى النهوض بمختلف فروع المعارف
البشرية طلبا للحقيقة وحدها ، مما لا يسعنا سوى الاعجاب المطلق بجهود
العرب التي أدت الى بعث الاداب والفنون في أوروبا . (٤)

(١) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٤١ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٤) سيديو : تاريخ العرب العام ، ص ٤٠٣ .

لقد أصبح للعلوم الاسلامية أثرها الكبير على الفكر الاوروبي حينما انتقل التعليم من الدير الى الجامعات ، ومنذ أن انتشرت العلوم الاسلامية وأثرت في الفكر الاوروبي .^(١)

وأخيرا ، فأوروبا مدينة للعرب في الحقل العلمي^(٢) ، فلولا تراثهم العلمي والفكري والادبي ، لاحتاجت أوروبا الى سنوات طويلة من البحث والتجريب ، ولا ينكر فضل العرب في نهضة أوروبا الاكل جاحد فالحضارة العربية هي المنارة التي أنارت الطريق أما ظلمات أوروبا ، وهي التي قادتهم بالتالي الى النهضة الحديثة .

(١) سيديو : المرجع نفسه ، ص ٤٠٣

(٢) خودانخش : حضارة الاسلام ، ص ١٥١ .

اهم المصادر والمراجع

- أرسلان ، شكيب : تاريخ غزوات العرب ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- الاصفهاني : الاغانى ، ٢٤ مجلدا ، دار الكتب .
- البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا (من كتاب المسالك والممالك) تحقيق ، د . عبدالرحمن علي الجمي . بيروت : دار الارشاد ، ١٩٦٨ .
- البلاقرى : فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله ، وعمر الطيساع . بيروت : دار النشر للجامعيين ١٩٥٧ .
- بارنولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر . القاهرة : دار المعارف ١٩٤٢ .
- ترمانيني ، د . عبدالسلام : الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام . الكويت ، عالم المعرفة ، عدد ٨ .
- تيزني ، د . طيب : مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط . دمشق : دار دمشق ، ط ٥ ، ١٩٨١ .
- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (٥٠ = ٢٥٥ هـ) .
- رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ج ٢ ، في مجلد واحد ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٦٤ .
- التاج في أخلاق الملوك : تحقيق فوزي عطوي . بيروت : الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٧٠ .
- جدعان ، د . فهمي : نظرية التراث ، دراسات عربية والاسلامية اخرى . عمان : دار الشروق ، ط ١ ، ١٩٨٧ .

جرونيبام ، جوستاف : حضارة الاسلام ، ترجمة عبد العزيز جاويد .
القاهرة ١٩٥٦ .

حداد ، د . جورج : المدخل الى تاريخ الحضارة .
دمشق : مطبعة جامعة دمشق ١٩٨٨ .

الحوفي ، د . احمد محمد : تيارات ثقافية بين العرب والفرس .
القاهرة : دار نهضة مصر ، طبعة ٣ ، ١٩٧٨ .

حوى ، سعيد : الله
بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ١٩٧٩ .

الخريوطي ، د . علي حسني
: تاريخ الحضارة الاسلامية .
القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ .

خوذا بخش، صلاح الدين : حضارة الاسلام ، ترجمة علي حسني الخريوطي .
بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧١ .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد
المقدمة / عدة طبعات .

ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) .
وفيات الاعيان / تحقيق د . احسان عباس .
بيروت : دار صادر ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ .

الخطيب ، عمر عودة : لمحات في الثقافة الاسلامية .
بيروت : مؤسس الرسالة ط ٧ . ١٩٨١ .

ريسليز ، جاك ، س : الحضارة العربية (ترجمة غنيم عبدون) .
القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة

الرافعي، أنور : النظم الاسلامية
بيروت : دار الفكر ١٩٧٣ .

الرافعي، د. مصطفى : حضارة العرب
بيروت : دار الكتاب اللبناني .

الريس، د. محمد ضياء الدين
: النظريات السياسية الاسلامية .
القاهرة : دار المعارف ، ط ٤ ، ١٩٦٧ .
: الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية
القاهرة : دار الانصار ط ٤ ١٩٧٧ .

الزين، سمير عاطف : معالم الثقافة الاسلامية
بيروت : دار الكتاب اللبناني ط ٥ ، ١٩٧٨ .

سالم، د. السيد عبدالعزيز
: دراسات في تاريخ العرب ، ٣ اجزاء .
الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٣٩٨ هـ .

سيديو : تاريخ العرب العام (ترجمة عادل زعيتر) .
القاهرة : دار احياء الكتب العربية ١٩٤٨ .

سعد، فهمي عبدالرزاق : العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري
بيروت : المكتبة الاهلية ، ١٩٨٣ .

سرور، د. محمد جمال : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق .
القاهرة : دار الفكر العربي . ١٩٧٦ .

السامري، فيصل : الاصول التاريخية للحضارة الاسلامية في الشرق الاقصى
بغداد : وزارة الثقافة ، ط ٢ ، ١٩٨٦ .

الشريف ، د . أحمد إبراهيم دراسات في الحضارة الاسلامية
القاهرة : دار الفكر العربي ، ط ٢ ، ١٩٨١ .

شليبي ، ابو زيد : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي .
القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٦٤ .

الشرقاوي، د . عفت : في فلسفة الحضارة الاسلامية
بيروت : دار النهضة العربية ، ط ٣ ، ١٩٨١ .

الشكعة، د . مصطفى : معالم الحضارة الاسلامية
بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٣ .

الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) .
: الديارات ، تحقيق كوركيس عواد .
بغداد مكتبة المثنى ، ط ٢ ، ١٩٦٦ .

شفيتسر، اليرت : فلسفة الحضارة (ترجمة د . عبدالرحمن بدوي) .
القاهرة : وزارة الثقافة ١٩٦٣ .

الشرقاوي، عبدالحميد : الحياة الاقتصادية في الاندلس في القرن الرابع الهجري
جامعة القاهرة ١٩٥٠ .

صبحي، د . أحمد محمود : في فلسفة الحضارة
الاسكندرية : مؤسسة الثقافية ، بـسـلا .

الصالح، د . صبحي : النظم الاسلامية
بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ .

- عاشور، محمد الطاهر** : اصول النظام الاجتماعي في الاسلام
 تونس : الشركة العربية للكتاب ١٩٧٩ .
- علي، محمد كرد** : الاسلام والحضارة العربية جزء آ١ .
 القاهرة : لجنة التأليف والنشر ، ط٣ ، ١٩٦٨ .
- العبادي، د . احمد مختار** : في تاريخ المغرب والاندلس .
 الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، بلا
- العبيدي، صلاح حسين** : الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي من المصادر
 التاريخية والاثريية .
 بغداد : وزارة الثقافة ، ١٩٨٠ .
- عثمان، د . عبدالكريم** : معالم الثقافة الاسلامية .
 بيروت : مؤسسة الثقافة ١٩٨٢ .
- الغنيمي، عبدالفتاح مقلد** : الاسلام والثقافة العربية في اوروسا .
 القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٩ .
- فهمي، د . عبدالرحمن** : دراسة لبعض التحف الاسلامية / حولية كلية الاداب .
 جامعة القاهرة ، مجلد ٢٢ العدد ١ ، ١٩٦٠ .
- فروخ، د . عمر** : تاريخ الفكر العربي
 بيروت : دار العلم للملايين ط٣ ، ١٩٨١ .
- ابو فارس، د . محمد عبد القادر**
 : النظام السياسي في الاسلام .
 عمان : دار الفرقان ١٩٨٠ .

- الفراء، ابو يعلى : الاحكام السلطانية ، تحقيق محمد حامد الفقى
بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ .
- فراج، د. عز الدين : فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية .
القاهرة : دار الفكر العربية ، ١٩٧٨ .
- كامل، د. محمود : الاسلام والعروبة، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٦ .
- لوبون، غوستاف : حضارة العرب (ترجمة عادل رعيستر) .
القاهرة : البابي الحلبي ١٩٤٨ .
- لويس، ارشيبالد : القوى البحرية في البحر المتوسط " (ترجمه احمد محمد عيسى)
القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ .
- محمود، د. فهمي حسن : المسلمون في الاندلس وعلاقاتهم بالفرنجة .
القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٦ .
- مؤنس، د. حسين : المسلمون في حوض البحر المتوسط (المجلة التاريخية
، المجلد الرابع ١٩٥١ .
- الماوردي : الاحكام السلطانية
بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨ .
- معروف، د. ناجي : اصالة الحضارة العربية
بيروت : ادر الثقافة ، ط٣ ، ١٩٧٥ .
- ماجد، د. عبدالمنعم : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى
القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ط٤ ، ١٩٧٨ .

- الملا احمد علي** : اثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية
دمشق : دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٨١ .
- معتز ، آدم** : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري .
ترجمة محمد عبدالهادي ابو رييدة .
بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ٤ ، ١٩٦٧ .
- مرحبا ، محمد عبدالرحمن** : المرجع في تاريخ العلوم عند العرب
بيروت : دار الفيحاء ، ١٩٧٨ .
- المبارك محمد** : نظام الاسلام / الاقتصاد
بيروت : دار الفكر ، ط ٣ ، ١٩٨١ .
العقيدة والعبادة
بيروت : دار الفكر ، ط ٤ ، ١٩٧٥ .
- المصري، د . حسين مجيب** : صلات بين العرب والفرس والترك
القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١ .
- نداء د . طه** : فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية
بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ .
- الناطور، د . شحادة** : التفاعلات الحضارية في عهد بني امية . دراسة التفاعلات
الاجتماعية والاقتصادية والثقافية / رسالة دكتوراة ١٩٨٢ .
- هونكة ، زيغريد** : شمس العرب تسطع على الغرب (ترجمة فاروق بيضون كمال
دسوقي . بيروت : المكتب التجاري ، ١٩٦٤ .
- وط مونتغمري** : اثر الحضارة العربية الاسلامية على اوروبا ترجمة جاسر
اسي جاسر . دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨١ .
- ياقوت** : معجم البلدان
بيروت : دار احياء التراث ١٩٨٠ .

الفهرس

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
- المقدمة	٣
- اهداف الدراسة	٥
- الباب الاول : توضيح المفاهيم والمصطلحات التالية :	
- الحضارة	٩
- العروبة	١٣
- الاسلام	١٦
- التراث	٢١
- الاصاله	٢٤
- الباب الثاني : دراسة المظاهر الحضارية في الجزيرة والمناطق المحيطة بها قبل الاسلام.	
- المظهر السياسي :	
- العرب قبل الاسلام	٢٩
- عرب الجنوب " اليمن "	٣٣
- احوال شمال الجزيرة العربية	٣٦
- مملكة كندة	٤١
- الفساسنة	٤٥
- المناذرة	٤٨
- مجتمع القبيلة	٥٣
- المجتمع العربي قبل الاسلام	٥٥
- المظهر الاجتماعي :	٦٥
- الزواج عند العرب قبل الاسلام	٦٥
- المظهر الاقتصادي	٧٠
- المظهر الفكري	٧٣

- الباب الثالث :- دراسة تفاعل الحضارة العربية الاسلامية على:

- الحضارة الهندية ٧٩
- الحضارة الفارسية ٨٦
- الحضارة اليونانية ١١٦

الباب الرابع : مظاهر الحضارة العربية الاسلامية
المظهر السياسي والادارى :-

- الخلافة ١٢٩
- الشورى ١٣٨
- موظفو الدولة ١٤٢
- الدواوين ١٤٣
- الوزارة ١٤٥
- القضاء ١٤٩
- الحسبة ١٥٢

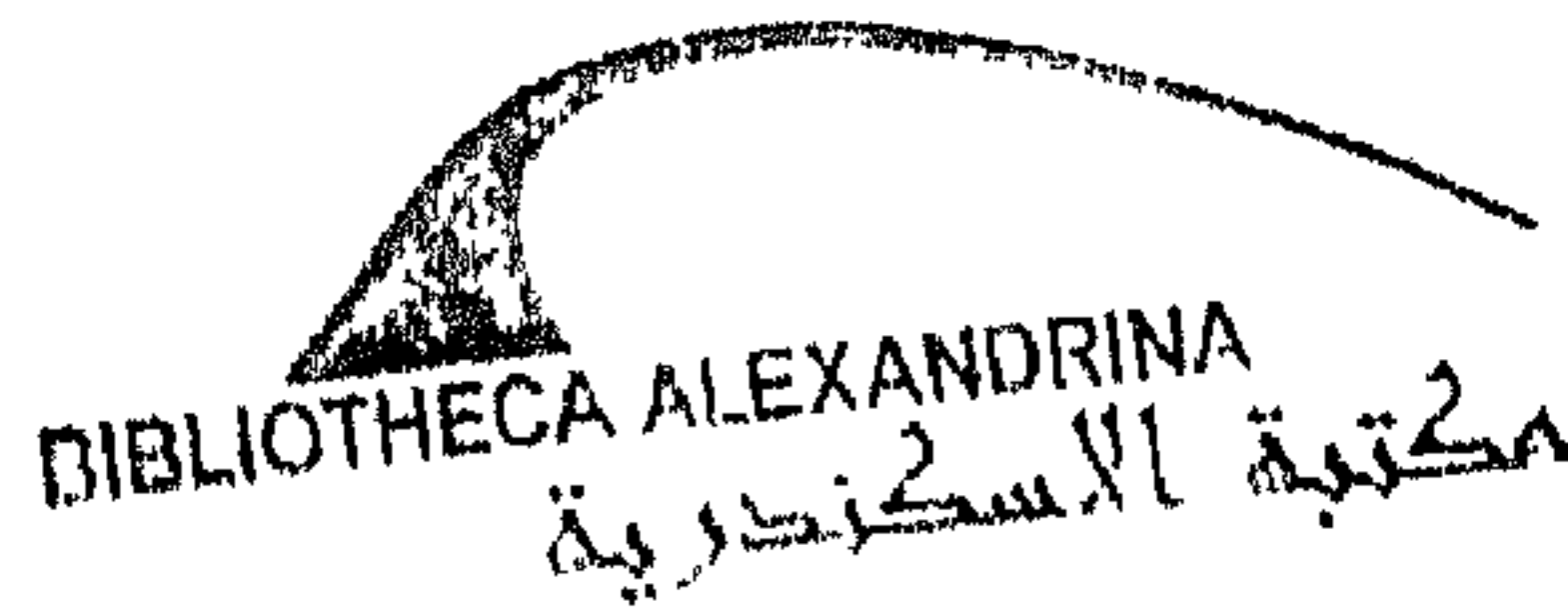
- الباب الخامس : المظهر الفكرى :

- العلوم الطبيعية ١٥٧
- العلوم الفلسفية ١٦٩
- العلوم الاجتماعية ١٨١
- العلوم الدينية ١٩٠

- الباب السادس : المظهر العمراني وتطور نشأة المدن ٢٠٥

- الباب السابع : المظهر الاقتصادى :

- بيت المال ٢٢٥
- الزكاة ٢٣٢
- الضرائب ٢٣٧
- الاراضي ٢٥٣



- الباب الثامن : مميزات الحضارة العربية الاسلامية

٢٧٣	- الاصاله
٢٧٧	- الشمول
٢٧٩	- التسامح
٢٨٢	- الوجدانية
٢٨٤	- التفاعل الحضارى بين التراث العربى والتراث الانسانى وبين النزعة العلمية والعقلية .
٢٨٨	- الحيوية

- الباب التاسع : اثر الحضارة العربية الاسلامية على حضارة الغرب

٢٩٣	- مراكز انتقال الحضارة
٢٩٣	- صقلية
٢٩٨	- الاندلس
٣٠١	- التجارة
٣٠٦	- البعثات العلمية

الباب العاشر : اثر الحضارة العربية الاسلامية في الغرب

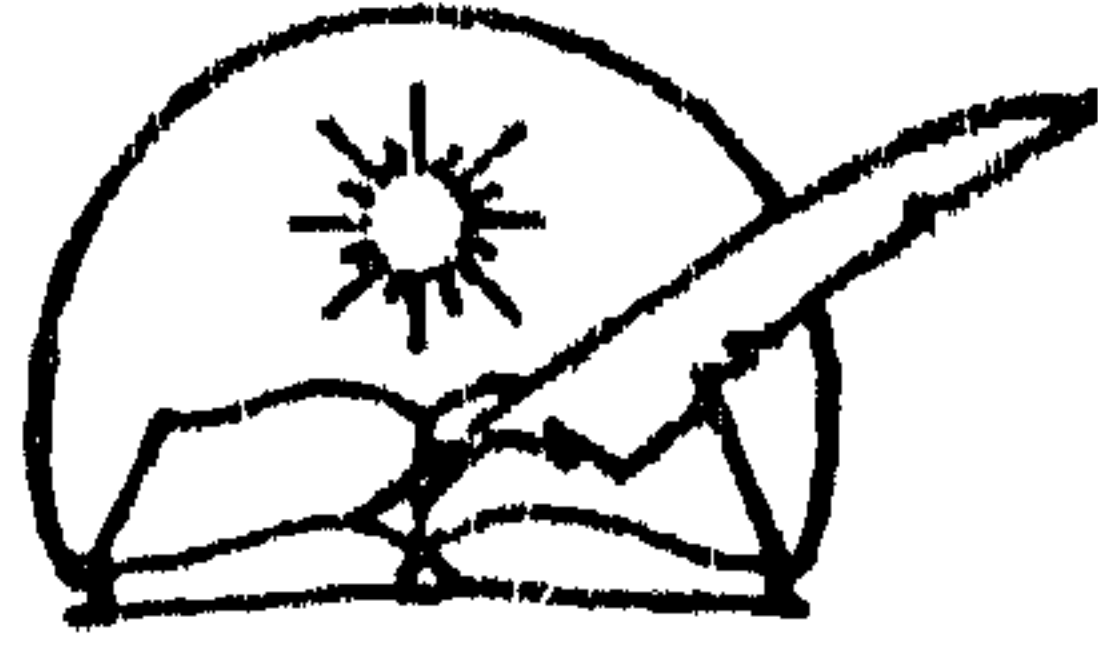
٣١٣	- المنهجية الاسلامية في الفكر والبحث العلمى
٣٢١	- الدراسة في المعاهد والجامعات الاسلامية
٣٢٣	- نقل علوم ومعارف العرب والمسلمين
	-
٣٣٩	- اهم المصادر والمراجع
٣٤٦	- الفهرس

موافقة دائرة المطبوعات والنشر

رقم الاجازة المتسلسل ١٩٨٩/٢/٩٢

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

١٩٨٩/٢/٩٦



دار الأمل

Al - Amel Bookshop

ص.ب. ٤٦٩ - تلفون ٣٧٦١٧٤
شارع شفيق الرشيدات
أربد - الأردن

وإذا ما ازدحت علماً زادني علماً بجهلي